سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٦٥٦)

الاستمطار
بين المشروع والممنوع
في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"بالإضافة إلى كل ما تقدم هناك مجموعة من المواقف الاجتماعية التي اتخذها الشعراء من المفاهيم السلبية التي كانت سائدة ديار العرب في الجاهلية. وما زال الشعر يخدمنا في كشف هذه المفاهيم السلبية المعتقدات الفكرية الوهمية بما فيها من سلبيات كانت خاضعة للظروف التاريخية التي مرت على الجزيرة العربية قبل الإسلام.

ويمكن للباحث أن يلاحظ ترابطا بين شتى المناحي الاقتصادية والاجتماعية، والفكرية في الحياة العربية القديمة.

وأما الطبيعة الجماعية لهذه المناحي فواضحة. تتجلى بطبيعة الحياة العربية في بيئة صحراوية متشابهة. ويكون من الواضح أن هذه البيئة قادرة على ولادة مفاهيم وهمية متشابهة في هذه الصحراء الضارية. فيكون الوجود سيدا في المجموعات والمفاهيم التي تظهر لنا متناقضة في حين يجمعها خيط مشترك. ولنتسائل عن العلاقة بين انحباس الأمطار والسيول المندفعة من البطاح والنار التي توقد للاستمطار! إنها بلا شك محاولة الحفاظ على هذا الوجود.

فمن هذه المفاهيم التي كانوا يؤمنون بها معتقدهم في النيران. وقد خلدها شعر المقطعات فدل على عقلية قاصرة، وكان سجلا خالدا بدقيق المفاهيم والأفكار التي كانوا يؤمنون بها. ويبقى هذا الشعر إيجابيا لعقلية سلبية قاصرة فقد قرنت النيران بأحداث حياتها، فهناك نار الاستمطار التي يلجأون إليها إذا احتبس(١) المطر، ثم يصعدون بها في الجبال الوعرة ويشعلون فيها النار، زاعمين أن ذلك سبب للمطر. كما في قول أمية بن أبي الصلت(٢) :

سلع ما، ومثله عشر ما ... عائل ما، وعالت البقوار

---

(١) هناك في الإسلام ما يعرف بصلاة الاستسقاء وهي طلب السقيا من الله تعالى عند حصول الجدب. وانقطاع المطر.

(٢) العسكري، أبو هلال الأوائل:ج١ ص/ ٣٥. والبقور في البقر. والبيت في حيوان الجاحظ. ج٤ – ص/ ٤٦٩.". [1]

٢-""كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد عليهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار؛ اجتمعوا، وجمعوا ما قدروا عليه من البقر؛ ثم عقدوا في أذنابها، وبين عراقيبها السلع والعشر(١٧)؛ ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضوع. فكانوا يرون ذلك من أسباب السقيا" (١٨).

فأين مصابيح الرهبان من هذا؟ وما صلة تشبيه ينصرف إلى تصوير انعكاس الضوء وانتشاره[وهو تشبيه ضوء كاسح بضوء شاحب من باب تقريب الصورة في ذهن المتلقي] بالاستمطار والاستسقاء في الجاهلية الأولى؟

إن ما أورد أبو عثمان الجاحظ، بناء على ما كان ورد في شعر أحد أكبر الشعراء الذين سجلوا العادات والتقاليد والطقوس الفولكلورية العربية القديمة؛ وهو أمية بن أبي الصلت، يبعد تأويل مصطفى ناصف لذينك البيتين المرقسيين المنصرفين إلى طقوس استمطار المطر... بادعاء أن امرأ القيس إنما كان يومئ إلى تقليب الكفين؛ وأن العرب كانت تستظهر ببعض ذلك

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام ص/٧٠

على استمطار المطر... كما أن ما كنا استشهدنا به من أشعار قديمة؛ بما اشتملت عليه من لمع اليدين: قد يضعف من مذهب الشيخ في جعل العرب وكأنهم لم يكونوا يستسقون إلا بركة أمثال ذلك" الراهب العظيم" على حد تعبيره.

ثم أين كان الشيخ من الحنيفية الإبراهيمية التي كانت لا تبرح بقية باقية منها في بلاد العرب؛ والتي كانت تسم سلوك كثير من عقلاء العرب وأشرافهم وسراتهم إلى أن جاء الله بالإسلام؛ فكانوا يحجون إلى البيت العتيق، ويغتسلون من الجنابة، ويختتنون، ويتحنثون(١٩)؟ وكيف أهمل الحديث عنها لدى قراءة شعر امرئ القيس، فذهب في تأويله إلى ما ذهب؟

*****

٢. الغدران:

الغدران ابنة الأمطار، مثلها مثل العيون والأنهار.". [١]

٣-" ٩٥١ - (نار التهويل) كانت العرب توقد نارا يهولون بها على الأسود إذا حافوها والأسد إذا عاين النار حدق إليها وتأملها فما أكثر ما يشغله عن السابلة

ومر أبو ثعلب الأعرج فى رفقه بوادى السباع فعرض لهم سبع فقال له المكارى لو أمرت غلمانك فأوقدوا نارا وضربوا الطساس الذى معهم ففعلوا فأحجم عنهم الأسد فقال فى حبه النار والصوت الشديد بعد بغضه لهما

(فأحببتها حبا هويت خلاطها ... ولو فى صميم النار نار جهنم)

(وصرت ألذ الصوت لو كان صاعقا ... وأطرب من صوت الحمار المرقم)

٩٥٢ - (نار الإنذار) كانوا إذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا عظيما فأرادوا الاجتماع أوقدوا نارا ليبلغ الخبر أصحابهم قال عمرو بن كلثوم

(ونحن غداة أوقد فى خزازى ... رفدنا فوق رفد الرافدينا)

٩٥٣ - (نار الاستكثار) كانوا إذا نزلوا منزلا وهم جيش يريدون محاربة قوم اسكثروا من النيران وأكثروا من الذبح مخافة أن يجزرهم جازر بقلة ذبحهم ونيرانهم فيستدل على العورة منهم

٩٥٤ - (نار الاستمطار) كانت العرب فى الجاهلية الجهلاء إذا تتابعت عليهم الأزمان وركد فيهم البلاء واشتد الجدب واحتاجوا إلى الاستمطار استجمعوا ما قدروا عليه من البقر وعقدوا فى أذنابها وبين ". [٢]

٤-" النوع الخامس عشر في معرفة عادات العرب وهي صنفان الصنف الأول نيران العرب

قد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل للعرب ثلاث عشرة نارا

الأولى نار المزدلفة وهي نار توقد بالمزدلفة من مشاعر الحج ليراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصي بن كلاب فهي توقد إلى الآن

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة - ص/١٦٣

(٢) ثمار القلوب ص/٥٧٠

الثانية نار الاستمطار كانوا في الجاهلية الأولى إذا احتبس المطر جمعوا البقر وعقدوا في أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ويصعدون بها في الجبل الوعر ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر قال الشاعر

(أجاعل أنت بيقورا مسلعة ... وسيلة منك بين الله والمطر)

الثالثة نار الحلف كانوا إذا أرادوا عقد حلف أوقدوا النار وعقدوا الحلف عندها ويذكرون خيرها ويدعون بالحرمان من خيرها على من نقض العهد وحل العقد قال العسكري وإنما كانوا يخصون النار بذلك لأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركه فيها شيء من الحيوان غيره

الرابعة نار الطرد وهي نار كانوا يوقدونها خلف من يمضي ولا يحبون رجوعه ". (١)

٥-"وفي الوطن المألوف للناس لذة ... وإن لم ينلنها العز إلا التقلب

المستشفي بتراب أرضه وريحها:

لما أسر سابور ببلد الروم قالت له بنت الملك وكان قد مرض وعشقته: ما تشتهي؟قال: شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فحملا إليه فبرأ. واعتل أعرابي فقيل له: ما تشتهي؟قال: حسل فلاة وحسي قلاة. وكان من عادة العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تراب بلدها، فتنشقته عند نزلة أو صداع.

من تشوق مكان إلفه بعد ما كرهه:

بعضهم:

ألفنا ديارا لم تكن من ديارنا ... ومن يتألف بالكرامة يألف

وقال:

نزلنا مكرهين بها فلما ... ألفناها خرجنا مكرهينا

وما حب البلاد بنا ولكن ... أمر العيش فرقة من هوينا

الحنين إلى البادية والتبرم بالحاضرة:

بعض الأعراب المتوجهين إلى خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه يقول:

بلغت إلى حلوان والقلب نازع ... إلى أهل نجد اين حلوان من نجد؟

لجثجاث أرض حين يضربه الندى ... أحب واشهى عندنا من جنى الورد

زينب أم حسنانة الضبية، وهي قاعدة على حافة بركة في وسط رياض وأزاهر قيل لها: أما ترين حسن هذا المكان؟فأطرقت ساعة وقالت:

أقول لأدنى صاحبي أسره ... وللعين دمع يحدر الكحل ساكبه

لعمري لنهي بالكرا نازح القذى ... بعيد النواحي غير طرق مشاربه

---

(١) صبح الأعشى ٤٦٦/١

أحب إلينا من صهاريج ملئت ... للعب ولم تملح إلي ملاعبه

فيا حبذا نجد وطيب هوائه ... إذا أهضبته بالعشي هواضبه

وريح صبا نجد إذا ما تنسمت ... ضحى وسرت جنح الظلام خبائبه

فاقسم لا أنساه ما دمت حية ... وما دام ليل عن نهار يعاقبه

ولا زال هذا القلب مسقي لوعة ... بذكراه حتى يترك الماء شاربه

الحنين إلى منزل لا يرجى لحوقه:

رجل من بني طهم:

أحن إلى نجد وإني لآيس ... طوال الليالي من قفول إلى نجد

وقال:

يقر بعيني أن أر ... ى رملة الفضا

آخر:

فلست وإن أحببت من يسكن الفضا ... بأول راج راحة لا ينالها

المتنبي:

أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مغرب

حمد سكون البادية وذمه:

شاعر:

ومن تكن الحجارة أعجبته ... فأي أناس بادية ترانا

وقال صلى الله عليه وسلم: من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد لها، ومن أتى السلطان فتن.

مما جاء في النيران

ماهية النار:

قال النظام: النار اسم للحر والضياء، وهما جوهران صعادان، والضياء هم الذي يعلو إذا انفرد ولا يعلى، فإذا قيل أحرقت النار وسخنت فذلك للحر لا للضياء. وقال: النار مكنة في الأشياء كلها، فإذا اطفئت نار الأتون فوجدنا حرها ولم نجدها مضيئة فلأن حر النار يهيج تلك الحرارات فأظهرها، ولم يكن ثم ضياء فيظهر إذا خالطته النار فهو أشد كالصاعقة.

منفعة النار:

قيل: من أكبر ماعون الماء والنار ثم الكلا والريح ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها. قال الله تعالى " الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا " وهي أعظم ما زجر به عن المعاصي، وقد جعلها الله تعالى من عذاب الآخرة فقد عذب في الدنيا بالغرق والرياح، والحاصب والرجم والمسخ والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ولم يبعث عليهم نارا وهي ما ركب منه العالم ولا يتعرى شجر ومدر منها. وقيل في الإخوان: هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضر. وكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمان وأحوجهم الاستمطار عقدوا في أذناب البقر شسعا فصعدوا بها جبلا وأوقدوها نارا وضجوا بالدعاء، ونارا كانوا

يوقدونها في التحالف وقد ذكرناه في الإيمان، ونارا كانوا يوقدونها خلف مسافر لا يريدون رجوعه.

شاعر:

وحمة أقوام حملت ولم أكن ... لأوقد نارا خلفهم للتندم

حسن النار ووصفها:". (١)

٦-"""""""" صفحة رقم ٢٣٩ """""""

نباح الكلاب ويقولون : إن الكلاب إذا نبحت السماء ، دل ذلك على الخصب . قال : وما لي لا أغزو وللدهر كرة . . . وقد نبحت نحو السماء كلابها نقب لحى الكلب وكانوا ينقبون لحى الكلب في السنة الصعبة ، لئلا يسمع الأضياف نباحه . خرزة السلوان ويزعمون أن للسلوان خرزة إذا حكها العاشق بماء ، وشرب ما يخرج منها ، سلا وصبر . قال ذو الرمة : لا أشرب السلوان ما سليت ما بي غنى عنك وإن غنيت

نيران العرب

نار الاستسقاء : منها النار التي كانوا يستعملونها في الجاهلية الجهلاء ، وهي الجاهلية الأولى فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات ، وركد عليهم البلاء واشتد الجدب ، واحتاجوا إلى الاستمطار واجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر ثم صعدوا بها في جبل وعر". (٢)

٧-"غير أن القرآن لا يحرم على الإنسان إنزال المطر، كما إن الله هو الذي يزرع الأشجار والنباتات بتقديره وقدرته، إلا أن ذلك لا يحرم على الإنسان أن يقوم باستخدام أقدار الزراعة وسننها في زراعة الأرض ، بل إن على الإنسان أن يعرف المكانة التي منحه الله إياها وذكر ذلك في كتابه بقوله : ؟إني جاعل في الأرض خليفة ؟[البقرة:٣٠] . وقال تعالى : ؟ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ؟[الجاثية:١٣] فإذا حقق الإنسان تقدما وسخر شيئا لخدمته فليذكر نعمة ربه عليه وليشكره؛ فما حصل على شيء من ذلك إلا باستخلاف الله له، وتسخيره له. ويحسن أن نذكر هنا كلمة عالم مختص في هذا الموضوع هو الدكتور محمد جمال الدين الفندي أستاذ الفلك والطبيعة الجوية بكلية العلوم بجامعة القاهرة الذي يقول : (إن الظروف الطبيعية التي تؤدي إلى تكوين المزن ونزول المطر لا يمكن أن يصنعها البشر، بل وحتى لا سبيل إلى التحكم فيها. ولا يزال موضوع المطر الصناعي(١)[٥٣] واستمطار السحب العابرة . مجرد تجارب لم يثبت نجاحها بعد ، وحتى إذا ما تم نجاحها فإن من اللازم أن توفر الطبيعة الظروف الملائمة للمطر الطبيعي حتى يمكن استمطار السماء صناعيا أي إن واجب علماء الطبيعة الجوية لا يتعدى قدح الزناد فقط ، بتوليد حالات من فوق التشبع داخل السحب الركامية ، وعلى الأخص داخل المناطق(٢)[٥٤] نفقط الماء فوق البرد) .

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/١٠٠

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع ٢٣٩/٦

الإسلام وغزو الفضاء :". (١)

٨-"فبات منه القلب في البلباله ... ينزو كنز والطير في الحباله
صريد: تصغير صرد، وأضاف إلى الصالة، وهذا كما يقال: غراب البين.
ولقي النبي صلى الله عليه وسلم حضرمي بن عامر في ناس من قومه فنسبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من أنتم؟ فقيل: نحن بنو الزنية فقال عليه السلام: بل أنتم بنو الرشدة فقالوا: لا نرغب عن اسم أبينا، ولا نكون مثل بني محوله، يعنون بني عبد الله بن غطفان. قال:)بل أنتم بنو عبد الله فسموا بني محوله).
وما ذكرناه في هذا الباب كاف في موضعه، وقد استقصيت الكلام في فنونه وشعبه في كتابي المعروف بعنوان الأدب وذلك في الباب الجامع لذكر الرموز والعادات. وهو باب كثير الفوائد، غريب الموارد.
وفي الحديث: أنه كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، واعترض بعضهم عليه فقال: إذا كان الفأل لا يوجب إلا مثل ما توجب الطيرة فيما يرجى أو يخاف، فلا فصل بينهما وذاك أن قول القائل يا واجد وأنت با غ، لا يوجب أمرا بخلاف ما يوجبه قوله: يا مضل، لأن مطلوبك على ما كان عليه لا حقيقة تبدله، ولا مجاز يغيره، فيؤدي الحالتين على طريقة واحدة. قلت: إن تسمع كلمة في نفسها مستحسنة وتكون قد أحدثت من قبل طمعا في أمر من عند الله تعالى فيعجبك سماعك لها إذ كان الطمع خلاف اليأس، ولأن الكلمة واقفته. ومثاله أن تسمع وأنت خائف يا سالم، فالفأل لا يوجب السلامة، ولكن كأنه يبطل اليأس، ويدفع سوء الظن، والرجاء بالله وحسن الظن به محمود مندوب إليه، وإذا ظن أن المرجو من حيث وافق تلك الكلمة كالأقرن، ففرح بذلك فلا بأس عليه. وإذا كان الأمر على هذا فالطيرة بعيدة من هذا، وكذلك المتطير فيما يأتيه أو يذره وهذا ظاهر.
وحكى الجاحظ عن الأصمعي، قال: هرب بعض البصريين من بعض الطواعين فركب حمارا ومضى بأهله نحو سفوان، فسمع غلاما له أسود يحدو خلفه ويقول: لن يسبق الله على حمار، ولا على في ميعة مطار أن يأتي الحتف على مقدار، قد يصبح الله أمام الساري، فلما سمع ذلك رجع بهم، ومن أعجب ما لهم قول الشاعر:
فإن يبرأ فلم أنفث عليه ... وإن يفقد فحق له الفقود
وقول آخر:
فلم أرقه إن ينج منها وإن يمت ... فطعنة لاغس ولا بمغمر
لأن ظاهر هذا الكلام يقتضي أنهم كانوا إذا شكوا سلامة رميهم رقوا نبالهم برقية، ونفثوا فيها نفث السواحر في عقد ما يبرمونه من سحرها. وهذا كما اعتقد في النيران وهي كثيرة ينسب بعضهم إلى العجم، وبعضهم إلى العرب وفي أثنائها نيران الديانات حتى عبدت. ويذكر هنا ما يأخذ كتابنا هذا منه بحظ، فقد استقصى الجاحظ القول فيها، وذكر أحوال المعظمين لها والمستهينين بها وقد قال الله تعالى في ذكر الثقلين:)يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما

---

(١) توحيد الخالق – الزنداني ص/٢٩٨

تكذبان) سورة الرحمن، الآية: ٣٥ ٣٦، وليس يريد أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة، ولكنه أراد التحذير بخلقه لها والوعيد بها غير إدخال الناس فيها، وإحراقهم بها، وفي ذلك نعمه من الله مجددة، إذ كان حال من حذر مخالفا بحال من أهمل وترك وما يختاره. وقال الشاعر يد الخصب شعرا:

في حيث خالطت الخزامي عرفجا ... يأتيك قابس أهله لم يقبس

ومن أمثالهم: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. وفي الجاهلية الأولى إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد البلاء، واشتد الجدب، واحتالوا إلى استمطار جمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر ثم صعدوا بها في جبل وعر وأشعلوا فيها النار وضجوا بالدعاء والتضرع، وكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا. لذلك قال أمية بن أبي الصلت:

سنة أزمة تخيل بالناس ... ترى للعضاة فيها صريرا

سلع ما ومثله عشر ما ... عايل ما وعالت البيقورا

ويقال: بقر وباقر وبيقر وبيقور وبقير. وقال بعضهم: تقربوا بذلك، كما تفرد بعضهم بقربان تأكله النار فإنهم كانوا يأتون بالقرابين ويوقدون نارا عظيمة وتدنى تلك القرابين في لحلف منها وهم يطوفون حولها ويتضرعون، فإذا أكلت النار وقد أشعلوها تلك القرابين عدوا ذلك قبولا لها، وإسعافا بالمطالب منها. وأنشد القحذمي للورل الطائي في لاستمطار:". [١]

٩-". ويظهر ان الذين آمنوا بوجود إله، تصوروا مكانه فوق الإنسان، اي فوق الأرض، في السماء. لذلك كانوا اذا توجهوا اليه بالدعاء رفعوا أيديهم إلى السماء. والسماء، المكان المرتفع اللائق بان يكون مقر الرب أو الأرباب. وهو اعتقاد نجده عند غير الجاهليين أيضا، ومن هذه النظرة ظهر "بعل سمين" "بعل سمن"، أي "رب السماء" و "إله السماء" المذكور في بعض نصوص المسند، وهو إله قبيلة "امر" "أمر" من القبائل العربية الجنوبية. الإله المرسل للسحاب ومنزل الغيث وباعث الحركة والخصب والخير للناس. وقد تعبد له الصفويون كذلك، وذكر في نصوصهم. وعرف عندهم ب " ه - بعل سمن". ولهذه النظرة اتخذ زهادهم لهم معابد خلوية على قمم الجبال وعلى الهضاب والمرتفعات وابتنوا الصروح للتعبد فيها ومناجاة الرب، واتخذوا من الكهوف المنقورة في الجبال مآوي يتعبدون فيها ويعتكفون الأيام والشهور والسنين. وكانوا اذا أمسكت السماء قطرها، وأرادوا الاستمطار، أصعدوا البقر في جبل وعر، وقد أضرموا النار في السلع والعشر المعقودين في أذنابها، وهم يتبعون آثارها، يدعون الله ويستسقونه. ولولا اعتقادهم ان الجبل أقرب إلى الله من الأرض، لما اتعبوا أنفسهم، فصعدوا الجبل المرتفع مع بقرهم، فكان أستسقاءهم من الأرض.

الجبر والاختيار". [٢]

---

(١) الأزمنة والأمكنة ص/٢٧٢

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٠/٩

١٠-"وفي القرآن الكريم آيات مثل:) وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا، فقالوا: هذا لله بزعمهم. وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم، فلا يصل إلى الله، وما كان لله، فهو يصل إلى شركائهم. ساء ما يحكمون (وكذلك زين لكثير. من الناس قتل أولادهم،شركاؤهم ليردوهم، وليلبسوا عليهم دينهم. ولو شاء الله ما فعلوه،فذرهم وما يفترون. وقالوا: هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم،وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها، افتراء عليهم، سيجزيهم بما كانوا يفترون"، وآيات أخرى وكلمات تفيد وجود تسريع ومشرعين لدى الجاهليين، أي رجال دين يبينون لهم الحلال والحرام وأوامر الأصنام، ويشرعون لهم من تشريع كالذي نراه في هذه الآيات وغيرها من أحكام وضعوها للناس باسم آلهتهم، فوبخهم الله في القرآن.على افترائهم هذا على الله وعلى الأصنام التي لا تنطق ولا تعقل.

وكان من أهم واجبات رجال الدين والزهاد والمتنسكين، الاشراف على المعابد وصيانة أموالها، وخدمة الأصنام وتنفيذ الأحكام، وتلبية طلبات الناس في التوسط لدى الآلهة برفع الضر والكرب عنهم، أيام الشدة وساعات العسر. من ذلك التوسل إلى الآلهة. بحفظ القوافل، وانزال الرحمة بالناس سني القحط. ومن ذلك ما يسمونه بالاستسقاء. فقد كانوا يستسقون إذا أجدبوا، فإذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهي: سلع وعشر وشبرق، من كل شجرة شيئا من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة، وربطوا بها ظهر ثور وأضرموا فيها النار، ويرسلون ذلك الثور، فإذا أحس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط. وقد يهلك ذلك الثور فيسقون.

وذكر انهم كانوا اذا أرادوا الاستمطار في الجاهلية اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر، ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع، فكانوا يرون ان ذلك من أسباب السقيا. ولأمية بن أبي الصلت شعر في ذلك.". [١]

١١-"فقد ذكر أهل الأخبار ان العرب كانت في الجاهلية الأولى، اذا احتبس عنهم المطر، ويئسوا من نزوله، يجمعون.البقر ويعقدون في أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ويصعدون بها في الجبل الوعر، ويشعلون فيها النار، ويزعمون ان ذلك من أسباب المطر، قال الشاعر "الورل" الطائي: أ جاعل أنت بيقورا مسلعة وسيلة منك بين الله والمطر

وقد أشير إلى هذه النار في شعر ينسب الى أمية بن أبي الصلت. ويسمونها بنار الاستسقاء وبنار الاستمطار.

وذكروا نارا أخرى قالوا لها: "نار التحالف" و "نار المهول". وقالوا ان العرب كانوا لا يعقدون حلفا إلا عليها، وكانوا اذا اختصموا في شيء،واتفقوا على اليمين، حلفوا على النار. ولهذا قيل لها "نار التحالف". وطريقتهم في ذلك أن المتحالفين أو المتخاصمين يحفرون أمام نار يوقدونها، ثم يلقون عليها ملحا وكبريتا. وعندئذ يذكرون منافع هذه النار ويدعون بالحرمان من خيرها على من ينقض العهد ومحل العقد.وفي حالة الحلف واليمين يقول صاحب النار للحالف: "هذه النار قد تهددتك،فإن كان مبطلا نكل، وان بريئا حلف، ولذلك قيل لها " نار المهول". وذكروا أيضا أن هذه النار كانت معروفة في اليمن، مستعرة دائما، ولها سادة سدنة و قيمون يطرحون الملح والكبريت في النار، أما السدنة فيقومون بأخذ اليمين. وكان

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩/١٤٥

سادنها إذا أتى برجل ليحلف، هيبوه من الحلف بها، وخوفوه من الكذب. وقد عرفت هذه النار ب "نار التحاليف" كذلك.
وقد أشار اليها الكميت بقوله: هم خوفوني بالعمى هوة الردى كما شب نار الحالفين المهول
كما أشار اليها شاعر آخر هو أوس،إذ قال: إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف
وذكر "الجاحظ" أن العرب " يقولون في الحلف: الدم، الدم، والهدم الهدم، لا يزيده طلوع الشمس إلا شدا، وطول الليالي إلا مدا، ما بل البحر صوفة، ومما أقام رضوى في مكانه، إن كان جبلهم رضوى.". (١)

١٢-"قد لاح في هذه الألفاظ تسعة أغلاط خطرت بالبال. والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.)الأول(إدخال الهمزة على غير محل الإنكار وهو جاعل والواجب إدخالها على المسلعة لأنها محل الإنكار نحو أغير الله أبغي حكما)الثاني(تقديم المسند أعني جاعل على المسند إليه أغني أنت الذي هو خلاف الأصل فلا يرتكب إلا لسبب فكان الواجب تقديم المسلعة وإدخال الهمزة عليها وترك التقديم بأن يقال أمسلعة تجعل ذريعة)الثالث(أن نرتب البيت على ما قبله يقتضي أنه فصد الالتفات من الغيبة إلى الخطاب قطعا وأنه بعد أن حكى حالهم الشنيعة التفت إلى خطابهم ومواجهتهم بالتوبيخ حتى كأنهم حاضرون يستمعون وحينئذ يكون قد أخطأ في إيراد أحد اللفظين بالجميع والآخر بالإفراد ولا شك أن شرط الالتفات الاتحاد)الرابع(إن الجاعلين الذين حكي عنهم في البيت الأول هم العرب في الجاهلية فلا وجه لخصيص واحد منهم بالإنكار عليه دون البقية. لا يقال هذا الوجه داخل في الذين قبله. لأنا نقول هذا وارد مع قطع النظر عن كون الكلام أشتاتا أو غير التفات من حيث أنه نسب أمرا إلى جماعة ثم خص واحدا منهم بالإنكار من غير التفات إلى الالتفات أصلا.)الخامس(تنكير المسند إذ لا وجه له مع تقدم العهد حيث علم أن مراده بالجاعل هم الأناس المذكورون في البيت الأول فكان حق الكلام أن يقال أمسلعة أنتم الجاعلون.)السادس(البيقور اسم جمع كما في القاموس واسم الجمع وإن كان يذكر ويؤنث لكن قال الرضى في بحث العدد)ما محصله(أن اسم الجمع إن كان مختصا بجمع المذكر كالرهط والنفر والقوم فإنها بمعنى الرجال فيعطى حكم المذكر في التذكير فيقال تسعة رهط ولا يقال تسع رهط كما يقال تسعة رجال ولا يقال تسع رجال. وإن كان مختصا بالمؤنث فيعطى حكم جمع الإناث نحو ثلاث مخاض لأنها بمعنى حوامل النوق وإن احتملهما كالخيل والإبل والغنم لأنها تقع على الذكور والإناث فإن نصصت على أحد المحتملين فإن الاعتبار بذلك النص انتهى(. فقد صرح بأنها إذا استعملت مرادا بها الذكور تعطى حكم الذكور. وقد نص صاحب القاموس وغيره على أنهم كانوا يعلقون السلع على الثيران فبهذا الاعتبار لا يسوغ وصف البيقور بالمسلعة)السابع(إيراد المسلعة صفة جارية على موصوف مذكر والذي يظهر من عبارة صاحب الصحاح اسم للبقرة التي يعلق عليها السلع للاستمطار لا صفة محضة حيث قال)ومنه المسلعة الخ(ولم يقل ومنه البقرة المسلعة. وقال السيوطي في شرح شواهد المغني نقلا عن أئمة اللغة أن المسلعة ثيران وحش علق عليها السلع وحينئذ فلا يجري على موصوف كما أن لفظ الركب اسم لركبان الإبل مشتق من الركوب ولم يستعمل جاريا على موصوف فلا يقال جاءني رجال ركب بل جاءني ركب)الثامن(إن المنصوص عليه في كتب اللغة أن الذرية بمعنى الوسيلة لا غير وأن

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١١٤/١٠

الوسيلة مستعملة في التعدية بإلى فاستعمل الذريعة فيها بدون إلى مع لفظ بين مخالف لوضعها واستعمالها المنصوص عليه. وأما اللام في لك فإنها للاختصاص فلا دخل لها في التعدية كما يقال أرسل هذا الكتاب تحفة لك)التاسع(قوله بين الله والمطر لا معنى له والصواب بينك وبين الله لأجل المطر. وذلك لأنهم كانوا يشعلون النيران في السلع والعشر المعلقة على الثيران ليرحمهما الله تعالى وينزل المطر لإطفائها عنها كما تقدم في الكتاب والله تعالى أعلم انتهى)وتعقب ذلك(المحبي بقوله)أقول لا يخفى أن ما استخرجه لا يسمى أغاليط فأجل فكرك فيما هناك تصب المحز انتهى(ولعل الحمادي حمل الغلط على ما يشمل خلاف الأولى بناء على أنه في البليغ غلط فذكر ما ذكر ومع هذا لا يخلو عن بحث)وقد سئل(شيخنا علاء الدين علي أفندي الموصلي عن هذه الأغلاط فأجاب بما وافق بعضه بعض ما ذكر وبما خالف وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية. فارجع إليه إن أردته. وهو أيضا مبني على حمل الغلط على ما سمعت آنفا. ولا يكاد يسلم وجود أغلاط تسعة في البيت والغلط بمعناه المتبادر فتأمل وانصف)ومن مشهور العيارات(التي يسأل عنها من عبارات القاموس أيضا عبارته في الكلام على العسر والأمر فيها أسهل من الأمر في الأغلاط ولعل الرجوع إلى الأقيانوس يتكفل بحلها)وقد كتب(عليها شيخ مشايخنا العلامة السيد صبغة الله أفندي لكنه نوقش فيما كتب ولولا خوف الإطالة لذكرت". [١]

١٣-"منها النار التي كانوا يستعملونها في الجاهلية الأولى: كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر، ثم صدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النار، وضجوا بالدعاء والتضرع.

وكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا.

نار التحالف

ونار أخرى كانوا يوقدونها عند التحالف، ويعقدون عندها حلفهم، ويدعون على ناقض العهد، ويهولون أمرها.

قال أوس بن حجر:

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه ... كما صدعن نار المهول حالف

نار الطرد

ونار أخرى كانوا ربما أوقدوها خلف المسافر والزائر الذي لا يحبون رجوعه، ويقولون في الدعاء: أبعده الله وأسحقه! وأوقدوا نارا إثره.

نار القرى

النار التي يوقدونها للأشعار بالعزة وجمع الأولياء. ونار القرى يوقدها الجواد الليل كله في ليالي الشتاء وغيرها ليستدل بها الأضياف.

---

(١) غرائب الاغتراب ص/١٦٨

نار الإياب

ونار الإياب توقد للقادم من السفر سالما غانما. قال الشاعر:

يا لبيني أوقدي النارا=إن من تهوين قد حارا

حار: رجع.

نار العار

ونار العار كان المغدور به يوقد نارا أيام الحج على الجبل المطل على منى، ثم يصيحون: هذه غدرة فلان! فيدعو عليه أهل الموسم.

قالت امرأة من هاشم

فان تهلك فلم تقرب عقوقا ... ولم توقد لنا بالغدر نارا

خيل العرب المشهورة

قال الوزير الآبي: عن ابن عباس أن أول من اتخذ الخيل وركبها إسماعيل عليه السلام. وقالوا: كان داود عليه السلام يحبها حبا شديدا، وجمع ألف فرس؛ فأورثها سليمان عليه السلام، فقال: ما أورثني داود ما لا أحب إلي من هذه الخيل! وضمرها.

ومن الأفراس القديمة:

زاد الركب

قالوا: إن قوما من أزد عمان قدموا على سليمان بعد تزويجه بلقيس، فأعطاهم هذا الفرس، وانتشرت الخيل منه في العرب. وأشهر ما أنتج منه: أعوج الذي كان لهلال بن عامر، وأفراس غني بن أعصر المشهور التي يقول فيها طفيل الغنوي:". [١]

١٤-"٥٦ - يوم الهاشمية - وقع عام ١٣٦ - أو - ١٣٧ للهجرة لأبي جعفر المنصور في قتاله للمسودة وابن هبيرة. وكان معن بن زائدة وحاجبه أبو الخصيب قد نهياه عن قتاله، وان الناس لا يأتون الا بالاموال، فلم يأخذ بنصيحتهما وركب دابته وتجمع الناس عليه فتغلب على خصومه. والهاشمية: قريبة من الكوفة أسسها السفاح العباسي، وهي اليوم قضاء في جمهورية العراق.

؟الفصل الرابع

في ذكر نيران العرب

في الجاهلية وهي ثلاث عشرة نارا

١ - نار المزدلفة - وهي نار توقد في المزدلفة ليراها من دفع من عرفته، وأول من أوقدها قصي بن كلاب وهي توقد الى الآن.

٢ - نار الاستمطار - كانوا في الجاهلية الأولى اذا احتبس المطر عنهم جمعوا البقر وعقدوا في أذنابها وعراقيبها السلع والعشر

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ص/٢٧٧

ثم يصعدون بها في الجبل الوعر ويشعلون فيها النار، ويزعمون ان ذلك من اسباب المطر.
٣ – نار الحلف – كانو اذا أرادوا عقد حلف أوقودا النماء وعقدوا الحلف عندها، ويذكرون خيرها، ويدعون بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد. قال أبو هلال العسكري: وانما كانوا يخصون النار بذلك لأن منفعتها تختص بالانسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان.
٤ – نار الطرد – فانهم كانوا يوقدونها خلف من مضى ولا يحبون رجوعه.
٥ – نار الاهبة للحرب – كانوا اذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا أوقدوا نارا على جبلهم ليبلغ الخبر أصحابهم فيأتونهم.
٦ – نار الحرثين كانت في بلاد عبس فاذا كان الليل فهي نار تسطع، وفي النهار دخان يرتفع، وربما بدر منها عنق فاحرق من مر بها فمر خالد بن سنان المتنبي فدفنها فكانت معجزة له.
٧ – نار السعالى – وهي نار ترتفع للمقفر والمتغرب فيتبعها فتهوى بها الغول على زعمهم كما تقدم في الكلام على اوابد العرب.
٨ – نار الصيد – وهي نار توقد للظباء تغشاها لتعشي اذا نظرت اليها.
٩ – نار الأسد – وهي نار توقد اذا خافوا الأسد لينفر عنهم فان من شأنه النفار عن النار، لانه اذا رأى النار حدث له فكر يصده عن قصده.
١٠ – نار السليم – توقد للملدوغ، كانو يوقدون النار للملدوغ اذا لدغ يساهرونه بها، وكذلك اذا نزف دمه، والمضروب بالسياط، ومن عضه كلب، كي لا يناموا فينتابهم الأمر حتى يؤدي بهم إلى التهلكة.
١١ – نار القرى – وهي نار توقد ليلا ليراها الاضياف فيهتدوا اليها.
١٢ – نار الفداء – كان الملوك منهم اذا سبوا نساء قبيلة، خرجت اليهم السادة للفداء والاستيهاب، فيكرهون أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن أو في الظلمة فيخفى قدر ما يحسبون لأنفسهم من الصفى فيوقدون الناء لعرضهن.
١٣ – نار الوسد – وهي النار التي يسم بها لارجل منهم خيله وابله، فيقال له ما سمة ابلك فيقول نار كذا.

الفصل الخامس

في ذكر اسواق العرب

المعروفة قبل الاسلام

قد كان للعرب في الجاهلية اسواق يقيمونها في شهور السنة وينتقلون من بعضها الى بعض، ويحضرها سائر قبائل العرب من بعد منهم ومن قرب، فكانوا ينزلون دومة الجندل أول يوم من ربيع الاول، فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء، فيعشرهم رؤساء آل بدر في دومة الجندل وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشرهم بعض رؤساء كلب، فتقوم سوقهم الى آخر الشهر، ثم ينتقلون الى سوق هجر وهو المشهور في ربيع الآخر فتقوم أسواقهم بها، وكان يعشرهم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم، ثم يرتحلون نحو عمان بالبحرين، فتقوم سوقهم بها، ثم يرتحلون فينزلون ارم وقرى الشحر فتقوم اسواقها بها أياما، ثم يرتحلون فينزلون عدن من اليمن أيضا فيشترون منه اللطائم وانواع الطيب، ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت، ومنهم من يجوزها الى صنعاء، ثم تقوم السواقهم بها ويجلبون منها الخز والادم والبرود وكانت تجلب اليها من

معافر، ثم يرتحلون الى هكاظ في الاشهر الحرم فتقوم اسواقهم بها، ويتناشدون الاشعار ويتحاجون، ومن له اسير سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع الى الذي يقوم بأمر الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم، كان احدهم الاقرع بن جابس، ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج ويرجعون الى أوطانهم.". [١]

١٥-"

إحداها : هذه وهي نار القرى وهي نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل . وأول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة قصي بن كلاب .

الثانية : نار الاستمطار كانت العرب في الجاهلية الأولى إذا احتبس عنهم المطر يجمعون البقر ويعقدون في أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ويصعدون بها في الجبل الوعر ويشعلون فيها النار .

ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر .

الثالثة : نار التحالف كانوا إذا أرادوا الحلف أوقدوا نارا وعقدوا حلفهم عندها ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد .

الرابعة : نار الطرد كانوا يوقدونها خلف من يمضي ولا يشتهون رجوعه .

الخامسة : نار الأهبة للحرب كانوا إذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا أوقدوا نارا على جبلهم ليبلغ الخبر فيأتوهم .

السادسة : نار الصيد وهي نار توقد للظباء لتعشى إذا نظرت إليها . ويطلب بها أيضا بيض النعام .

السابعة : نار الأسد وهي نار يوقدونها إذا خافوه . وهو إذا رأى النار استهالها فشغلته عن السابلة . وقال بعضهم : إذا رأى الأسد النار حدث له فكر يصده عن إرادته . والضفدع إذا رأى النار تحير وترك النقيق .

الثامنة : نار السليم توقد للملدوغ إذا سهر وللمجروح إذا نزف وللمضرب بالسياط ولمن عضه الكلب الكلب لئلا يناموا فيشتد بهم الأمر ويؤدي إلى الهلاك .

التاسعة : نار الفداء وذلك أن الملوك إذا سبوا القبيلة خرجت إليهم السادة للفداء . فكرهوا أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن وفي الظلمة يخفى قدر ما يحبسون لأنفسهم من الصفي فيوقدون النار ليعرضن .

." [٢]

١٧-" استمطارهم بإضرام)

النار في أذناب البقر . قال أبو حنيفة : أخبرني أعرابي من أهل السراة أن السلع شجر مثل السنعبق ، إلا أنه ينبت بقرب الشجرة ، ثم يتعلق بها ، فيرتقي فيها حبالا خضرا لا ورق لها ، ولكن قضبان تلتف على الغصون وتتشبك ، وله ثمر

---

(١) نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب ص/١٥٣

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ١٣٥/٧

مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أينع اسود ، فتأكله القرود فقط ، ولا يأكله الناس ولا السائمة . قال : ولم أذقه ، وأحسبه مرا . قال : وإذا قصف سال منه ماء لزج صاف ، له سعابيب ، ولمرارة السلع قال بشر بن أبي خازم : ٪ (يرومون الصلاح بذات كهف ٪ وما فيها لهم سلع وقار) ٪ هذا قول السروي ، وقد قال أبو النجم في وصف الظليم : ٪ (ثم غدا يجمع من غذائه ٪ من سلع الغيث ومن خوائه) ٪ وهذا بعينه من وصف السروي . السلع : نبت يخرج في أول البقل لا يذاق ، إنما هو سم ، وهو مثل الزرع أول ما يخرج ، وهو لقط قليل في الأرض ، وله وريقة صفراء شاكة ، كأن شوكها زغب ، وهو بقلة تتفرش كأنها راحة الكلب لا أرومة لها ، قاله أبو زياد . قال : وليس بمستنكر أن ترعاه النعام مع مرارته ، فقد ترعى النعام الحنظل الخطبان . أو هو ضرب من الصبر ، أو بقلة من الذكور خبيثة الطعم ، قاله أبو حنيفة . قلت : وبمثل ما وصف السروي آنفا شاهدته بعيني في أرض اليمن . السلع : البرص ، عن ابن دريد ، قال جرير : ٪ (هل تذكرون على ثنية أقرن ٪ أنس الفوارس يوم يهوي الأسلع) ٪

". (١)

"١٢٧ - (٧٣) وحدثنى عباس بن عبد العظيم العنبرى، حدثنا النضر بن محمد. حدثنا عكرمة - وهو ابن عمار - حدثنا أبو زميل، قال: حدثنى ابن عباس قال: مطر

قال القاضى من طريق ابن عباس فى الأم فى هذا الحديث: " أصبح من الناس شاكر وكافر ": فمقابلته لشاكر بكافر يدل أن المراد كفر النعمة وجحدها إذا لم يضفها إلى ربه ويشكره عليها ولا ولى الأمر أهله، واقتصر على ذكر عادة غير مؤثرة، ومخلوقات مسخرة وآلات مدبرة، وكذلك يدل عليه قوله - أيضا - فى الحديث الآخر: " ما أنزل الله من السماء من بركة " وفى اللفظ الآخر: " ما أنعمت على عبادى (١) من نعمة إلا أصبح فريق منهم كافرين "، فدل أنه كفر نعمة لا كفر بالله. وإنما يجوز من هذا أن يذكر بمعنى الوقت أو الآلة، كما قال صلى الله عليه وسلم: " تلك عين غديقة "، وكما قال عمر: كم بقيا لنوء الثريا. فأما القول: مطرنا بنوء كذا وإن لم يعتقد قائله تأثير النجوم وفعلها، ففيه مشابهة لقول من يعتقد ذلك، والشرع قد حمى (٢) التشبيه بالكفار، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ (٣). إذ كانت كلمة اليهود والمنافقين معرضين بها.

وورد فى آخر الحديث المتقدم أن فى هذا نزلت: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ إلى قوله: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ (٤).

وقد اختلف المفسرون فى معنى هذه الآية، ومعنى النجوم فيها، ومعنى الرزق، فذهب الحسن ومجاهد وقتادة: أن النجوم فيها نجوم السماء ومواقعها إما مغاربها وإما مطالعها أو انكدارها أو انتثارها يوم القيامة، على اختلاف تأويلاتهم فى ذلك. وقيل:

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ٢١٤/٢١

= ومعنى: " إذا أنشأت بحرية ": أى إذا ظهرت سحابة من ناحية البحر، ومعنى: " تشاءمت ": أى أخذت نحو الشام، و " غديقة " هى مصغر غدقة، قال تعالى: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾ [الجن: ١٥] أى كثيرا - وقال مالك: " معناه: إذا ضربت ريح بحرية فأنشأت سحابا ثم ضربت ريح من ناحية الشمال، فتلك علامة المطر الغزير. والعين مطر أيام لا يقلع ". الموطأ، ك الاستسقاء، ب الاستمطار بالنجوم ١/ ١٩٢.

(١) في ت: عبدى.

(٢) كتب أمامها بهامش ت: " حرم " كالتفسير لها. وحمى أوسع دلالة على المراد من حرم، فهى هنا بمعنى المنع، أعم من أن يكون حراما أو مكروها.

(٣) البقرة: ١٠٤. وذلك أن اليهود - عليهم اللعائن - كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا، يورون بالرعونة، كما قال تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين﴾ [النساء: ٤٦] تفسير القرآن العظيم ١/ ٢١٣.

(٤) الواقعة: ٧٥ - ٨٢.." (١)

"كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات وركد عليهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، استجمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها، السلع والعشر [١] ، ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع. فكانوا يرون أن ذلك من أسباب الشقيا. ولذلك قال أمية [٢] : [من الخفيف]

سنة أزمة تخيل بالنا ... س ترى للعضاه فيها صريرا [٣]

إذ يسفون بالدقيق وكانوا ... قبل لا يأكلون شيئا فطيرا [٤]

ويسوقون باقرا يطرد السه ... ل مهازيل خشية أن يبورا [٥]

عاقدين النيران في شكر الأذ ... ناب عمدا كيما تهيج البحورا [٦]

فاشتوت كلها فهاج عليهم ... ثم هاجت إلى صبير صبيرا [٧]

فرآها الإله ترشم بالقط ... ر وأمسى جنابهم ممطورا [٨]

فسقاها نشاصه واكف الغي ... ث منه إذ رادعوه الكبيرا [٩]

سلع ما ومثله عشر ما ... عائل ما وعالت البنقورا [١٠]

[١] السلع والعشر: ضربان من الشجر.

[٢] ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٩٦- ٣٩٩، وعيار الشعر ٦٠، ٢/ ٣٩٥، والحماسة البصرية ٢/ ٣٩٥.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٣٣٢/١

[٣] في ديوانه: «سنة جدبة: شديدة القحط، وهي من الأزم، وهو العض بالفم أو بالأنياب. تخيل بالناس: تشتبه عليهم فيتوهمون الخير ولا خير فيها. العضاه: كل شجر له شوك» .

[٤] في ديوانه: «سففت الدقيق: أخذته غير معجون. الفطير: العجين الذي لم يختمر.

[٥] في ديوانه: «الباقر: جماعة البقر. يبور: يهلك» .

[٦] في ديوانه: «الشكر: مفردها شكير، وهو من الشعر» . والريش والنبت ما نبت صغاره بين كباره.

تهيج البحور: أراد تبعث المطر الغزير الذي يشبه البحور بغزارته» .

[٧] في ديوانه: «وهاجت السماء: غيمت وكثرت ريحها، وهاجت الإبل: عطشت. والصبير: السحاب يثبت يوما وليلة لا يبرح، كأنه يصبر، أي يحبس» .

[٨] في ديوانه: «الرشم: الأثر والعلامة» .

[٩] في ديوانه: «النشاص: السحاب المرتفع. والواكف: الهاطل. منه: فاعل من نهى الشيء وانتهى وتناهى، إذا بلغ نهايته. وردعه عن الأمر: كفه، ورادعوه: للمشاركة؛ فهم كفوا عما بهم من إثم، وهو كف عن الانحباس والتشديد عليهم. والكبيرا صفة قامت مقام الموصوف بعد حذفه، والتقدير: رادعوه الشر الكبيرا. منه: حال «نشاصه» ، أي سقاها نشاصه بالغا نهايته، وكان حقها أن تكون «منهيا» ولكنه حذف الياء ضرورة كحذفها في الرفع والجر.

[١٠] في ديوانه: «السلع والعشر: ضربان من الشجر. وعال الشيء فلانا: ثقل عليه، يريد أن السنة أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر» .." (١)

"ومنزل الغيث وباعث الحركة والخصب والخير للناس١. وقد تعبد له الصفويون كذلك، وذكر في نصوصهم. وعرف عندهم بـ"هـ - بعل سمن"٢.

ولهذه النظرة اتخذ زهادهم لهم معابد خلوية على قمم الجبال وعلى الهضاب والمرتفعات وابتنوا الصروح للتعبد فيها ومناجاة الرب، واتخذوا من الكهوف المنقورة في الجبال مآوي يتعبدون فيها ويعتكفون الأيام والشهور والسنين. وكانوا إذا أمسكت السماء قطرها، وأرادوا الاستمطار، أصعدوا البقر في جبل وعر، وقد أضرموا النار في السلع والعشر المعقودين في أذنابها، وهم يتبعون آثارها، يدعون الله ويستسقونه٣. ولولا اعتقادهم أن الجبل أقرب إلى الله من الأرض، لما أتعبوا أنفسهم، فصعدوا الجبل المرتفع مع بقرهم، فكان استسقاؤهم من الأرض.

---

١. Rep, Epligr, 4142, Grohmann, s. 245.

٢ F. V. Winnett, Safaitic Inscriptions from Jordan, p. 18, 23

٣ ابن فارس، رسالة النيروز "ص١٨ وما بعدها".." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤/٤٩٢

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٢١/١١

"﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون، وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ ١، وآيات أخرى وكلمات تفيد وجود تشريع ومشرعين لدى الجاهليين، أي رجال دين يبينون لهم الحلال والحرام وأوامر الأصنام، ويشرعون لهم من تشريع كالذي نراه في هذه الآيات وغيرها من أحكام وضعوها للناس باسم آلهتهم، فوبخهم الله في القرآن على افترائهم هذا على الله وعلى الأصنام التي لا تنطق ولا تعقل.
وكان من أهم واجبات رجال الدين والزهاد والمتنسكين، الأشراف على المعابد وصيانة أموالها، وخدمة الأصنام وتنفيذ الأحكام، وتلبية طلبات الناس في التوسط لدى الآلهة برفع الضر والكرب عنهم، أيام الشدة وساعات العسر. من ذلك التوسل إلى الآلهة. بحفظ القوافل، وإنزال الرحمة بالناس سني القحط. ومن ذلك ما يسمونه بالاستسقاء. فقد كانوا يستسقون إذا أجدبوا، فإذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهي: سلع وعشر وشبرق، من كل شجرة شيئا من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة، وربطوا بها ظهر ثور وأضرموا فيها الناس، ويرسلون ذلك الثور، فإذا أحس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط. وقد يهلك ذلك الثور فيسقون٢.
وذكر أنهم كانوا إذا أرادوا الاستمطار في الجاهلية اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر، ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع. فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا. ولأمية بن أبي الصلت شعر في ذلك٣.
وكان من عادة أهل مكة في الاستسقاء، أنهم كانوا إذا أجدبوا وقحطوا، واشتدت بهم الحاجة، خرج من كل بطن منهم رجل، ثم يغتسلون بالماء، ويتطيبون، ثم يلتمسون الركن ويطوفون بالبيت العتق سبعا، ثم يرقون أبا قبيس، فيتقدم رجل منهم، يكون من خيارهم، ومن رجال الدين فيهم، ممن يتبركون به، فيدعو الله ويستغيث طالبا الرحمة والغوث بالمتوسلين إليه. ويذكرون أن "عبد المطلب"، كان ممن استسقى لأهل مكة ولغيرهم مرارا٤.

---

١ الأنعام، الرقم ٦، الآية ١٣٧ وما بعدها.

٢ السيرة الحلبية "١/ ١٣٢".

٣ الحيوان "٤/ ٤٦٦ وما بعدها".

٤ السيرة الحلبية "١/ ١٣٢ وما بعدها".." (١)

"٩٥ - (نار التهويل) كانت العرب توقد نارا يهولون بها على الأسود إذا حافوها والأسد إذا عاين النار حدق إليها وتأملها فما أكثر ما يشغله عن السابلة
ومر أبو ثعلب الأعرج فى رفقه بوادى السباع فعرض لهم سبع فقال له المكارى لو أمرت غلمانك فأوقدوا نارا وضربوا الطساس الذى معهم ففعلوا فأحجم عنهم الأسد فقال فى حبه النار والصوت الشديد بعد بغضه لهما

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٢١/١١

(فأحببتها حبا هويت خلاطها ... ولو فى صميم النار نار جهنم)

(وصرت ألذ الصوت لو كان صاعقا ... وأطرب من صوت الحمار المرقم)

٩٥ - (نار الإنذار) كانوا إذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا عظيما فأرادوا الاجتماع أوقدوا نارا ليبلغ الخبر أصحابهم قال عمرو بن كلثوم

(ونحن غداة أوقد فى خزازى ... رفدنا فوق رفد الرافدينا)

٩٥٣ - (نار الاستكثار) كانوا إذا نزلوا منزلا وهم جيش يريدون محاربة قوم اسكثروا من النيران وأكثروا من الذبح مخافة أن يجزرهم جازر بقلة ذبحهم ونيرانهم فيستدل على العورة منهم

٩٥٤ - (نار الاستمطار) كانت العرب فى الجاهلية الجهلاء إذا تتابعت عليهم الأزمان وركد فيهم البلاء واشتد الجدب واحتاجوا إلى الاستمطار استجمعوا ما قدروا عليه من البقر وعقدوا فى أذنابها وبين." [1]

"نظرت وتشوفت إلى هذه النار.

حكى الفراء لحت الشيء إذا أبصرته. وأنشد: المتقارب

(وأحمر من ضرب دار الملوك ... تلوح على وجهه جعفر)

كذا في شرح أبيات الجمل لابن السيد. واليفاع بالفتح: الموضع العالي. وجعل النار في يفاع لأنه أشهر لها لأنها إذا كانت في اليفاع أصابتها الرياح فاشتعلت. وهذه النار نار الضيافة كانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر وربما يوقدونها بالمندلي الرطب وهو عطر ينسب إلى مندل وهو بلد من بلاد الهند ونحوه مما يتبخر به ليهتدي إليها العميان. وأشعارهم ونيران العرب على ما في كتاب الأوائل لإسماعيل الموصلي اثنتا عشرة نارا:)

إحداها: هذه وهي نار القرى وهي نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل. وأول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة قصي بن كلاب.

الثانية: نار الاستمطار كانت العرب في الجاهلية الأولى إذا احتبس عنهم المطر يجمعون البقر ويعقدون في أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ويصعدون بها في الجبل الوعر ويشعلون فيها النار.

ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر.

الثالثة: نار التحالف كانوا إذا أرادوا الحلف أوقدوا نارا وعقدوا." [2]

"والإبل والغنم لأنها تقع على الذكور والإناث فإن نصت على أحد المحتملين فإن الاعتبار بذلك النص انتهى فقد صرح بأنها إن استعملت مرادا بها الذكور تعطى حكم الذكور وقد نص صاحب القاموس وغيره على أنهم كانوا يعلقون السلع على الثيران كما تقدم فبهذا الاعتبار لا يسوغ وصف البقور بالمسلعة السابع إيراد المسلعة صفة جارية على موصوف مذكور والذي يظهر من عبارة صاحب الصحاح أنها اسم للبقر التي يعلق عليها السلع للاستمطار لا صفة محضة حيث

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٥٧٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٤٧/٧

قال ومنه المسلعة إلى آخره ولم يقل ومنه البقر المسلعة وقال السيوطي في شرح شواهد المغني نقلا عن أئمة اللغة أن المسلعة ثيران وحش علق فيها السلع وحينئذ فلا تجري على موصوف كما أن لفظ الركب اسم لركبان الإبل مشتق من الركوب ولم يستعمل جاريا على موصوف فلا يقال جاء رجال ركب بل جاء ركب الثامن أن المنصوص عليه في كتب اللغة أن الذريعة بمعنى الوسيلة لا غير وأن الوسيلة مستعملة في التعدية بإلى فاستعمال الذريعة هنا بدون إلى مع لفظة بين مخالف لوضعها واستعمالها المنصوص عليه وأما اللام في لك فإنها للاختصاص فلا دخل لها في التعدية كما يقال اجعل هذا الكتاب تحفة لك التاسع قوله بين الله والمطر لا معنى له والصواب بينك وبين الله لأجل المطر وذلك لأنهم كانوا يشعلون النيران في السلع والعشر المعلقة على الثيران ليرحمها الله تعالى وينزل المطر لإطفاء النار عنها كما تقدم والله أعلم أقول لا يخفى أن ما استخرجه لا يسمى أغلبة أغاليط فأجل فكرك فيما هنالك تصب المحز والسلع بفتحتين والعشر بضمة ففتحة ضربان من الشجر كانت العرب إذا أرادوا الاستسقاء في سنة الجدب عقدوها في أذناب البقر وبين عراقيبها وأطلقوا فيها النار وصعدوا بها الجبال ورفعوا أصواتهم بالدعاء وهذه النار أحد نيران العرب وهي أربعة عشر نار المزدلفة توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصي بن كلاب وهذه ونار التحالف لا يعقدون الحلف إلا عليها يطرحون فيها الملك والكبريت فإذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا إذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان فيفتضح الغادر دنيا وأخرى فينصب له لواء يوم المحشر وينادى عليه على رؤوس الأشهاد هذه غدرة فلان بن فلان ثم يلقى في النار ونار السلامة توقد للقادم من سفره سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم." (١)

"وإنه لمن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى "الجاهلية" و"العصر الجاهلي" وغير ذلك من كلمات ترددت كثيرا بين صفحات هذه الدراسة.

يقول السيوطي إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة النبوية الشريفة، والقرآن الكريم لم يستعمل كلمة "الجاهلية" هذه، إلا في العصر المدني، ومن ثم فإنك تجدها في السور المدنية –وليس المكية– كما في سورة آل عمران والمائدة والأحزاب والفتح، وإن استعمل كلمة "الجاهليين" في العصر المكي والمدني، كما في سورة البقرة والأعراف والفرقان١.

وقد ذهب البعض إلى أن المقصود من كلمة "الجاهلية" إنما هو الجهل والجهالة، نقيضي العلم والمعرفة، أو الجهل بالقراءة والكتابة، ومن ثم فقد ترجمت الكلمة في اللغة الإنجليزية "The Time Of Lgnoravce" وفي الألمانية " Zert Der Unwissenheit"، بينما ذهب فريق ثان إلى أنها إنما تعني الجهل بالله وبرسوله وبشرائع الدين، وباتباع الوثنية والتعبد لغير الله٢.

على أن فريقا ثالثا ذهب إلى أن الكلمة إنما تعني "السفه" الذي هو ضد الحلم، وفي الحديث الشريف: "إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل" ٣، ومن هذا قول عمرو بن كلثوم.

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣٨٣/٢

١ انظر: سورة البقرة: آية ٦٧، آل عمران: آية ١٥٤، المائدة: آية ٥٠، الأعراف: آية ١٩٩، الفرقان: آية ٦٣، الأحزاب: آية ٣٣، الفتح: آية ٢٦، تفسير الطبري ٣/ ١٨٣، ٧/ ٣٢٠-٣٢٦، ١٠/ ٣٩٤-٣٩٥، ١٣/ ٣٢٦-٣٣٢ "دار المعارف" ١٩/ ٣٢-٣٥، ٢٢/ ٢-٨ "طبعة الحلبي"، تفسير القرطبي ص١٤٨٣-١٣٨٥، ٢٢١-٢٢١٣، ٥٢٦٠-٥٢٦٤، ٦١٠٨-٦١٠٩ "دار الشعب ٦٩-١٩٧٠"، تفسير روح المعاني ٢٢/ ٨-٩، تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٤-١٢٦، ٣/ ١١٨-١٢٣، تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٢٠٩، تفسير البيضاوي ٢/ ٢٤٥، ٤٠٤، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: المزهر في علوم اللغة، القاهرة ١٩٤٢.

٢ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص١٨٣-١٨٨، عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص٥٣، نهاية الرب ١/ ١٥، جواد علي ١/ ٣٨، تفسير الطبري ٧/ ٣٢٠-٣٢٦، روح المعاني ٢٢/ ٩، يحي الخشاب: المرجع السابق ص١٢، محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم ص١٢٩-١٤١.

وكذا S.M. Zwemer, Arabia, The Cradle Of Islam, P.158. وكذا Ency. Of Islam, I, P.999

٣ وانظر قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من عمل أهل الجاهلية لا يدعهن الناس، الطعن بالأنساب والاستمطار بالكواكب والنياحة " انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٥، مجموعة الحديث - الرياض ١٩٦٩ ص٢٦٧-٢٦٨، ثم قارن رواية أخرى للحديث الشريف في: مجموعة فتاوى ابن تيمية ١١/ ١٧٤".." [1]

"النوع الخامس عشر في معرفة عادات العرب؛ وهي صنفان

الصنف الأول نيران العرب

قذ ذكر أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» للعرب ثلاث عشرة نارا:

الأولى نار المزدلفة

- وهي نار توقد بالمزدلفة «١» من مشاعر الحج ليراها من دفع من عرفة. وأول من أوقدها قصي بن كلاب، فهي توقد إلى الآن.

الثانية نار الاستمطار

- كانوا في الجاهلية الأولى إذا احتبس المطر جمعوا البقر وعقدوا في أذنابها وعراقيبها السلع والعشر «٢» ويصعدون بها في الجبل الوعر، ويشعلون فيها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر، قال الشاعر: «٣» .

أجاعل أنت بيقورا «٤» مسلعة ... وسيلة منك بين الله والمطر

الثالثة نار الحلف

- كانوا إذا أرادوا عقد حلف أوقدوا النار وعقدوا الحلف عندها، ويذكرون خيرها، ويدعون بالحرمان من خيرها على من نقض العهد، وحل العقد. قال العسكري «وإنما كانوا يخصون النار بذلك لأن منفعتها تختص بالإنسان، لا يشاركه فيها

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم محمد بيومى مهران ص/١٨

شيء من الحيوان غيره» .

الرابعة نار الطرد

– وهي نار كانوا يوقدونها خلف من يمضي ولا يحبون رجوعه.." [1]

"قد لاح في هذه الألفاظ تسعة أغلاط خطرت بالبال. والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.) الأول (إدخال الهمزة على غير محل الإنكار وهو جاعل والواجب إدخالها على المسلعة لأنها محل الإنكار نحو أغير الله أبغي حكما) الثاني (تقديم المسند أعني جاعل على المسند إليه أغني أنت الذي هو خلاف الأصل فلا يرتكب إلا لسبب فكان الواجب تقديم المسلعة وإدخال الهمزة عليها وترك التقديم بأن يقال أمسلعة تجعل ذريعة) الثالث (أن نرتب البيت على ما قبله يقتضي أنه فصد الالتفات من الغيبة إلى الخطاب قطعا وأنه بعد أن حكى حالهم الشنيعة التفت إلى خطابهم ومواجهتهم بالتوبيخ حتى كأنهم حاضرون يستمعون وحينئذ يكون قد أخطأ في إيراد أحد اللفظين بالجميع والآخر بالإفراد ولا شك أن شرط الالتفات الاتحاد) الرابع (إن الجاعلين الذين حكي عنهم في البيت الأول هم العرب في الجاهلية فلا وجه لخصيص واحد منهم بالإنكار عليه دون البقية. لا يقال هذا الوجه داخل في الذين قبله. لأنا نقول هذا وارد مع قطع النظر عن كون الكلام أشتاتا أو غير التفات من حيث أنه نسب أمرا إلى جماعة ثم خص واحدا منهم بالإنكار من غير التفات إلى الالتفات أصلا.) الخامس (تنكير المسند إذ لا وجه له مع تقدم العهد حيث علم أن مراده بالجاعل هم الأناس المذكورون في البيت الأول فكان حق الكلام أن يقال أمسلعة أنتم الجاعلون.) السادس (البيقور اسم جمع كما في القاموس واسم الجمع وإن كان يذكر ويؤنث لكن قال الرضى في بحث العدد) ما محصله (أن اسم الجمع إن كان مختصا بجمع المذكر كالرهط والنفر والقوم فإنها بمعنى الرجال فيعطى حكم المذكر في التذكير فيقال تسعة رهط ولا يقال تسع رهط كما يقال تسعة رجال ولا يقال تسع رجال. وإن كان مختصا بالمؤنث فيعطى حكم جمع الإناث نحو ثلاث مخاض لأنها بمعنى حوامل النوق وإن احتملهما كالخيل والإبل والغنم لأنها تقع على الذكور والإناث فإن نصصت على أحد المحتملين فإن الاعتبار بذلك النص انتهى (. فقد صرح بأنها إذا استعملت مرادا بها الذكور تعطى حكم الذكور. وقد نص صاحب القاموس وغيره على أنهم كانوا يعلقون السلع على الثيران فبهذا الاعتبار لا يسوغ وصف البيقور بالمسلعة) السابع (إيراد المسلعة صفة جارية على موصوف مذكر والذي يظهر من عبارة صاحب الصحاح اسم للبقرة التي يعلق عليها السلع للاستمطار لا صفة محضة حيث قال) ومنه المسلعة الخ (ولم يقل ومنه البقرة المسلعة. وقال السيوطي في شرح شواهد المغني نقلا عن أئمة اللغة أن المسلعة ثيران وحش علق عليها السلع وحينئذ فلا يجري على موصوف كما أن لفظ الركب اسم لركبان الإبل مشتق من الركوب ولم يستعمل جاريا على موصوف فلا يقال جاءني رجال ركب بل جاءني ركب) الثامن (إن المنصوص عليه في كتب اللغة أن الذرية بمعنى الوسيلة لا غير وأن الوسيلة مستعملة في التعدية بإلى فاستعمل الذريعة فيها بدون إلى مع لفظ بين مخالف لوضعها واستعمالها المنصوص عليه. وأما اللام في لك فإنها للاختصاص فلا دخل لها في التعدية كما يقال أرسل هذا الكتاب تحفة لك) التاسع (قوله بين الله والمطر لا معنى له والصواب بينك وبين الله لأجل المطر. وذلك لأنهم كانوا يشعلون النيران في السلع والعشر المعلقة على

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٦٦/١

الثيران ليرحمهما الله تعالى وينزل المطر لإطفائها عنها كما تقدم في الكتاب والله تعالى أعلم انتهى) وتعقب ذلك (المحبي بقوله) أقول لا يخفى أن ما استخرجه لا يسمى أغاليط فأجل فكرك فيما هناك تصب المحز انتهى (ولعل الحمادي حمل الغلط على ما يشمل خلاف الأولى بناء على أنه في البليغ غلط فذكر ما ذكر ومع هذا لا يخلو عن بحث) وقد سئل (شيخنا علاء الدين علي أفندي الموصلي عن هذه الأغلاط فأجاب بما وافق بعضه بعض ما ذكر وبما خالف وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية. فارجع إليه إن أردته. وهو أيضا مبني على حمل الغلط على ما سمعت آنفا. ولا يكاد يسلم وجود أغلاط تسعة في البيت والغلط بمعناه المتبادر فتأمل وانصف) ومن مشهور العبارات (التي يسأل عنها من عبارات القاموس أيضا عبارته في الكلام على العسر والأمر فيها أسهل من الأمر في الأغلاط ولعل الرجوع إلى الأقيانوس يتكفل بحلها) وقد كتب (عليها شيخ مشايخنا العلامة السيد صبغة الله أفندي لكنه نوقش فيما كتب ولولا خوف الإطالة لذكرت." (١)

"مشبها حاله بحال الثور المجني عليه، يضرب لأن البقر لا ترد الماء:

أتترك معشرا قتلوا هذيلا ... وتعقبني بما فعلت جذام

كذلك يضرب الثور المعنى ... إذا ما عافت البقر الحيام

الاستمطار بالأبقار المحروقة:

كان الحجازيون -كالعرب- إذا أصابهم الجدب طلبوا السقيا واستمطروا بالأبقار، يصعدون بها في جبل وعر ثم يربطون السلع والعشر بأذنابها، ثم يضرمون فيها النار ويضجون بالدعاء. وقد سجل أمية بن أبي الصلت خرافة السقيا بالأبقار المحروقة، فقال:

سنة أزمة تخيل بالناس ... ترى العضاه فيها صريرا

إذ يسقون بالدقيق وكانوا ... قبل لا يأكل شيئا فطيرا

ويسوقون باقر السهل للطود ... مهازيل خشية أن يبورا

عاقدين النيران في شكر الأذناب ... عهدا كيما تهيج البحورا

فاشتوت كلها فهاج عليهم ... ثم هاجت إلى صبير صبيرا

فرآها الإله ترشم بالقطر ... وأمسى جنابهم ممطورا

فسقاها نشاطه واكف النبت ... منه إذا وادعوه الكبيرا

سلع ما ومثله عشر ما ... عائل ما وعالت البيقورا١

وقيل في تعليل ذلك: "إنهم كانوا يتفاءلون بالنار طلبا للبرق، أو إنهم كانوا يحاكون عبادة قديمة تقرب الأبقار قربانا للآلهة".

---

١ تخيل بالناس: تفزعهم. العضاه: جمع عضاهة، أعظم الشجر أو الخمط أو كل ذي شوك. باقر وبيقور: البقر. شكر

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/١٦٨

الأذناب: جمع شكير، الشعر في الذيل. الصبير: السحابة البيضاء أو الكثيفة. منه، بالغ الغاية. عائل: مثقل أو كاف ونافع، عال: أثقل. ويروى غال بمعنى أهلك.." (١)

"حمد سكون البادية وذمه

وقال شاعر:

ومن تكن الحجارة أعجبته ... فأي أناس بادية ترانا

وقال صلى الله عليه وسلم: من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد لها ومن أتى السلطان فتن.

(٨) ومما جاء في النيران

ماهية النار

قال النظام: النار اسم للحر والضياء، وهما جوهران صعادان. والضياء هو الذي يعلو إذا انفرد ولا يعلى. فإذا قيل أحرقت النار وسخنت، فذلك للحر لا للضياء.

وقال: النار مكنة في الأشياء كلها، فإذا أطفئت نار الأتون فوجدنا حرها ولم نجدها مضيئة فلأن حر النار يهيج تلك الحرارات فيظهرها، ولم يكن ثم ضياء فيظهر إذا خالطته النار فهو أشد كالصاعقة.

منفعة النار

قيل: من أكبر المواعين الماء والنار ثم الكلأ والريح، ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها. قال الله تعالى: الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا

«١» (الآية) .

وهي أعظم ما زجر به عن المعاصي. وقد جعلها الله تعالى من عذاب الآخرة فقد عذب في الدنيا بالغرق والرياح والحاصب، والرجم والمسخ والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ولم يبعث عليهم نارا، وهي ما ركب منه العالم ولا يتعرى شجر ومدر منها.

وقيل في الإخوان: هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضر. وكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمان وأحوجهم الاستمطار عقدوا في أذناب البقر شسعا «٢» فصعدوا بها جبلا وأوقدوها نارا وضجوا بالدعاء.

ونارا كانوا يوقدونها في التحالف وقد ذكرناه في الإيمان ونارا كانوا يوقدونها خلف مسافر لا يريدون رجوعه.

قال شاعر:

وجمة أقوام حملت ولم أكن ... لأوقد نارا خلفهم للتندم." (٢)

"نباح الكلاب ويقولون: إن الكلاب إذا نبحت السماء، دل ذلك على الخصب. قال: وما لي لا أغزو وللدهر كرة ... وقد نبحت نحو السماء كلابها نقب لحى الكلب وكانوا ينقبون لحى الكلب في السنة الصعبة، لئلا يسمع الأضياف

---

(١) قصة الأدب في الحجاز عبد الله عبد الجبار ص/٥١٤

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٥٥

نباحه. خرزة السلوان ويزعمون أن للسلوان خرزة إذا حكها العاشق بماء، وشرب ما يخرج منها، سلا وصبر. قال ذو الرمة:
لا أشرب السلوان ما سليت ما بي غنى عنك وإن غنيت

نيران العرب

نار الاستسقاء: منها النار التي كانوا يستعملونها في الجاهلية الجهلاء، وهي الجاهلية الأولى فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد عليهم البلاء واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار واجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر ثم صعدوا بها في جبل وعر." (١)

"نكاح المقت

كان الرجل إذا مات قام أكبر أولاده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد. فكانوا يرثون النساء كما يرثون المال، فأنزل الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن".

نيران العرب

نار الاستسقاء

منها النار التي كانوا يستعملونها في الجاهلية الأولى: كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر، ثم صدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النار، وضجوا بالدعاء والتضرع.

وكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا.

نار التحالف

ونار أخرى كانوا يوقدونها عند التحالف، ويعقدون عندها حلفهم، ويدعون على ناقض العهد، ويهولون أمرها.." (٢)

١-"وقال اللحياني: الرجرج: اللعاب؛ قال ابن مقبل:
كاد اللعاب من الخوذان يسحطها ... ورجرج بين لحييها حناطيل
" حديث قيس بن رفاعة مع الحارث بن أبي شمر الغساني " وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو عثمان عن التنوزي عن أبي

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٣٩

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٧٩٩

عبيدة قال: كان قيس بن رفاعة يفد سنة إلى النعمام اللخمي بالعراق وسنة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام؛ فقال له يوما وهو عنده: يابن رفاعة، بلغني أنك نفضل النعمان علي، قال: وكيف أفضله عليك أبيت اللعن! فوالله لقفاك أحسن وجهه، ولأمك أشرف من أبيه، ولأبوك أشرف من جميع قومه، ولشمالك أجود من يمينه، ولحرمانك أنفع من نداه، ولقليلك أكثر من كثيره، ولثمادك أغزر من غديره، ولكرسيك أرفع من سريره، ولجدولك أغمر من بحوره، وليومك أفضل من شهوره، ولشهرك أمد من حوله، ولحولك خير من حقبه، ولزندك أورى من زنده، ولجندك أعز من جنده، وإنك لمن غسان أرباب الملوك، وإنه لمن لخم الكثيري النوك، فكيف أفضله عليك! وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال حدثني عبد الله ابن شبيب قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال قال معاوية: لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين غير مرة، فما يمنعني من الانهزام إلا أبيات ابن الإطنابة:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإعطائي على الإعدام مالي ... وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت ... رويدك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح

قال أبو علي: المشيح: المبادر المنكمش، ويقال: بطل مشيح، أي حامل، وقال الأصمعي: شايحت في لغة تميم وقيس: حاذرت، وفي لغة هذيل: جددت في الأمر.

وحدثنا أبو بكر عن أبي حاتم عن أبي زيد عن المفضل الضبي قال: كنت مع إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن صاحب أبي جعفر في اليوم الذي قتل فيه، فلما رأى البياض يقل والسواد يكثر قال لي: يا مفضل، أنشدني شيئا يهون علي بعض ما أرى، فأنشدته:

ألا أيها الناهي فزاده بعدما ... أجدت لغزو إنما أنت حالم

أرى كل ذي تبل يبيت بهمه ... ويمنع منه النوم إذ أنت نائم

قعوا وقعة من يحى يخز بعدها ... وإن يخترم لم تتبعه الملاوم

قال فرأيته يتطاول على سرجه، ثم حمل كانت آخر العهد به. وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه لأبي سعد المخزومي:

من لي برد الصبا واللهو والغزل ... هيهات ما فات من أيامك الأول

طوى الجديدان ما قد كنت أنشره ... وأنكرتني ذوات الأعين النجل

وقد نهاني النهي عنها وأدبني ... فلست أبكي على رسم ولا طلل

مالي وللدمنة البوغاء أندبها ... وللمنازل من خوف ومن ملل

متى ينال الفتى اليقظان همته ... إذ المقام بدار اللهو والغزل

في الخيل والخافقات السود لي شغل ... ليس الصبابة والصهباء من شغلي

ما كان لي أمل في غير نكرمة ... والنفس مقرونة بالحرص والأمل

ذنبي إلى الخيل كرى في جوانبها ... إذا مشى الليث فيها مشى مختبل

ولي من الفيلق الجاواء غمرتها ... إذا تقحمها الأبطال بالحيل

كم جأنب خشن صبحت عارضه ... بعارض للمنايا مسبل هطل

وغمرة خضب أعلاها وأسفلها ... بالضرب والطعن بين البيض والأسل

سل الجرادة عني يوم تحملني ... هل فاتني بطل أو خمت عن بطل

وهل شآني إلى الغيات سابقها ... وهل فزعت إلى غير القنا الذبل

مالي أرى ذمتي يستمطرون دمي ... ألست أولاهم بالقول والعمل

كيف السبيل إلى ورد خبعثنة ... طلائع الموت وأنيابه العصل

وما يريدون لولا الحين من أسد ... بالليل مشتمل بالجمر مكتحل

لا يشرب الماء إلا من قليب دم ... ولا يبيت له جار على وجل". (١)

٢-"قال الحسين بن الحسن المروزي: سألت سفيان بن عيينة فقلت: يا أبا محمد، ما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم: كان من أكثر دعاء الأنبياء قلبي بعرفة: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وإنما هو ذكر وليس فيه من الدعاء شيء. فقال لي: أعرفت حديث مالك ابن الحارث، يقول الله جل ثناؤه: إذا شغل عبدي ثناؤه على عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطيته أفضل ما أعطي السائلون. قلت: نعم، أنت حدثتنيه عن منصور عن مالك بن الحارث. قال: فهذا تفسير ذلك. ثم قال: أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله وفضله؟ قلت: لا أدري، قال، قال له: أأذكر حاجتي .... إذا أثنى ... وذكر البيتين، ثم قال سفيان: فهذا مخلوق ينسب إلى الجود، قيل له: يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي على حاجتنا، فكيف بالخالق؟ وقال الشماخ بن ضرار: من الطويل

وأبيض قد قد السفار قميصه ... يجر شواء بالغضا غير منضج

دعوت إلى ما نابني فأجابني ... كريم من الفتيان غير مزلج

المزلج من الفتيان: غير الكامل.

فتى يملأ الشيزى ويروي سنانه ... ويضرب في رأس الكمي المدجج

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة ... ولا في بيوت الحي بالمتولج

وقال الحطيئة: من الطويل

وفتيان صدق من عدي عليهم ... صفائح بصري علقت بالعواتق

إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم ... ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

وطاروا إلى الجرد الجياد فألجموا ... وشدوا على أوساطهم بالمناطق

---

(١) أمالي القالي ص/١٢٣

أولئك آباء الغريب وغاثة ال ... صريخ ومأوى المرملين الدرادق

أحلوا حياض الموت فوق جباههم ... مكان النواصي من وجوه السوابق

وقال أيضا: من الطويل

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وإن قال مولاهم على جل حادث ... من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

وإن الشقي من يعادي صدورهم ... وذو الجد من لانوا إليه ومن ودوا

يسوسون أحلاما بعيدا أناتها ... وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وقال أيضا: من الطويل

تزور امرءا يعطي على الحمد ماله ... ومن يعط أثمان المحامد يحمد

وأنت امرؤ كم تعطه اليوم نائلا ... بكفيك لا تمنعه من نائل الغد

ترى الجود لا يدني من المرء حتفه ... بكفيك لا تمنعه من نائل الغد

ترى الجود لا يدني من المرء حتفه ... كما البخل والإمساك ليس بمخلد

مفيد ومتلاف إذا ما سألته ... تهلل واهتز اهتزاز المهند

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

وسمع عمر رضي الله عنه هذا البيت فقال: كذب، تلك نار موسى عليه السلام.

وقال الأخطل: من الطويل

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز ... بساهمة الخدين طاوية القرب

إليك أمير المؤمنين رحلتها ... على الطائر الميمون والمنزل الرحب

مناخ ذوي الحاجات يستمطرونه ... عطاء جزيلا من أسارى ومن نهب

ترى الحلق الماذي تجري فضوله ... على مستقل بالنوائب والحرب

وقال أيضا: من الطويل

كريم مناخ القدر لا عاتم القرى ... ولا عند أطراف القنا بهيوب

كأن سباع الغيل والطير تعتفي ... ملاحم نقاض التراث طلوب

وقال أيضا: من البسيط

إن ربيعة لن تنفك صالحة ... ما دافع الله عن حوبائك الأجلا

أغر لا يحسب الدنيا تخلده ... ولا يقول لشيء فات ما فعلا

وقال حسان بن ثابت: من البسيط

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد شرعوا سنة للناس تتبع". [١]

٣-"ذنبي إلى الخيل كري في جوانبها ... إذا مشى الليث فيها مشي محتبل

ولي من الفيلق الجأواء غمرتها ... إذا تقحمها الأبطال بالحيل

كم جأنب خشن صبحت عارضه ... بعارض للمنايا مسبل هطل

وغمرة خضت أعلاها وأسفلها ... بالطعن والضرب بين البيض والأسل

سل الجرادة عني يوم تحملني ... هل فاتني بطل أو خمت عن بطل

وهل شآني إلى الغايات سابقها ... وهل فزعت إلى غير القنا الذبل

مالي أرى ذمتي يستمطرون دمي ... ألست أولاهم بالقول والعمل

كيف السبيل إلى ورد خبعثنة ... طلائع الموت في أنيابه العصل

وما يريدون لولا الجبن من أسد ... بالليل مشتمل بالجمر مكتحل

لا يشرب الماء إلا من قليب دم ... ولا يبيت له جار على وجل

وقال أيضا:

أدام الله عز بني نزار ... على رغم الأنوف الراغمات

ألسنا أكرم الأحياء حيا ... وميتا في الحياة وفي الممات

أنا ابن الضامنين على الليالي ... إذا نزلت بإحدى المنكرات

أنا ابن المقدمين على المنايا ... بأطراف السيوف المرهفات

أنا الرجل الذي كلتا يديه ... يمين في صروف النائبات

وفينا الجاهلية إن جهلنا ... وأحلام الجبال الراسيات

طوينا طيئا حتى أقرت ... بإغضاء الجفون على الترات

وقال بكر بن النطاح:

ألا يا قر لا تك سامريا ... فتترك من يزورك في جهاد

أتعجب أن رأيت علي دينا ... وقد أودى الطريف مع التلاد

ملأت يدي من الدنيا مرارا ... فما طمع العواذل في اقتصادي

ولا وجبت علي زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على جواد

وقال أيضا:

وإنا لنلهو بالسيوف كما لهت ... فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

---

(١) التذكرة الحمدونية ١/٤٢٨

ونحن وصفنا دون كل قبيلة ... ببأس شديد في الكتاب المنزل

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ... ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وقال حبيب بن أوس من قصيدة:

لنا غرر زيدية أددية ... إذا نجمت ذلت لها الأنجم الزهر

لنا جوهر لو خالط الأرض أصبحت ... وبطنانها منه وظهرانها تبر

مقاماتنا وقف على العلم والحجا ... وأمردنا كهل وأشيبنا حبر

ألنأ الأكف بالعطايا فجاوزت ... مدى اللين إلا أن أعراضنا صخر

كأن عطايانا يناسبن من أتى ... ولا نسب يدنيه منا ولا صهر

لنا الشعر في قحطان والبأس والندى ... هل الجود إلا المجد والبأس والشعر

إذا زينة الدنيا من المال أعرضت ... فأزين منها عندنا الحمد والشكر

أبى قدرنا في الجود إلا نباهة ... فليس لمال أبدا عندنا قدر

لينجح بجود من أراد فإنه ... عوان لهذا الناس وهو لنا بكر

جرى حاتم في حلبة منه لو جرى ... بها القطر شأوا قيل أيهما القطر

فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل ... لها باذلا فانظر لمن بقي الذخر

وقال أيضا من قصيدة:

أنا ابن الذي استرضع الجود فيهم ... وسمي فيهم وهو كهل ويافع

سما بي أوس في السماء وحاتم ... وزيد القنا والأثرمان ورافع

مضوا وكأن المكرمات لديهم ... لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

فأي يد في المجد طالت فلم تكن ... لها راحة من جودهم وأصابع

هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا ... فضاع وما ضاعت لدنا الودائع

بهاليل لو عاينت فيض أكفهم ... لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع". (١)

٤-"رفع الأمير أبو سعيد ذكرها ... وأقام فيها للمكارم سوقا

يستمطرون بدا يفيض نوالها ... فيغرق المحروم والمرزوقا

يقظ إذا اعترض الخطوب برأيه ... ترك الجليل من الخطوب دقيقا

هلا سألت محمدا بمحمد ... تجد الخبير الصادق المصدوقا

وسل الشراة فإنهم أشقى به ... من أهل موقان الأوائل موقا

---

(١) الحماسة المغربية ص/٦٥

كنا نكفر من أمية عصبة ... طلبوا الخلافة فجره وفسوقا

ونقول تيم قربت وعديها ... أمرا بعيدا حيث كان سحيقا

وللوم طلحة والزبير كليهما ... ونعنف الصديق والفاروقا

وهم قريش الأبطحين إذا انتموا ... طابوا أصولا فيهم وعروقا

حتى انبرت جشم بن بكر تبتغي ... إرث النبي وتدعيه حقوقا

جاءوا براعيهم ليتخذوا به ... عمدا إلى قطع الطريق طريقا

طرحوا عباءته وألقوا فوقه ... ثوب الخلافة مشربا راوقا

عقدوا عمامته برأس قناته ... ورأوه برا فاستحال عقوقا

وأقام ينفذ في الجزيرة حكمه ... ويظن وعد الكاذبين صدوقا

حتى إذا ما الحية الذكر انكفا ... من أرزن حنقا يمج حريقا

غضبان يلقى الشمس منه بهامة ... تغشي البروق تألقا وبريقا

أوفى عليه فظل من دهش يظ ... ن البر بحرا والفضاء مضيقا

غدرت أمانيه به وتمزقت ... عنه غيابة سكره تمزيقا

طلعت جيادك من ربا الجودي قد ... حملن من دفع المنون وسوقا

يطلبن ثار الله عند عصابة ... خلعوا الإمام وخالفوا التوفيقا

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم ... ويحرقون قرانه المنسوقا

فدعا فريقا من سيوفك حتفهم ... وشددت في عقد الحديد فريقا

ومضى ابن عمر وقد أساء بعمره ... ظنا ينزق مهرة تنزيقا

ركبت جوانحه قوادم روعه ... فحذفته خذف المرير الفوقا

فأجتاز دجلة خائضا وكأنها ... قعب على باب الكحيل أريقا

لو خاضها عمليق اوعوج إذن ... ما جوزت عوجا ولا عمليقا

لو لا اضطرب الخوف في أحشائه ... رسب العباب به فمات غريقا

خاض الحتوف إلى الحتوف معانقا ... زجلا كفهر المنجنيق عتيقا

يجتاب حزة سهلها ووعورها ... والطير هان مراده ودقوقا

لو نفته الخيل لفته ناظر ... ملأ البلاد زلازلا وفتوقا

لشنى صدور السمر تكشف كربة ... ولوى رؤوس الخيل تفرج ضيقا

ولبكرت بكر وراحت تغلب ... في نصر دعوته إليه طروقا

حتى يعود الذئب ليثا ضيغما ... والغصن ساقا والقرارة نيقا

هيهات مارس قلقلا متقظا ... قلقا إذا سكن البليد رشيقا

مستسلفا جعل الغبوق صبوحة ... ومرى صبوح غد فصار غبوقا

لله ركضك إذ يبارك المدى ... ومبين سبقك إذ أتى مسبوقا

جاذبته فضل الحياة فأفلتت ... من كفه قمنا بذاك حقيقا

فرددت مهجته وقد كرع الردى ... ليحف منها منهلا مطروقا

لبس الحديد أساورا وخلاخلا ... فكفيته التسوير والتطويقا

بالتل تل ربيع بين مواضع ... ما زال دين الله فيها يوقي

ساتيدما وسيوفنا في هضبة ... يفري إياس بها الطلى والسوقا

حتى تناول تاج قيصر مشربا ... بدم وفرق جمعه تفريقا

والجازران وهتم إبراهيم في ... ثنيهما تلك الثنايا الروقا

قتل الدعى ابن الدعى بضربة ... خلس وخرق جيشه تخريقا

والزاب إذ خانت أمية فاغتدت ... تزجى لنا جعديها الزنديقا

كشفوا بنل كشاف أروقة الدجى ... عن عارض ملأ السماء بروقا

نلناهم قبل الشروق بأذرع ... يهزون في كبد الظلام شروقا". (١)

٥-"""""""" صفحة رقم ٥٧٧ """"""

والبوغاء أيضا : شذى الطيب يقال ارتفعت بوغاء الطيب وفيه :

مالي أرى ذمتي يستمطرون دمي

يريد مالي أرى أهل عهدي يستبطؤن قيامي ثم قال :

كيف السبيل إلى ورد خبعثنة ؟

والخبعثنة : التار البدن القوي . وفيه :

بالليل مشتمل بالجمر مكتحل

عين الشجاع توصف بالحمرة في الحرب من الجرأة والغضب فتغلب الحمرة على بياضها وهذا مشاهد معلوم . قال ضرار بن الخطاب الفهري :

بيض كرام كأن أعينهم . . . تكحل فوق الهياج بالعلق

وقال زيد الخيل :

هلا سألت بني نبهان ما حسبي . . . يوم الهياج إذا ما احمرت الحدق

وقد يوصف أيضا طرف الجبان بالحمرة لا حدقته وذلك لانقلاب حماليقه من الفزع .

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ص/٦

وقال المرار :

إني إذا طرف الجبان احمرا

وكان خير الخصلتين الشرا . . . أكون ثم أسدا وبرا

ولايشرب الماء إلا من قليب دم . . . ولا يبيت له جار على وجل

هذا كقول بشار في عمر بن العلاء :

إذا حزبتك صعاب الأمور . . . فنبه لها عمرا ثم نم

فتى لا يبيت على دمنة . . . ولا يشرب الماء إلا بدم

قيل إنه أراد بقوله : من قليب دم يده كأنها تسيل دما لكثرة سفكه دم أعدائه ، وقيل أراد يغلب الناس على المياه والمحاضر فيسفك دماء من غالبه عليها . وهذا كما قال أبو تمام :". (١)

٦-" عراقيبها السلع ثم صعدوا بها فى جبل وأوقدوا فيها النار وكانوا يرون ذلك من أسباب السقيا وفيهم يقول الورل الطائى

(لادر در رجال خاب سعيهم ... يستمطرون لدى الأزمان بالعشر)

(أجاعل أنت بيقورا مسلعة ... ذريعة لك بين الله والمطر)

٩٥٥ - (نار الصيد) هى التى توقد للظباء وصيدها لتعش إذا رامت النظر إليها ولا تخيل من وراءها ويطلب بها أيضا بيض النعام فى أفاحيصها ومكانها وقال طفيل الغنوى

(عوازب لم تسمع نبوح مقامه ... ولم تر نارا تم حول مجرم)

(سوى نار بيض أو غزال بقفرة ... أغن من الخنس المناخر توءم)

وقد وصف السرى صيد الليل بالطست والسراج والكلب وذكرانه يقال له صيد الدالوية فى أرجوزة هى مثبتة فى ديوان شعره

٩٥٦ - (نار الزحفتين) هى نار أبى سريع وأبو سريع هو العرفج قال قتيبة بن مسلم لعمر بن عباد بن الحصين والله للسؤدد أسرع إليك من النار فى يبيس العرفج وإنما قيل لنار العرفج نار الزحفتين لأن العرفج إذا التهبت فيه النار أسرعت فيه وعظمت واستفاضت فى أسرع من كل شىء فمن كان قريبا منها يزحف عنها ثم لاتلبث أن تنطفىء من ساعتها فى مثل تلك السرعة فيحتاج الذى يزحف عنها أن يزحف إليها من ساعته فلا تزال للمصطلى كذلك ولا يزال المصطلى بها كذلك فمن أجله قيل نار الزحفتين ". (٢)

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع ٥٧٧/١

(٢) ثمار القلوب ص/٥٨٠

٧-"عوادل عوجا عن أناس، كأنما

ترى بهم جمع الصقالبة الصهب

يعارضن بطن الصحصحان، وقد بدت

بيوت بواد من نمير ومن كلب

ويا من عن نجد العقاب وياسرت

بنا العيس عن عذراء، دار بني الشجب

يخدن بنا عن كل شيء، كأننا

أخاريس عيوا بالسلام وبالنسب

إذا طلع العيوق والنجم أولجت

سوالفها بين السماكين والقلب

إليك، أمير المؤمنين، رحلتها

على الطائر الميمون والمنزل الرحب

إلى مؤمن تجلو صفيحة وجهه

بلابل تغشى ، من هموم ومن كرب

مناخ ذوي الحاجات، يستمطرونه

عطاء كريم من أسارى ومن نهب

ترى الحلق الماذي، تجري فضوله

على مستخف بالنوائب والحرب

أخوها، إذا شالت عضوضا سما لها

على كل حال: من ذلول ومن صعب

إمام سما بالخيل، حتى تقلقلت

قلائد في أعناق معلمة حدب

شواخص بالأبصار، من كل مقرب

أعد لهيجا، أو موافقة الركب

سواهم، قد عاودن كل عظيمة

مجللة الأشطان، طيبة لكسب

يعاندن عن صلب الطريق من الوجا

وهن، على العلات، يردين كالنكب

إذا كلفوهن التنائي لم يزل

غراب على عوجاء منهن أو سقب
وفي كل عام، منك للروم، غزوة
بعيدة آثار السنابك والسرب
يطرحن بالثغر السخال، كأنما
يشققن بالأشلاء، أردية العصب
بنات غراب، لم تكتمل شهورها
تقلقلن من طول المفاوز والجذب
وإن لها يومين: يوم إقامة
ويوما تشكى القض من حذر الدرب
غموس الدجى تنشق عن متضرم
طلوب الأعادي، لا سؤوم، ولا وجب
على ابن أبي العاصي قريش تعطفت
له صلبها، ليس الوشائظ كالصلب
وقد جعل الله الخلافة فيكم
بأبيض، لا عاري الخوان، ولا جدب
ولكن رآه الله موضع حقها
على رغم أعداء وصدادة كذب". (١)

٨-"ماذا عليك لو اقتربت بموعد
يشفي الجوى، وسقيتنا ترنيقا
غدت الجزيرة، في جناب محمد،
ريا الجناب، مغاربا، وشروقا
برقت مخايله لها، وتخرقت
فيها عزالي جوده، تخريقا
صفحت له عنها السنون، وواجهت
أطرفها وجه الزمان طليقا
رفع الأمير أبو سعيد ذكرها،

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور ٧٩/١٥

وأقام فيها للمكارم سوقا

يستمطرون يدا يفيض نوالها،

فيغرق المحروم، والمرزوقا

يقظ، إذا اعترض الخطوب برأيه،

ترك الجليل من الخطوب دقيقا

هلا سألت محمدا بمحمد،

تجد الخبير الصادق، المصدوقا

وسل الشراة، فإنهم أشقى به

من أهل موقان الأوائل موقا

كنا نكفر من أمية عصبة،

طلبوا الخلافة فجرة، وفسوقا

ونلوم طلحة والزبير كليهما،

ونعنف الصديقوالفاروقا

وهم قريش الأضبطحين إذا أنتموا

طابوا أصولا فيهم وعروقا

ونقول تيم قربت وعديها

أمرا بعيدا حيث كان سحيقا

حتى غدت جشم بن بكر تبتغي

إرث النبي، وتدعيه حقوقا

جاءوا براعيهم ليتخذوا به

عمدا، إلى قطع الطريق، طريقا

طرحوا عباءته وألقوا فوقه

ثوب الخلافة مشربا، راووقا

عقدوا عمامته برأس قناته،

ورأوه برا فاستحال عقوقا

وأقام ينفذ في الجزيرة حكمه،

ويظن وعد الكاذبين صدوقا

حتى إذا ما الحية الذكر انكفا،

من أرزن، حنقا، يمج حريقا

غضبان يلقى الشمس منه بهامة،
تغشى العيون تألقا وبريقا
أوفى عليه، فظن من دهش به
البر بحرا، والفضاء مضيقا
غدرت أمانيه به، وتمزقت". [1]

٩-"تجلو ظلام الشك أي جلاء
والشمس لا تخفى مزية فضلها
إلا على ذي المقلة العمياء
يا مصطفى والكون لم تعلق به من بعد أيدي الخلق والإنشاء
...
يا مظهر الحق الجلي ومطلع النور
السني الساطع الأضواء
يا ملجأ الخلق المشفع فيهم
يا رحمة الأموات والأحياء
يا آسي المرضى ومنتجع الرضى
ومواسي الأيتام والضعفاء
أشكو اليك وأنت خير مؤمل
داء الذنوب وفي يديك دوائي
إني مددت يدي إليك تضرعا
حاشا وكلا أن يخيب رجائي
إن كنت لم أخلص إليك فإنما
خلصت إليك محبتي وندائي
وبسعد مولاي الإمام محمد
تعد الأماني أن يتاح لقائي
ظل الإله على البلاد وأهلها
فخر الملوك السادة الخلفاء

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور ٨٦/٣٧

غوث العباد وليث مشتجر القنا

يوم الطعان وفارج الغماء

كالدهر في سطواته وسماحه

تجري صباه بزعزع ورخاء

رقت سجاياه وراقت مجتلى

كالنهر وسط الروضة الغناء

كالزهر في إيراقه والبدر في

إشراقه والزهر في لألاء

يا ابن الألى إجمالهم وجمالهم

فلق الصباح وواكف الأنواء

أنصار دين الله حزب رسوله

والسابقون بحلبة العلياء

يا ابن الخلائف من بني نصر ومن

حاطوا ذمار الملة السمحاء

من كل من تقف الملوك ببابه

يستمطرون سحائب النعماء

قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى

فالرعب رائدهم إلى الأعداء

تنتابها طير الرجال فتجتني

حرم العفاة ومصر الأعداء

لله منه قبة مرفوعة

دون السماء تفوت لحظ الرائي

راقت بدائع وشيها فكأنها

وشي الربيع بمسقط الأنداء

عظمت ميلاد النبي محمد

وشفعته بالليلة الغراء

أحييت ليلك ساهرا فافدتنا

قوت القلوب بذلك الإحياء

يا أيها الملك الهمام المجتبى

فاتت علاك مدارك العقلاء

من لي بأن أحصي مناقبك التي

ضاقت بهن مذاهب الفصحاء

وإليك مني روضة مطلولة

أرجت أزاهرها بطيب ثناء

فافسح لها أكناف صفحك إنها

بكر أتت تمشي على استحياء

العصر الأندلسي >> ابن زمرك >> يا من تمد له الملوك أكفها

يا من تمد له الملوك أكفها

رقم القصيدة : ٥٧١٥٨

يا من تمد له الملوك أكفها". (١)

١٠-"٥(كالدهر في سطواته وسماحه ** تجري صباه بزعزع ورخاء) ٥(رقت سجاياه وراقت مجتلى ** كالنهر وسط الروضة الغناء) ٥(كالزهر في إيراقه والبدر في ** إشراقه والزهر في لألاء) ٥٤ (يا ابن الألى إجمالهم وجمالهم ** فلق الصباح وواكف الأنواء) ٥٥ (أنصار دين الله حزب رسوله ** والسابقون بحلبة العلياء) ٥٦ (يا ابن الخلائف من بني نصر ومن ** حاطوا ذمار الملة السمحاء) ٥٧ (من كل من تقف الملوك ببابه ** يستمطرون سحائب النعماء) ٥٨ (قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى ** فالرعب رائدهم إلى الأعداء) ٥٩ (تنتابها طير الرجال فتجتني ** حرم العفاة ومصر الأعداء) ٦٠ (لله منه قبة مرفوعة ** دون السماء تفوت لحظ الرائي)

". (٢)

١١-"١(يعارضن بطن الصحصحان ، وقد بدت ** بيوت بواد من نمير ومن كلب)(ويا من عن نجد العقاب وياسرت ** بنا العيس عن عذراء ، دار بني الشجب)(يخدن بنا عن كل شيء ، كأننا ** أخاريس عيوا بالسلام وبالنسب)٤ (إذا طلع العيوق والنجم أولجت ** سوالفها بين السماكين والقلب)٥ (إليك ، أمير المؤمنين ، رحلتها ** على الطائر الميمون والمنزل الرحب)٦ (إلى مؤمن تجلو صفيحة وجهه ** بلابل تغشى ، من هموم ومن كرب)٧ (مناخ ذوي الحاجات ، يستمطرونه ** عطاء كريم من أسارى ومن نهب)٨ (ترى الحلق الماذي ، تجري فضوله ** على مستخف بالنوائب

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور ٢٨/٨٧

(٢) ديوان ابن زمرك ص/٨

والحرب)٩ (أخوها ، إذا شالت عضوضا سما لها ** على كل حال : من ذلول ومن صعب)٠ (إمام سما بالخيل ، حتى تقلقلت ** قلائد في أعناق معلمة حدب)

". (١)

١٢-"لما ثغا الثغوة الأولى فأسمعها ... ودونه شقة ميلان أو ميل

كاد اللعاع من الحوذان يسحطها ... ورجرج بين لحييها خناطيل

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٦٢،٢٥٨ " قول ابن الإطنابة في حديث معاوية:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وفيه:

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك! تحمدي أو تستريحي

ع وروى غير واحد:

وقولي كلما جشأت لنفسي

وهو أحسن من وجهين أحدهما: أن جشأت وجاشت بمعنى واحد معناهما الارتفاع، والثاني رجوع الضمير على مذكور. وروى ابن داحة وابن دأب معا في هذا الحديث بعد قوله: فما تمنعني إلا أبيات ابن الإطنابة وأنشداها. قال فقلت: الله لتحامين عن الشاة والبعير ولأفرن عن الملك فصبرت حتى آل الأمر إلى ما آل إليه. ومن هذا البيت أخذ قطري بن الفجاءة قوله:

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لا تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي

وابن الإطنابة هو عامر وقيل عمرو بن زيد مناة بن مالك ابن الأغر الخزرجي شاعر جاهلي. والإطنابة: أمه، والإطنابة المظلة وهي أيضا سير يوضع على فرض الوتر من القوس.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٦٢،٢٥٨ " :

ألا أيها الناهي فزارة بعد ما ... أجدت لغزو إنما أنت حالم

ع الشعر لبعض بني فزارة يقوله في الحرب التي كانت بينهم وبين كلب. وفيه:

أبى كل ذي تبل يبيت بهمه ... ويمنع منه النوم إذ أنت نائم

ويروى: أرى كل ذي تبل، والوجه الأول، ويروى ويمنع منه النوم: يعني التبل منعه النوم. وهذا البيت أنشده في خبر المفضل الضبي قال: كنت مع إبراهيم بن عبد الله بن عبد الله بن حسن صاحب أبي جعفر في اليوم الذي قتل فيه، فلما رأى البياض

---

(١) ديوان الأخطل ص/٥

يقل والسواد يكثر قال أنشدني شيأ يهون علي بعض ما أرى، فأنشدته هذه الأبيات فرأيته يتطالل في سرجه، ثم حمل حملة كانت آخر العهد به. ع هكذا صحت الرواية عن أبي علي يتطالل بإظهار التضعيف وإنما هو يتطال كما تقول يتقاص ويتراد ولا يجوز إظهار التضعيف إلا في ضرورة الشعر، قال قعنب ابن أم صاحب:

مهلا أعاذل قد جربت من خلقي ... أني أجود لأقوام وإن ضننوا

وقد يأتي ذلك لازدواج اللفظ وتقابله كما روى في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أيتكن صاحبة الجمل الأزبب تنبحها كلاب الحوأب؟ وأنشد أبو علي " ١ - ٢٦٣،٢٥٩ " لأبي سعيد المخزومي:

من لي برد الصبا واللهو والغزل ... هيهات ما فات من أيامك الأول

وفيها:

ما لي وللدمنة البوغاء أندبها.

ع والبوغاء: التراب الدقيق، قال الشاعر:

لعمرك لولا هاشم ما تعفرت ... ببغدان في بوغائها القدمان

والبوغاء أيضا: شذى الطيب يقال ارتفعت بوغاء الطيب وفيه:

مالي أرى ذمتي يستمطرون دمي

يريد مالي أرى أهل عهدي يستبطؤن قيامي ثم قال:

كيف السبيل إلى ورد خبعثنة؟

والخبعثنة: التار البدن القوي. وفيه:

بالليل مشتمل بالجمر مكتحل

عين الشجاع توصف بالحمرة في الحرب من الجرأة والغضب فتغلب الحمرة على بياضها وهذا مشاهد معلوم. قال ضرار بن الخطاب الفهري:

بيض كرام كأن أعينهم ... تكحل فوق الهياج بالعلق

وقال زيد الخيل:

هلا سألت بني نبهان ما حسبي ... يوم الهياج إذا ما احمرت الحدق

وقد يوصف أيضا طرف الجبان بالحمرة لا حدقته وذلك لانقلاب حماليقه من الفزع.

وقال المرار:

إني إذا طرف الجبان احمرا

وكان خير الخصلتين الشرا ... أكون ثم أسدا وبرا

ولايشرب الماء إلا من قليب دم ... ولا يبيت له جار على وجل

هذا كقول بشار في عمر بن العلاء:

إذا حزبتك صعاب الأمور ... فنبه لها عمرا ثم نم

فتى لا يبيت على دمنة ... ولا يشرب الماء إلا بدم

قيل إنه أراد بقوله: من قليب دم يده كأنها تسيل دما لكثرة سفكه دم أعدائه، وقيل أراد يغلب الناس على المياه والمحاضر فيسفك دماء من غالبه عليها. وهذا كما قال أبو تمام:". [1]

١٤-"ولما رأى النعمان دوني ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا

ولاقى امرءا لا ينقض القوم عهده ... أمر القوى دون الوشاة وأحصدا

كأن ذوي الحاجات يغشون مصعبا ... أزب الجران ذا سنامين أحردا

تخمط فحل الحرب حتى تواضعت ... له واعتلاها ذا مشيب وأمردا

ولو وجدت فيها قريش لأمرها ... أعف وأوفى من أبيك وأمجدا

وأصبب عودا حين ضاقت أمورهم ... وهمت معد أن تخيم وتخمدا

وأورى بزنديه ولو كان غيره ... غداة اختلاف الأمر أكبى وأصلدا

فأصبحت مولاها من الناس بعده ... وأحرى قريش أن يهاب ويحمدا

وفي كل أفق قد رميت لكوكب ... من الحرب مخشي إذا ما توقدا

وتشرق أجبال العوير بفاعل ... إذا خبت النيران بالليل أوقدا

ومنتقم لا يأمن الناس فجعه ... ولا سورة العادي إذا هو أرعدا

وما مزبد يعلو جزائر حامز ... ويشق إليها خيزرانا وغرقدا

تحرز منه أهل عانة بعدما ... كسا سورها الأعلى غثاء منضدا

يقمص بالملاح حتى يشفه ال ... حذار ولو كان المشيح المعودا

بمطرد الآذي جون كأنما ... زفى بالقراقير النعام المطردا

كان بنات الماء في حجراته ... أباريق أهداها دياف لصرخدا

بأجود سيبا من يزيد إذا غدت ... به نجبه يحملن ملكا وسؤددا

يقلص بالسيف الطويل نجاده ... خميص إذا السربال عنه تقددا

فأقسمت لا أنسى يد الدهر سيبه ... غداة السيالى ما أساغ وبردا

وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان: الطويل

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز ... بساهمة الخدين طاوية القرب

جمالية لا يدرك العيس رفعها ... إذا كن بالركبان كالقيم النكب

معارضة خوصا حراجيج شمرت ... لنجعة ملك لا ضئيل ولا جأب

---

(١) سمط اللآلي ص/١٦٧

كأن رحال القوم حين تزعزعت ... على قطوات من قطا عالج حقب

أجدت لورد من أباغ وشفها ... هواجر أيام وقدن على شهب

إذا حملت ماء الصرائم قلصت ... روايا لأطفال بمهمهة زغب

توائم أشباه بأرض مريضة ... ولدن بخدراف المتان وبالغرب

إذا صخب الحادي عليهن برزت ... بعيدة ما بين المشافر والعجب

وكم جاوزت بحرا وليلا يخضنه ... إليك أمير المؤمنين ومن سهب

عوادل عوجا عن أناس كأنما ... ترى بهم جمع الصقالبة الصهب

يعارضن بطن الصحصحان وقد بدت ... بيوت بواد من نمير ومن كلب

ويامن عن نجد العقاب وياسرت ... بنا العيس عن عذراء دار بني شجب

يحدن بنا عن كل شيء كأننا ... أخاريس عيوا بالسلام وبالنسب

إذا طلع العيوق والنجم أولجت ... سوالفها بين السماكين والقلب

إليك أمير المؤمنين رحلتها ... على الطائر الميمون والمنزل الرحب

إلى مؤمن تجلو صفيحة وجهه ... بلابل تغشى من هموم ومن كرب

مناخ ذوي الحاجات يستمطرونه ... غطاء كريم من أسارى ومن نهب

ترى الحلق الماذي تجري فضوله ... على مستخف للنوائب والحرب

أخوها إذا شالت عضوض سما لها ... على كل حال من ذلول ومن صعب

إمام سما للخيل حتى تقلقلت ... قلائد في أعناق معلمة حدب

شواخص بالأبصار من كل مقرب ... أعد لهيجا أو مواقفة الركب

سواهم قد عاودن كل عظيمة ... مجللة الشطي طيبة الكسب

يعاندن عن صلب الطريق من الوجى ... وهن على العلات يردين كالنكب

إذا كلفوهن التنائي لم يزل ... غراب على عوجاء منهن أو سقب

وفي كل عام منك للروم غزوة ... بعيدة آثار السنابك والسرب". (١)

١٥-"ما إن أردنا وصال غيرهم ... ولا قطعناهم كما قطعوا

وقال الأحوص يمدح الوليد:

أمنزلتي مي على القدم اسلما ... فقد هجتما للشوق قلبا متيما

وذكرتما عصر الشباب الذي مضى ... وجدة حبل وصله قد تجذما

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ص/٢٦٥

فإني إذا حلت ببيش مقيمة ... وحل بوج سالما أو تتهما

عراقية شطت وأصبح نفعها ... رجاء وظنا بالمغيب مرجما

أحب دنو الدار منها وقد أبى ... بها صدع شعب الدار أن يتلاءما

بكاها وما يدري سوى الظن ما بكى ... أحيا يرجي أم ترابا وأعظما

نأت وأتى خوف الطواعين دونها ... وقد أنعمت أخيارها أن تصرما

وعدت بها شهرين ثمت لم يزل ... بك الشوق حتى غبت حولا محرما

أفالآن لما جل ذو الأثل دونها ... ندمت ولم تندم هنالك مندما

سلمت بذكراها وما حكم ذكرها ... بفارعة الظهران إلا لتسقما

فدعها وأحدث للخليفة مدحة ... تزل عنك بؤسى أو تفد لك مغنما

فإن بكفيه مفاتيح رحمة ... وغيث حيا يحيي به الناس مرهما

إمام أتاه الملك عفوا ولم يصب ... على ملكه مالا حراما ولا دما

تخيره رب العباد لخلقه ... وليا وكان الله بالناس أعلما

فلما ارتضاه الله لم يدع مسلما ... لبيعته إلا أجاب وسلما

ينال الغنى والعز من نال وده ... ويرهب موتا عاجلا إن تنقما

ألم تره أعطى الحجيج كأنما ... أنال بما أعطى من المال درهما

تفقد أهل الأخشبين فكلهم ... أنال وأعطى سيبه المتقسما

فراحوا بما أسدى إلى كل بلدة ... بحمد يهزون المطي المخزما

كشمس نهار أبت للناس إن بدت ... أضاءت وإن غابت محته فأظلما

ترى الراغبين المرتجين نواله ... يحيون بسام العشيات خضرما

كأنهم يستمطرون بنفعه ... ربيعا مرته المعصرات فأثجما

تليد الندى أرسى بمكة مجده ... على عهد ذي القرنين أو كان أقدما

هم بينوا منها مناسك أهلها ... وهم حجروا الحجر الحرام وزمزما

وهم منعوا بالمرج من بطن راهط ... ببيض الصفيح حوضهم أن يهدما

عليهم من الماذي جدل تخالها ... تريك سيول في نهاء مصرما

فمن يكتم الحق المبين فإنني ... أبيت بما أعطيت ألا تكلما

وإني لأرجو من نداك رغيبة ... أفيد غنى منها وأفرج مغرما

مشابه صدق من أبيك وشيمة ... أبت لك بالمعروف إلا تقدما

فإنك من أعززت عز ومن ترد ... هضيمته لم يحم أن يتهضما

قضيت قضاء في الخلافة لم تدع ... لذي نخوة يرجو الخلافة مرغما

رضيت لهم ما قد رضوا لنفوسهم ... وأفلجت من قد كان بالحق أعصما

وقد رام أقوام رداك فعالجوا ... على رغمهم أمرا من الله محكما

قضى فعصوه رغبة عن قضائه ... فلم يجدوا عما أرادوك مرغما

أبى لهم أن يخلصوا من هوانه ... وأن ينزعوا إكرام من كان أكرما

ولم يتركوا ذا لبسة رأيه عما ... ولم يتركوا ذا الدرء حتى تقوما

بأسيافها بعد العما نصروا الهدى ... يقين البيان لا الحديث المرجما

وقال الأحوص وهو بالشام، وأقام بعمان، وهي مدينة البلقاء فارق ليلة، وقال ويمدح فيها:

أقول بعمان وهل طربي به ... إلى أهل سلع إن تشوقت نافع

أصاح ألم تحزنك ريح مريضة ... وبرق تلالا بالعقيقتين رافع

فإن غريب الدار مما يشوقه ... نسيم الرياح والبروق اللوامع". (١)

١٧-"أشكو إليك وأنت خير مؤمل ... داء الذنوب وفي يديك دوائي

إني مددت يدي إليك تضرعا ... حاشا وكلا أن يخيب رجائي

إن كنت لم أخلص إليك فإنما ... خلصت إليك محبتي وندائي

وبسعد مولاي الإمام محمد ... تعد الأماني أن يتاح لقائي

ظل الإله على البلاد وأهلها ... فخر الملوك السادة الخلفاء

غوث العباد وليث مشتجر القنا ... يوم الطعان وفارج الغماء

كالدهر في سطواته وسماحه ... تجري صباه بزعزع ورخاء

رقت شجاياه وراقت مجتلى ... كالنهر وسط الروضة الغناء (١)

كالزهر في إبراقه، والبدر في ... إشراقه، والزهر في لألاء

يا ابن الألى إجمالهم وجمالهم ... فلق الصباح وواكف الأنواء

أنصار دين الله حزب رسوله ... والسابقون بحلبة العلياء

يا ابن الخلائف من بني نصر ومن ... حاطوا ذمار الملة السمحاء

من كل من تقف الملوك ببابه ... يستمطرون سحائب النعماء

قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى ... فالرعب رائدهم إلى الأعداء

والعز مجلوب بكل كتيبة ... والنصر معقود بكل لواء

يا وارثا عنها مناقبها التي ... تسمو مراقيها على الجوزاء

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ص/٢٩٤

يا فخر أندلس وعصمة أهلها ... يجزيك عنها الله خير جزاء

كم خضت طوع صلاحها من مهمه ... لا تهتدي فيه القطا للماء

تهدي بها حادي السرى بعزائم ... تهدي نجوم الأفق فضل ضياء

فارفع لواء الفخر غير مدافع ... واسحب ذيول العزة القعساء

واهنأ بمبناك السعيد فإنه ... كهف ليوم مشورة وعطاء

---

(١) الأزهار: الفيحاء.". (١)

١٩-"مدينة واسعة في بلاد الصقالبة على طرف البحر، بين آجام لا يمكن مرور العساكر فيها. اسم ملكها مشقة، سميت باسمه، وهي مدينة كثيرة الطعام والعسل واللحم والسمك، ولملكها أجناد رجالة لأن الخيل لا تمشي في بلادهم. وله جبايات في مملكته يعطي لأجناده كل شهر أرزاقهم، وعند الحاجة يعطيهم الخيل والسرج واللجم والسلاح وجميع ما يحتاجون إليه، فمن ولد أجرى الملك عليه رزقه، ذكرا كان أو أنثى، فإذا بلغ المولود فإن كان ذكرا زوجه وأخذ من والده المهر، وسلمه إلى والد المرأة. والمهر عندهم ثقيل، فإذا ولد للرجل ابنتان أو ثلاث صار غنيا، وإن ولد له ابنان أو ثلاثة صار فقيرا. والتزويج برأي ملكهم لا باختيارهم، والملك يتكفل بجميع مؤوناتهم ومؤونة العرس عليه، وهو مثل الوالد المشفق على رعيته، وهؤلاء غيرتهم على نسائهم شديدة بخلاف سائر الأتراك.

واطر بورونة

حصن حصين بأرض الصقالبة، قريب من حصن شوشيط، بها عين ماء عجيبة تسمى عين العسل، وهي في جبل بقرب شعرا، مذاق مائها في المبدإ مذاق العسل، وعند مقطعه فيه عفوصة اكتسبت ذلك الطعم من الأشجار النابتة حولها.

ورنك

موضع على طرف البحر الشمالي. وذلك أن البحر المحيط من جانب الشمال خرج منه خليج إلى نحو الجنوب، فالموضع الذي على طرف ذلك الخليج يسمى به الخليج يقال له بحر ورنك. وهو أقصى موضع في الشمال، البرد به عظيم جدا والهواء غليظ والثلج دائم. لا يصلح للنبات ولا للحيوان. قلما يصل إليه أحد من شدة البرد والظلمة والثلج. والله أعلم.

ويسو

بلاد وراء بلاد بلغار، بينهما مسيرة ثلاثة أشهر. ذكروا أن النهار يقصر عندهم حتى لا يرون شيئا من الظلمة، ثم يطول الليل حتى لا يرون شيئا من الضوء. وأهل بلغار يحملون بضائعهم إليها للتجارة، وكل واحد يجعل متاعه في ناحية، ويعلم عليه ويتركه ثم يرجع إليه فيجد إلى جنبه متاعا يصلح لبلاده، فإن رضي بها أخذ العوض وترك متاعه، وإن لم يرض أخذ متاعه وترك العوض، ولا يرى البائع المشتري ولا المشتري البائع كما ذكرنا في بلاد الجنوب بأرض السودان.

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ١٨٢/٧

وأهل ويسو لا يدخلون بلاد بلغار لأنهم إذا دخلوها تغير الهواء وظهر البرد، وإن كان في وقت الصيف، فيهلك حيوانهم ويفسد نباتهم. وأهل بلغار يعرفون ذلك فلا يمكنونهم من دخول بلادهم.

يأجوج ومأجوج

قبيلتان عظيمتان من الترك من ولد يافث بن نوح، عليه السلام. مسكنهم شرقي الإقليم السابع. روى الشعبي أن ذا القرنين لما وصل إلى أرض يأجوج ومأجوج اجتمع إليه خلق كثير، واستغاثوا من يأجوج ومأجوج وقالوا: أيها الملك المظفر إن وراء هذا الجبل أمما لا يحصيهم إلا الله، يخربون ديارنا ويأكلون زروعنا وثمارنا، ويأكلون كل شيء حتى العشب، ويفترسون الدواب افتراس السباع، ويأكلون حشرات الأرض كلها، ولا ينمو خلق مثل نمائهم، لا يموت أحدهم حتى يولد له ألف من الولد ! قال ذو القرنين: كم صنفهم ؟ قالوا: هم أمم لا يحصيهم إلا الله. وأما من قربت منازلهم فست قبائل: يأجوج ومأجوج وتأويل وتاريس ومنسك وكمادى. وكل قبيلة من هؤلاء مثل جميع أهل الأرض، وأما من كان منا بعيدا فإنا لا نعرفهم. قال ذو القرنين: وما طعامهم ؟ قالوا: يقذف البحر إليهم في كل عام سمكتين، ويكون بين رأس كل سمكة وذنبها أكثر من مسيرة عشرة أيام، ويرزقون من التماسيح والثعابين والتنانين في أيام الربيع، وهم يستمطرونها كما يستمطر الغيث، فإذا مطروا بذلك أخصبوا وسمنوا؛ وإذا لم يمطروا بذلك أجدبوا وهزلوا. قال ذو القرنين: وما صفتهم ؟ قالوا: قصار ضلع، عراض الوجوه، مقدار طولهم نصف قامة رجل مربوع، ولهم أنياب كأنياب السباع، ومخالب مواضع الأظفار، ولهم صلب عليه شعر، ولهم أذنان عظيمتان: إحداهما على ظاهرها وبر كثير وباطنها أجرد، والأخرى على باطنها وبر كثير وظاهرها أجرد، تلتحف إحداهما وتفترش الأخرى. وعلى بدنهم من الشعر مقدار ما يواريه، وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم.". (١)

٢١-"لا در در رجال خاب سعيهم ... يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة ... ذريعة لك بين الله والمطر

وعلى ذكر النار فللعرب منها ما يذكر في الرموز ومنها ما يجعل علامة لحوادث تحذر. نها ما يضرب بذكره مثل، أو يعقد به ديانة، أو يقام به تشبيه وسنة، والجاحظ قد أثار الرهج في جمعها ووصفها، والكلام عليها وعلى المتدينين بعبادتها، وأنا أذكر منها هنا ما يكتفي به إن شاء الله تعالى.

قال الجاحظ: قال الله تعالى:)الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) سورة يس، الآية: ٨٠، النار من أكبر الماعون، وأعظم المرافق، ولو لم يكن فيها إلا أن الله تعالى جعلها الزاجرة عن المعاصي، لكان في ذلك ما يزيد في قدرها ونباهة ذكرها وقال تعالى:)نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين) سورة الواقعة، الآية: ٧٣، فالعاقل المعتبر إذا تأمل قوله تعالى:)نحن جعلناها تذكرة) تصور ما فيها من النعم أولا ومن النقم آخرا. وقد عذب الله تعالى الأمم بأنواع العذاب ولم يبعث عليهم نارا لأنه جعلها من عذاب الآخرة.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/٢٥٤

قال: ومن النيران بعدما ذكرها من أن العرب في الجاهلية كانت تستمطر بالنار التي كانوا يوقدونها عند التحالف، فلا يعقدون حلفهم إلا عندها، وكانوا يقولون في الحلف: الدم الدم والهدم الهدم لا يزيده طلوع الشمس الأشدا، وطول الليالي الأمدا، وما بل البحر صوفة، وما أقام رضوى في مكانه، إذ كان جبلهم رضوى أو ما أنفق من مشاهير بلادهم يؤكدون العقود بمثل ذلك، وعلى هذا ما ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأنصار لما أرادوا أن يبايعوه، فقال أبو الهيثم بن التيهان: إن بيننا وبين القوم حبالا نحن قاطعوها ونخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:)لا بل الدم الدم، والهدم الهدم، واللدم اللدم) أي حرمتي مع حرمتكم أطلب الدم بطلبكم، وأعفو بعفوكم، فأجرى الكلام صلى الله عليه وسلم على ما كان يجرونه حينئذ عند التحالف وقال الشاعر: ثم الحقي بهدمي ولدمي: أي أصلي وموضعي. والهدم متحركا المهدوم. وقال أوس يصف عيرا:

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه ... كما صد عن نار المهول حالف

وكان قوم اختلقوا عند نار فغشوها حتى محشتهم النار، فسموا المحاش. لذلك قال التابغة يخاطب رئيسهم.

جمع محاشك يا يزيد فإنني ... جمعت يربوعا لكم وتميما

ونار أخرى: وهي التي كانوا يوقدونها خلف المسافر والزائر الذي لا يريدون رجوعه.

لذلك قال بشار:

صحوت وأوقدت للجهل نارا ... ورد عليك الصبي ما استعارا

ونار أخرى توقد لجمع الناس للحرب، وتوقع جيش عظيم. قال عمرو بن كلثوم:

ونحن غداة أوقد في خزازى ... رفدنا فوق رفد الرافدينا

ونار أخرى: وهي نار الحرتين وهي نار خالد بن سنان، ولم يكن في بني إسماعيل نبي قبله، وهو الذي أطفأ الله تعالى به نار الحرتين، وكان حرة ببلاد عبس، فإذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء، وكانت طيء ينفش بها إبلها من مسيرة ثلاث، وربما ندرت منها العنق فتأتي على ما تقابله فتحرقه. وإذا كان النهار فهي دخان يفور فبعث الله تعالى خالد بن سنان عليه السلام، فأطفأها وله قصة مروية. وروي أن ابنته قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال:)هذه ابنة نبي ضيعه قومه) وأنشدوا شعرا:

كنار الحرتين لها زفير ... تصم مسامع الرجل البصير

ونار أخرى وهي التي أطفأها خالد بن الوليد لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، وكان السادن احتال حتى رماه بشرر يوهمه أنه لتعرضه لها فقال: كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك، فكشف الله تعالى ذلك الغطاء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأما نيران السعالي والجن والغيلان فلها شأن آخر. والنار التي توقد للظباء وصيدها معلومة.

ومن النيران المذكورة نار أبي حباحب، ونار الحباحب أيضا، وقيل أبو حباحب رجل كان لا ينتفع به في ماعون ولا في موقد

نار، فجعل ناره مثلا لكل نار تراها العين، ولا حقيقة لها عند التماسها ونسبت إليه. وقال القطامي:". [1]

٢٢-"وقعة اليرموك و كان هرقل ملك الشام والروم بأنطاكية ألجأه إليه المسلمون في حياة أبي بكر فجمع الجموع و استمد من الرومية و القسطنطينية و جاءه جبلة بن الأيهم الغساني في من معه من لخم و جذام فتكاملوا أربعمائة ألف فيما يزعمون و أمر عليهم هرقل دمشق ماهان فلقيهم أبو عبيدة بن الجراح و خالد بن الوليد في أيام ذي ضباب و رذاذ بموضع يقال له اليرموك فهزموهم و فض الله جموعهم فتساقط في هوة ثمانون ألفا لا يشعر آخرهم بما لقي أولهم فغدوا من الغد بالقصب و سميت تلك الهوة هوة اليرموك و قتلوا بالسيف سبعين ألفا و كان المسلمون يومئذ خمسة و ثلاثين ألفا و انتهت الهزيمة إلى هرقل و هو بأنطاكية فخرج إلى القسطنطينية بأهله و رحله و ماله و أشرف على الشام فقال السلام عليكم سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبدا و استشهد الفضل بن العباس باليرموك.

فتح بيت المقدس و افتتح أبو عبيدة بعد اليرموك الجابية من أعمال دمشق و قنسرين و حاصر أهل مسجد إيليا فأبوا أن يفتحوا له و سألوه أن يرسل إلى صاحبه عمر ليقدم فيكون هو الذي يتولى مصلحتهم فكتب بذلك أبو عبيدة إلى عمر فوافى الشام و استخلف عثمان بن عفان على المدينة و صالح أهل إيليا على أن لا يهدم كنائسها و لا يجلي رهبانها و بنى بها مسجدا و أقام أياما ثم رجع إلى المدينة و في أيامه افتتح شرحبيل بن حسنة سروج و الرها صلحا و افتتح عياض بن غنم دارا و الرقة و تل موزن صلحا و افتتح عمرو بن العاص الثقفي مصر عنوة و افتتح الاسكندرية صلحا و يقال عنوة و صالح أهل برقة و افتتح أيضا بالس و افتتح معاوية عسقلان و قيسارية صلحا و أغزى عمر عمير بن سعد الأنصاري فقطع دروب الروم و أوغل في بلادهم حتى انتهى إلى عمورية و هو أول من خربها و دخلها و به يضرب المثل أخرب من جوف الحمار فهذا ما كان من الفتوح في أيام عمر رضي الله عنه و أرضاه.

طاعون عمواس و عمواس موضع في سنة سبع عشرة من الهجرة و خمس من خلافة عمر وقع الطاعون قد اشتعل بالشام و خرج عمر لقتال الروم حتى بلغ سرغ فقيل أن الطاعون قد اشتعل بالشام فرجع عمر فقال له أبو عبيدة أفرارا من قدر الله قال نعم أفر من قدر الله إلى قدره و مات في ذلك الطاعون من المسلمين بضع و عشرين ألفا منهم أبو عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل و شرحبيل بن حسنة و يزيد بن أبي سفيان و فيه يقول الشاعر

رب خرق مثل الهلال و بيضا ... ء حصان بالجزع من عمواس

قد لقوا الله غير راد عليهم ... و أقاموا في غير دار أساس

عام الرمادة و هو عام الجوع و القحط و في هذه السنة كانت الرمادة و هي القحط و الجدب و المجاعة حتى رعيها و عطلت النعم فقال كعب الأحبار لعمر إن بني إسرائيل كان إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء فقال عمر هذا العباس عليه السلام النبي صله و صنو أبيه و سيد بني هاشم فمشى إليه و كلمه و خرج معه الناس إلى المستمطر و دعا عمر و العباس رضي الله عنهما فسقوا و في ذلك يقول حسان بن ثابت

---

(١) الأزمنة والأمكنة ص/٢٧٣

سأل الإمام و قد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرة العباس

عم النبي و صنو والده الذي ... ورث النبي بذاك دون الناس

أحيا البلاد به الإله فأصبحت ... مهتزة الأجناب بعد إياس

فتح السوس قال و حاصرهم أبو موسى الأشعري حتى أجهدهم الحصار فاستأمن دهقانهم لمائة نفس و قال أبو موسى الأشعري اللهم أنسه نفسه فلما نزلوا قال اعزل المستأمنين فعزل مائة و لم يعزل نفسه فأمر به أبو موسى فضرب عنقه و أصابوا جثة دانيال في تابوت من رخام يستصرخون به و يستمطرون فكتب إلى عمر بذلك فكتب في الجواب إني أراه نبيا فادفنه حيث لا يشعر الناس به قال أنس في روايته فكان طول أنفه ذراعا و قام رجل يقاومه فكانت ركبته محاذية رأسه فدفنوه تحت الماء و وجدوا معه صحفا بيعت بأربعة و عشرين درهما فوقعت إلى الشام و حج بالناس عمر عشر سنين متوالية ثم صدر إلى المدينة و قتل سنة ثلاث و عشرين من الهجرة و كانت ولايته عشر سنين و ستة أشهر و خمس ليال رضي الله عنه.". (١)

٢٣-"٢٢٤ قال: و ذكر أن ابتداء عبادة العرب الأصنام هو أن عمرو بن لحي «٤» خرج من مكة إلى الشام، فلما قدم مأرب من أرض البلقاء، و بها يومئذ العماليق، رآهم يعبدون الأصنام، فسألهم فأعلموه أنهم يستمطرون بها و يستنصرون بها فتنصرهم «٥». فسألهم إياها فأعطوه هبل صنم، فقدم به مكة فنصبه و أمر بعبادته. و قيل: أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل لأن الرجل

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ١٦٩

منهم كان إذا ظعن من مكة حمل مع نفسه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزل طاف به كالكعبة حتى خلفت الخلوف و نسوا ما كانوا عليه و صاروا يعبدون ما استحسنوه من الحجارة، فعبدوا الأوثان و صاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالة.

٢٢٥ فقد كانت لقوم نوح أصنام يعكفون عليها كما قال الله عز و جل. و قيل: علة ذلك أن إسافا و نائلة كانا رجلا «١» و امرأة من جرهم، فجرا في الكعبة فمسخهما الله. و ذكرت علة رابعة: أن أول صنم عبد من دون الله ود، و ذلك أن ودا رجل مسلم من أهل بابل، و كان محببا في قومه. فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل و جزعوا عليه. فلما رآى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان و قال: أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم في أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم. فصنع لهم تمثالا جعلوا يقبلون عليه و يذكرونه حتى اتخذ كل واحد منهم تمثالا مثله في منزله يعظمه و يتبرك به، ثم تناسلوا على ذلك.

القول في البيوت المعظمة في الجاهلية

٢٢٦ و قد ذهب قوم إلى أن البيت الحرام هو بيت زحل، و لذلك طال مقامه معظما على مرور الدهور لأن زحل من

---

(١) البدء والتاريخ ص/٣١٣

شأنه البقاء و الثبوت. و ذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها منها استعمال التفث و الشعث عند حجه و غير ذلك. المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ١٧٠". (١)

٢٤-"و الذين يذكرون أن مناة صخرة، يرون أن اناس كانوا يذبحون عندها فتمنى دماء النسائك عندها، أي تراق، فهي إذن، وبهذا الوصف مذبح تراق عنده الذبائح الذي تقدم نسيكة للالهة. ويذكرون أنهم إنما كانوا يفعلون ذلك "كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها. ويتبين من ذلك ان هذا الموضع كان مكانا مقدسا، وقد خصص بإلهه ينشر السحب ويرسل الرياح فتأتي بالأمطار لتغيث الناس، وان لهذا الإله صلة بالبحر وبالماء، ولذلك أقيم معبده على ساحل البحر قد تكون هذه الصخرة مذبحا أقيم عند الصنم، أو عند معبده لتذبح عليه ما يهل للصنم، فسمي باسمه، ولذاك يمكن التوفيق بن الرأيين: كونه صخرة، وكونه صنما.
ويظهر من أقوال ابن الكلبي ان هذا الصنم كان معظما، خاصة عند الأوس والخزرج، أي أهل يثرب ومن كان يأخذ مأخذهم من عرب المدينة والأزد وغسان "فكانوا يحجون ويقفون مع الناس.المواقف كلها، ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا أتوا منآة وحلقوا رؤوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك. ولكن القبائل العربية الأخرى كانت تعظمه كذلك، وفي جملتها قريش وهذيل وخزاعة. وأزد شنؤة، وغيرهم من الأزد. وقيل ثقيف أيضا، وذكرت رواية أخرى ان العرب جميعا كانت تعظمه وتذبح حوله. أما سدنته، فالغطاريف من الأزد.
وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمون مناة، ويهلون منها للحج إلى الكعبة.
فمناة اذن من الأصنام المعظمة المقدسة عند "الخزرج". وكانوا يحلفون بها ويقفون عندها. وفي ذلك ورد شعر ينسب إلى عبد العزى بن وديعة المزني أو غيره من العرب: إني حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل ألخزرج
فالمحل الذي يقف فيه "آل الخزرج"، هو المحل الذي يحلف به أمام مناة. وكان العرب في الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعا: الخزرج، ولذلك يقول الشاعر في بيته: "عند محل آل الخزرج".". (٢)

٢٦-"هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذي كان يعرف بالخروقيين، ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش، بناها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي، مملوك أسد الدين شيركوه، وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وجعلها وقفا على الفقهاء من الحنفية فقط، في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكان أيازكوج رأس الأمراء الأسدية بديار مصر في أيام السلطان صلاح الدين،وأيام ابنه الملك العزيز عثمان، وكان الأمير فخر الدين جهاركس رأس الصلاحية، ولم يزل على ذلك إلى أن مات في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ودفن بسفح المقطم بالقرب من رباط الأمير فخر الدين بن قزل.
المدرسة الفخرية

---

(١) المسالك والممالك. البكري ١/ ١٤٠
(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦٧/٩

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس،عمرها الأمير الكبيرفخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي، أستادار الملك الكامل محمد بن العادل، وكان الفراغ منها في سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الأمير حسام الدين ساروح بن أرتق شاد الدواوين، ومولد الأمير فخر الدين في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بحلب، وتنقل في الخدم حتى صار أحد الأمراء بديار مصر، وتقدم في أيام الملك الكامل، وصار أستاداره وإليه أمر المملكة وتدبيرها إلى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق، فمات بحزان بعد مرض طويل في ثامن عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة، وكان خيرا كثيرالصدقة يتفقد أرباب البيوت، وله من الآثار سوى هذه المدرسة المسجد الذي تجاهها، وله أيضا رباط بالقرافة وإلى جانبه كتاب سبيل، وبنى بمكة رباطا.

المدرسة السيفية

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين، وموضعها من جملةدار الديباج، قال ابن عبد الظاهر كانت دارا وهي من المدرسة القطبية، فسكنها شيخ الشيوخ، يعني صدر الدين محمد بن حموية،وبنيت في وزارة صفي الدين عبدالله بن علي بن شكران سيف الإسلام، ووقفها وولى فيها عماد الدين ولد القاضي صدر الدين، يعني ابن درباس، وسيف الإسلام هذا اسمه طفتكين بن أيوب.طفتكين: ظهير الدين سيف الإسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي، سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى بلاد اليمن في سنة سبع وسبعين وخمسمائة، فملكها واستولى على كثير من بلادها، وكان شجاعا كريما مشكور السيرة حسن السياسة، قصده الناس من البلاد الشاسعة يستمطرون إحسانه وبره، وسار إليه شرف الدين بن عنين ومدحه بعدة قصائد بديعة، فأجزل صلاته وأكثر من الإحسان إليه، واكتسب من جهته مالا وافرا، وخرج من اليمن، فلما قدم إلى مصر والسلطان إذ ذاك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع زكاة ما معه من المتجر فعمل:

ما كل من يتسمى بالعزيز لها ... أهل ولاكل برق سحبه غدقه.

بين العزيزين فرق في فعالهما ... هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه.

وتوفي سيف الإسلام في شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة، وهي مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى.

المدرسة العاشورية

هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة، بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاي. قال ابن عبد الظاهر: كانت دار اليهودي ابن جميع الطبيب، وكان يكتب لقراقوش، فاشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروح الأسدي، زوجة الأمير أيازكوج الأسدي، ووقفتها على الحنفية، وكانت من الدور الحسنة، وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الأيام مغلوقة لا تفتح إلا قليلا، فإنها في زقاق لا يسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم في النسب.

المدرسة القطبية". (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار ١١٥/٣

٢٨-" والتغزغز في الترك كالبادية أصحاب عمد يرحلون ويحلون والبذكشية أهل بلاد وقرى

وكان هشام بن عبد الملك بعث إلى ملك الترك يدعوه إلى الإسلام قال الرسول فدخلت عليه وهو يتخذ سرجا بيده فقال للترجمان من هذا فقال رسول ملك العرب قال غلامي قال نعم قال فأمر بي إلى بيت كثير اللحم قليل الخبز ثم استدعاني وقال لي ما بغيتك فتلطفت له وقلت إن صاحبي يريد نصيحتك ويراك على ضلال ويحب لك الدخول في الإسلام قال وما الإسلام فأخبرته بشرائطه وحظره وإباحته وفروضه وعبادته فتركني أياما ثم ركب ذات يوم في عشرة أنفس مع كل واحد منهم لواء وأمر بحملي معه فمضينا حتى صعد تلا وحول التل غيضة فلما طلعت الشمس أمر واحدا من أولئك أن ينشر لواءه ويليح به ففعل فوافى عشرة آلاف فارس مسلح كلهم يقول جاه جاه حتى وقفوا تحت التل وصعد مقدمهم فكفر للملك فما زال يأمر واحدا واحدا أن ينشر لواءه ويليح به فإذا فعل ذلك وافى عشرة آلاف فارس مسلح فيقف تحت التل حتى نشر الألوية العشرة وصار تحت التل مائة ألف فارس مدجج ثم قال للترجمان قل لهذا الرسول يعرف صاحبه أنه ليس في هؤلاء حجام ولا إسكاف ولا خياط فإذا أسلموا والتزموا شروط الإسلام من أين يأكلون ومن ملوك الترك كيماك دون ألفين وهم بادية يبيعون الكلأ فإذا ولد للرجل ولد رباه وعاله وقام بأمره حتى يحتلم ثم يدفع إليه قوسا وسهاما ويخرجه من منزله ويقول له احتل لنفسك ويصيره بمنزلة الغريب الأجنبي ومنهم من يبيع ذكور ولده وإناثهم بما ينفقونه ومن سنتهم أن البنات البكور مكشفات الرؤوس فإذا أراد الرجل أن يتزوج ألقى على رأس إحداهن ثوبا فإذا فعل ذلك صارت زوجته لا يمنعها منه مانع وذكر تميم بن بحر المطوعي أن بلدهم شديد البرد وإنما يسلك فيه ستة أشهر في السنة وأنه سلك في بلاد خاقان التغزغزي على بريد أنفذه خاقان إليه وأنه كان يسير في اليوم والليلة ثلاث سكك بأشد سير وأحثه فسار عشرين يوما في بواد فيها عيون وكلأ وليس فيها قرية ولا مدينة إلا أصحاب السكك وهم نزول في خيام وكان حمل معه زادا لعشرين يوما ثم سافر بعد ذلك عشرين يوما في قرى متصلة وعمارات كثيرة وأكثر أهلها عبدة نيران على مذهب المجوس ومنهم زنادقة على مذهب ماني وأنه بعد هذه الأيام وصل إلى مدينة الملك وذكر أنها مدينة حصينة عظيمة حولها رساتيق عامرة وقرى متصلة ولها إثنا عشر بابا من حديد مفرطة العظم قال وهي كثيرة الأهل والزحام والأسواق والتجارات والغالب على أهلها مذهب الزنادقة وذكر أنه حزر ما بعدها إلى بلاد الصين مسيرة ثلاثمائة فرسخ قال وأظنه أكثر من ذلك قال وعن يمين بلدة التغزغز بلاد الترك لا يخالطها غيرهم وعن يسار التغزغز كيماك وأمامها بلاد الصين وذكر أنه نظر قبل وصوله إلى المدينة خيمة الملك من ذهب على رأس قصره تسعمائة رجل وقد استفاض بين أهل المشرق أن مع الترك حصى يستمطرون به ويجيئهم الثلج حين أرادوا

وذكر أحمد بن محمد الهمذاني عن أبي العباس عيسى بن محمد المروزي قال لم نزل نسمع في البلاد التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفرة الغزية والتغزغزية والخزلجية وفيهم المملكة ولهم في أنفسهم شأن عظيم ونكاية في الأعداء شديدة ". (١)

---

(١) معجم البلدان ٢/٢٤

٢٩-" وأنيابها وأحناك كأحناك الإبل وعليهم من الشعر ما يواري أجسادهم ولكل واحد أذنان عظيمتان إحداهما على ظاهرها وبر كثير وباطنها أجرد والأخرى باطنها وبر كثير وظاهرها أجرد يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا ويعرف أجله والوقت الذي يموت فيه وذلك أنه لا يموت حتى يلد ألف ولد وهم يرزقون التنين في أيام الربيع ويستمطرونه إذا أبطأ عنهم كما نستمطر المطر إذا انقطع فيقذفون في كل عام بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من قابل فيكفيهم على كثرتهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث ما التقوا تسافد البهائم وفي رواية أن ذا القرنين إنما عمل السد بعد رجوعه عنهم فانصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فحفر له أساسا بلغ به الماء وجعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس المذاب يصب عليه فصار عرقا من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وسواد الحديد فلما أحكمه انصرف راجعا وأما ذكر التنين فرأينا منه بنواحي حلب ما ذكرته في ترجمة كلز وجعلته حجة على ما أورده ههنا من خبره وشجعني على كتابته فإن الإنسان شديد التكذيب بخبر ما لم ير مثله روي عن شداد بن أفلح المقري أنه قال عدت عمر البكالي فذكرنا لون التنين فقال عمر البكالي أتدرون كيف يكون التنين قلنا لا قال يكون في البر حية متمردة فتأكل حيات البر فلا تزال تأكلها وتأكل غيرها من الهوام وهي تعظم وتكبر ثم يزيد أمرها فتأكل جميع ما تراه من الحيوان فإذا عظم أمرها ضجت دواب البر منها فيرسل الله تعالى إليها ملكا فيحتملها حتى يلقيها في البحر فتفعل بدواب البحر مثل فعلها بدواب البر فتعظم ويزداد جسمها فتضج دواب البحر منها أيضا فيبعث الله إليها ملكا حتى يخرج رأسها من البحر فيتدلى سحاب فيحتملها فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج وحدث المعلى بن هلال الكوفي قال كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما وليالي تصطفق أمواجه ويسمع لها دوي شديد فيقولون ما هذا إلا بشيء آذى دواب البحر فهي تضج إلى الله تعالى قال فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر ثم تقبل أخرى حتى تعد سبع سحابات ثم ترتفع جميعا في السماء وقد حملن شيئا يرون أنه التنين حتى يغيب عنا ونحن ننظر إليه يضطرب فيها فربما وقع في البحر فتعود السحابة إلى البحر بالرعد الشديد الهائل والبرق العظيم حتى تغوص في البحر وتستخرجه ثانية فتحمله فربما اجتاز وهو في السحاب وذنبه خارج عنها بالشجر العادي والبناء الشامخ فيضربه بذنبه فيهدم البناء من أصله ويقلع الشجر بعروقه ولقد احتمله السحاب من بحر أنطاكية فضرب بذنبه بضعة عشر برجا من أبراج سورها فرمى بها ويقال إن السحاب الموكل به يختطفه حيثما رآه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع رأسه من الماء خوفا من السحاب ولا يخرج إلا في الفرط إذا صحت الدنيا وذكر بقراط الحكيم اليوناني في كتاب الثراء أنه كان في بعض السواحل فبلغه أن هناك قرى كثيرة قد فشا فيها الموت فقصدها ليعرف السبب في ذلك فلما فحص عن الأمر إذا هو بتنين قد احتمله السحاب من البحر فوقع على نحو عشرين فرسخا من هذه القرى فنتن ". (١)

---

(١) معجم البلدان ١٩٨/٣

٣٠-" حدث أبو بكر بن دريد عن الثوري عن الأصمعي قال غنت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك وكانت من أحسن الناس وجها ومسموعا وكان شديد الكلف بها وكان منشؤها المدينة لعمرك إنني لأحب سلعا لرؤيته ومن أكناف سلع تقر بقربه عيني وإني لأخشى أن يكون يريد فجعي حلفت برب مكة والمصلى وأيدي السابحات غداة جمع لأنت على التنائي فاعلميه أحب إلي من بصري وسمعي والشعر لقيس بن ذريح ثم تنفست الصعداء فقال لها لم تتنفسين والله لو أردته لقلعته إليك حجرا حجرا فقالت وما أصنع به إنما أردت ساكنيه وقال ابن السلماني وكان إبراهيم بن عربي والي اليمامة قبض عليه وحمل إلى المدينة مأسورا فلما مر بسلع قال لعمرك إني يوم سلع للائم لنفسي ولكن ما يرد التلوم أأمكت من نفسي عدوي ضلة ألهفا على ما فات لو كنت أعلم لو ان صدور الأمر يبدون للفتى كأعقابه لم تلفه يتندم لعمري لقد كانت فجاج عريضة وليل سخامي الجناحين مظلم إذ الأرض لم تجهل علي فروجها وإذ لي من دار المذلة مرغم و سلع جبل في ديار هذيل قال البريق الهذلي سقى الرحمن حزم ينابعات من الجوزاء أنواء غزارا بمرتجز كأن على ذراه ركاب الشام يحملن البهارا يحط العصم من أكناف شعر ولم يترك بذي سلع حمارا

سلع بكسر أوله وسكون ثانيه يقال هذا سلع هذا ومثله وشرواه والسلع والسلع شق في الجبل وسلع موشوم واد في ديار باهلة

وسلع الكلدية لباهلة أيضا جبل أو واد

و سلع الستر موضع في ديار بني أسد كله عن نصر

سلع بالتحريك وهو شجر مر كانت العرب في الجاهلية تعمد إلى حطب شجر السلع والعشر في المجاعات وقحوط القطر فتوقر ظهور البقر منهما ثم تضرمه نارا وتسوقها في المواضع العالية يستمطرون بلهب النار المشبه بسنا البرق وإياه عنى أمية بن أبي الصلت حيث قال سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا ما زائدة فيه كله

و ذو سلع موضع بين نجد والحجاز وقال أبو دؤاد الإيادي وغيث توسن منه الريا ح جونا عشاء وجونا ثقالا إذا كركرته رياح الجنو ب ألقحن منه عجافا حيالا فحل بذي سلع بركه تخال البوارق فيه الذبالا

سلعوج مثل الذي قبله إلا أن في آخره زيادة واو وجيم موضع وقيل بلدة ". (١)

٣١-" بالبغراج لهم أسلة بغير لحي يعملون بالسلاح عملا حسنا فرسانا ورجالة ولهم ملك عظيم الشأن يذكر أنه علوي وأنه من ولد يحيى بن زيد وعنده مصحف مذهب على ظهره أبيات شعر رثي بها زيد وهم يعبدون ذلك المصحف وزيد عندهم ملك العرب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عندهم إله العرب لا يملكون عليهم أحدا إلا من ولد ذلك العلوي وإذا استقبلوا السماء فتحوا أفواههم وشخصوا أبصارهم إليها يقولون إن إله العرب ينزل منها ويصعد إليها ومعجزة هؤلاء الذين يملكونهم عليهم من ولد زيد أنهم ذوو لحى وأنهم قيام الأنوف عيونهم واسعة وغداؤهم الدخن ولحوم الذكران من الضأن وليس في بلدهم بقر ولا معز ولباسهم اللبود لا يلبسون غيرها فسرنا بينهم شهرا على خوف ووجل أدينا إليهم العشر

---

(١) معجم البلدان ٣/٢٣٧

من كل شيء كان معنا ثم سرنا إلى قبيلة تعرف بتبت فسرنا فيهم أربعين يوما في أمن وسعة يتغذون بالبر والشعير والباقلى وسائر اللحوم والسموك والبقول والأعناب والفواكه ويلبسون جميع اللباس ولهم مدينة من القصبة كبيرة فيها بيت عبادة من جلود البقر المدهونة فيه أصنام من قرون غزلان المك وبها قوم من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والهند ويؤدون الإتاوة إلى العلوى البغراجي ولا يملكهم أحد إلا بالقرعة ولهم محبس جرائم وجنايات وصلاتهم إلى قبلتنا ثم سرنا إلى قبيلة تعرف بالكيماك بيوتهم من جلود يأكلون الحمص والباقلى ولحوم ذكران الضأن والمعز ولا يرون ذبح الإناث منها وعندهم عنب نصف الحبة أبيض ونصفها أسود وعندهم حجارة هي مغناطيس المطر يستمطرون بها متى شاؤوا ولهم معادن ذهب في سهل من الأرض يجدونه قطعا وعندهم ماس يكشف عنه السيل ونبات حلو الطعم ينوم ويخدر ولهم قلم يكتبون به وليس لهم ملك ولا بيت عبادة ومن تجاوز منهم ثمانين سنة عبدوه إلا أن يكون به عاهة أو عيب ظاهر فكان مسيرنا فيهم خمسة وثلاثين يوما ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لهم الغز لهم مدينة من الحجارة والخشب والقصب ولهم بيت عبادة وليس فيه أصنام ولم ملك عظيم الشأن يتسأدي منهم الخراج ولهم تجارات إلى الهند وإلى الصين ويأكلون البر فقط وليس لهم بقول ويأكلون لحوم الضأن والمعز الذكران والإناث ويلبسون الكتان والفراء ولا يلبسون الصوف وعندم حجارة بيض تنفع من القولنج وحجارة خضر إذا مرت على السيف لم يقطع شيئا وكان مسيرنا بينهم شهرا في أمن وسلامة ودعة ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لهم التغزغز يأكلون المذكى وغير المذكى ويلبسون القطن واللبود وليس لهم بيت عبادة وهم يعظمون الخيل ويحسنون القيام عليها وعندهم حجارة تقطع الدم إذا علقت على صاحب الرعاف أو النزف ولهم عند ظهور قوس قزح عيد وصلاتهم إلى مغرب الشمس وأعلامهم سود فسرنا فيهم عشرين يوما في خوف شديد ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لهم الخرخيز يأكلون الدخن والأرز ولحوم البقر والضأن والمعز وسائر اللحوم إلا الجمال ولهم بيت عبادة وقلم يكتبون به ولهم رأي ونظر ولا يطفئون سرجهم حتى تطفأ موادها ولهم كلام موزون يتكلمون به في أوقات صلاتهم وعندهم مسك ولهم أعياد في السنة وأعلامهم خضر يصلون إلى الجنوب ويعظمون زحل والزهرة ويتطيرون من المريخ والسباع في بلدهم كثيرة ولهم حجارة تسرج بالليل يستغنون بها عن المصباح ولا تعمل في غير بلادهم ولهم ملك مطاع ". (١)

٣٢-"يقول الحق جل جلاله : ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ أي : أخبروني عن هذه الأشياء التي تبعدونها من دون الله ، هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة حتى استحقت العبادة ، أم لا ؟ واللات وما بعدها : أصنام كانت لهم ، فاللات كانت لثقيف بالطائف ، وقيل : كانت بنخلة تعبدها قريش ، وهي فعلة ، من : لوى ؛ لأنهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها. وقرأ ابن عباس ومجاهد ورويس بتشديد التاء ، على أنه اسم فاعل ، اشتهر برجلا كان يلت السويق بالزيت ، ويطعمه الحاج ، فلما مات عكفواعلى قبره يبعدونه. ﴿والعزى﴾ كانت لغفطان ، وهي شجرة كانوا يعبدونها ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها ، فخرجت منها شياطنة ناشرة شعرها ، واضعة يدها على رأسها ، وهي تولول ، فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها ، فأخبر رسول الله صلى الله

---

(١) معجم البلدان ٤٤٢/٣

عليه وسلم فقال : " تلك العزى ، لن تعبد بعد اليوم أبدا ". ﴿ومناة﴾ : صخرة على ساحل البحر لهذيل وخزاعة ، وقيل : بيت بالمشلل يعبدوه بنو كعب ، وسميت مناة ؛ لأن دماء النسائك تمنى ، أي : تراق عندها ؛ لأنهم كانوا يذبحون عندها. وقرأ بان كثير بالهمزة بعد الألف ، مشتق من النوء ؛ لأنهم كانوا يستمطرون بالأنواء عندها ، تبركا بها ، وقيل : سموا هذه الأصنام بأسماء الله ، وأنثوها ، كأنها بنات الله في زعمهم الفاسد ، فاللات من " الله " ، كما قالوا : عمر وعمرة ، وعباس وعباسة ، فالتاء للتأنيث. والعزى : تأنيث العزيز ، ومناة : تأنيث منان ، فغير تخفيفا ، ويؤيد هذا قوله تعالى ردا عيهم : ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾. و ﴿الأخرى﴾ : صفة ذم لها ، وهي المتأخرة الوضيعة القدر ، كقوله : ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ [الأعراف : ٣٨] أي : وضعاؤهم لرؤسائهم ، وقيل : وصفها بالوصفين ؛ لأنهم كانوا يعظمونها أكثر من اللات والعزى ، والفاء في قوله : ﴿أفرأيتم﴾ للعطف على محذوف ، وهي لترتيب ما". (١)

٣٣-" نتوقعهم وننظر أن يطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين

فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ قال : ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما اغدو إلى الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم وأعلم علمهم وأقيس ما بين جبليهم

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم فإذا هم على مقدار واحد

أنثاهم وذكرهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا ولهم أنياب وأضراس كأضراس السباع وأنيابها وأحناك كأحناك الإبل قوة يسمع له حركة إذا أكل كحركة الجرة من الإبل أو كقضم الفحل المسن أو الفرس القوي وهم صلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان إحداهما وبرة ظهرها وبطنها والأخرى زغبة ظهرها وبطنها

تسعانه إذا لبسهما يلبس إحداهما ويفترش الأخرى ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فإذا كان ذلك أيقن بالموت وتهيأ له

وهم يرزقون التنين في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل فيعينهم على كثرتهم وما هم فيه فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسهئوا ورؤي أثره عليهم فدرت عليهم الإناث وشبقت منهم الذكور وإذا أخطأهم هزلوا وأحدثوا وجفلت منهم الذكور وأحالت الإناث وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عوي الذئاب ويتسافدون حيثما التقوا تسافد البهائم

ثم لما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما - وهي في منقطع أرض الترك مما يلي الشمس - فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علا وشرفه

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع ٣٤٨/٧

بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد ". [١]

٣٤-"القوي وهم صلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان إحداهما وبرة ظهرها وبطنها والأخرى زغبة ظهرها وبطنها ، تسعانه إذا لبسهما يلبس إحداهما ويفترش الأخرى ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فإذا كان ذلك أيقن بالموت وتهيأ له ، وهم يرزقون التنين في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل فيعينهم على كثرتهم وما هم فيه فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسهئوا ورؤي أثره عليهم فدرت عليهم الإناث وشبقت منهم الذكور وإذا". [٢]

٣٥-"" " صفحة رقم ١٨٠ " "
لقومه : إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : أنا أصنع لكم ذلك ، فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا فقال : هذا الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة فقال : هذا المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة وقال : هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله - (صلى الله عليه وسلم) - مكة فأمر برفع الحجارة ، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها . وقال قتادة وابن زيد : هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف . وقال ابن جبير العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه .
قوله : (ومناة) قرأ ابن كثير : منأة بهمزة مفتوحة بعد الألف ، والباقون بألف وحدها ، وهي صخرة كانت تعبد من دون الله . فأما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء ، وهو المطر ، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء ووزنها حينئذ " مفعلة " فألفها عن واو وهمزتها أصلية وميمها زائدة وأنشدوا على ذلك :
٤٥٥٨ - ألا هل أتى تيم بن عبد مناءة
على النأي فيما بيننا ابن تميم
وقد أنكر أبو عبيدة قراءة ابن كثير ، وقال : لم أسمع الهمز .
قال شهاب الدين : قد سمعه غيره ، والبيت حجة عليه . وأما قراءة العامة فاشتقاقها من منى يمني أي صب لأن دماء النسائك كانت تصب عندها ، وأنشدوا لجرير :
٤٥٥٩ - أزيد مناة توعد يا ابن تيم
تأمل أين تاه بك الوعيد

---

(١) الدر المنثور ٥/٤٤٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٩/٦٤٧

وقال أبو البقاء : وألفه عن ياء كقولك : منى يمني إذا قدر ، ويجوز أن تكون من الواو ، ومنه منوان فوزنها على قراءة القصر فعلة .". (١)

٣٦-"فوجدهم على مقد [ا] ر واحد ذكرهم وأنثاهم يبلغ طول أحدهم مثل نصف طول الرجل المربوع منا . لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا . وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها ، وأحناك [كأحناك] الابل قوة . تسمع لهم حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل ، أو كقضم البغل المسن . ولهم هلب من الشعر في أجسادهم ما يواريهم ، و [ما] يتقون به الحر والبرد ، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان ، إحداهما وبرة ظهرها وبطنها ، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها . تسعانه إذا لبسهما يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى . يصيف في أحدهما ويشتي في الأخرى . ليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه وينقطع عمره . وذلك أنه لايموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت أنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد . فإذا كان ذلك أيقن بالموت . وهم يرزقون التنين في أيام الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه.
كما يستمطر المطر بحينه فيقدرون منه كل سنة . فيأكلون عامهم كله إلى مثلها من القابلة . فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم . فإذا أمطروه أخصبوه وعاشوا وسمنوا". (٢)

٣٧-"ص : ٦٤
ومعنى البيت : أنهم كانوا يستمطرون بالسلع والعشر ، وهما ضربان من الشجر ، فيعقدونهما في أذناب البقر ، ويضرمون فيهما النار.
وقوله : (و عالت البيقورا) يعني : سنة الجدب أثقلت البقر بما حملت من الشجر والنار فيها والعائل : الفقير.
والدليل على أن الرواية (سلع ما) قول الآخر «١» :
أجاعل أنت بيقورا مسلمة ذريعة لك بين الله والمطر
وحدثني أيضا أبو حاتم ، عن الأصمعي ، أنه قال في بيت امرئ القيس «٢» :
نطعنهم سلكى ومخلوجة كرك لأمين على نابل
ذهب من يحسن هذا الكلام.
وقال مثل ذلك في بيت الحارث بن حلزة «٣» :
زعموا أن كل من ضرب العي ر موال لنا وأنا الولاء
وفسره الأصمعي فقال : أراد نطعنهم طعنة سلكى ، أي مستوية ، ومخلوجة : عادلة ذات اليمين وذات الشمال ، كما ترد سهمين على صاحب سهام قد دفعهما إليك لتنظر

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٨/١٨٠
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية ٦/٤٤٦٧

(١) يروى صدر البيت بلفظ :

أجاعل أنت بيقورا مسلعة والبيت من البسيط ، وهو للورل الطائي في لسان العرب (بقر) ، (سلع) ، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٨٧ ، وتاج العروس (بقر) ، (سلع) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٢/ ٩٩ ، ومجمل اللغة ١/ ٢٨٢ ، وديوان الأدب ٢/ ٦١.

(٢) يروى عجز البيت بلفظ :

لفتك لأمين على نابل والبيت من السريع ، وهو في ديوان امرئ القيس ص ٢٥٧ ، ولسان العرب (خلج) ، (سلك) ، (نبل) ، (لأم) ، وتهذيب اللغة ٧/ ٥٧ ، ١٠/ ٦٢ ، ١٥/ ٣٦١ ، ٤٠٠ ، وجمهرة اللغة ص ٤٠٦ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٠٦ ، ٥/ ٢٢٧ ، وتاج العروس (خلج) ، (سلك) ، (لأم) ، وديوان الأدب ٢/ ٦ ، وكتاب الجيم ٣/ ٢١٩ ، وكتاب العين ٤/ ١٦٠ ، ٥/ ٣١١ ، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٤٤ ، والمخصص ٦/ ٥٧ ، ١٥/ ١٩٢.

(٣) البيت من الخفيف ، وهو في ديوان الحارث بن حلزة ص ٢٣ ، ولسان العرب (عير) ، ومقاييس اللغة ٤/ ١٩٢ ، وديوان الأدب ٣/ ٣٠٢ ، وتهذيب اللغة ٣/ ١٦٧ ، والحيوان ٥/ ١٧٥ ، والخصائص ٣/ ١٦٦ ، والزاهر ٢/ ١٤٤ ، وشرح القصائد السبع ص ٤٤٩ ، وشرح القصائد العشر ص ٣٧٩ ، وفصل المقال ص ٣٠ ، والمعاني الكبير ٢/ ٨٥٥ ، ومعجم البلدان (عير) ، ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٨٤ ، وتاج العروس (عير) ، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٧٧ ، والمخصص ١/ ٩٤ ، ١٥/ ١٣٤.". [(١)]

٣٨-" ٢٢٢١ -

الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان رهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانه ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال تلك العزى ولن تعبد أباد ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك تمنى عندها أى تراق وقريء ومناءة وهي مفعلة من النواء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والأخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوزأن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم أنهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتاأفرأيتم الخ والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤن الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى عقيب ما سمعتم من اثار كمال عظمة الله عز و جل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته

(١) تأويل مشكل القرآن ص/٦٤

ونفاذ امره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى ومابينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفراءيتم هذه الأصنام مع حقراتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل أخبرون عن آلهتكم هل لها شئ من القدرة والعظمة الت وصف بها رب العزة في الآى السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتم الى هذه الأصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم والأول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى شهادة بينة فإنه توبيخ مبني على التوبيخ الأول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على حنابة تعالى بنسبتهم إليه تعالى الإناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثان وعليه ظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ما قيل من أن هذه الجملة مفعول ثاني للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الأول لما أن الأصل أخبروني ان اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله هن أى تلك الأصنام فوضع موضع الأنثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فهي من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد إليه سبحانه تلك إشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية إذا قسمة ضيزى أى جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكرون ". (١)

٣٩-"﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون بها ويستغفرون للذين ءامنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما﴾ .

لما ذكر جدال الكفار في آيات الله وعصيانهم ، ذكر طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه ، وهم حمله العرش ، ﴿ومن حوله﴾ ، وهم الحافون

٤٥٠

به من الملائكة. وذكروا من وصف تلك الجملة وعظم خلقهم ، ووصف العرش ، ومن أي شيء خلق ، والحجب السبعينيات التي اختلفت أجناسها ، قالوا : احتجب الله عن العرش وعن حامليه ، والله أعلم به على أن قدرته تعالى محتملة لكل ما ذكروه مما لا يقتضي تجسيما ، لكنه يحتاج إلى نقل صحيح. وقرأ الجمهور : ﴿العرش﴾ بفتح العين ؛ وابن عباس وفرقة : بضمها ، كأنه جمع عرش ، كسقف وسقف ، أو يكون لغة في العرش.

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ : أي ينزهونه عن جميع النقائص ، ﴿بحمد ربهم﴾ : بالثناء عليه بأنه المنعم على الإطلاق. والتسبيح : إشارة إلى الإجلال ؛ والتحميد : إشارة إلى الإكرام ، فهو قريب من قوله : ﴿تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام﴾ ، ونظيره : ﴿وترى الملئاكة حآفين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق﴾ ؛ وقولهم : ونحن نسبح بحمدك. ﴿ويؤمنون﴾ : أي ويصدقون بوجوده تعالى وبما وصف به نفسه من صفاته العلا ، وتسبيحهم إياه يتضمن الإيمان. قال الزمخشري : فإن قلت : ما فائدة قوله : ﴿ويؤمنون به﴾ ، ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين

---

(١) تفسير أبي السعود ١٥٨/٨

يسبحون بحمده مؤمنون ؟ قلت : فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه ، كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابة بالصلاح لذلك ، وكما عقب أعمالهم الخير بقوله : ﴿ثم كان من الذين ءامنوا ﴾ ، فأبان بذلك فضل الإيمان. وفائدة أخرى ، وهي التبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة ، لكان حملة العرش ومن حوله مشاهد بن معاينين ، ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب. ولما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم ، علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير ، وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا ، وأنه منزه عن صفات الإجرام.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤

وقد روعي التناسب في قوله : ﴿ويؤمنون بها ويستغفرون للذين ءامنوا ﴾ ، كأنه قيل : ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم ، وفيه تنبيه على أن الإشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة ، وأبعثه على إمحاض الشفقة ، وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن ، فإنه لا تجانس بين ملك وانسان ، ولا بين سماء وأرض قط ثم لما جاء جامع الإيمان ، جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي ، حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض ، قال تعالى : ﴿ويستغفرون لمن فى الارض﴾ . انتهى ، وهو كلام حسن. إلا أن قوله : إن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير فيه نظر ، وقوله : ﴿ويستغفرون للذين ءامنوا ﴾ تخصيص لعموم قوله : ﴿ويستغفرون لمن فى الارض﴾ . وقال مطرف بن الشخير : وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة ، وأغش العباد للعباد الشياطين ، وتلا هذه الآية. انتهى. وينبغي أن يقال : أنصح العباد للعباد الأنبياء والملائكة. ﴿ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما﴾ : أي يقولون : ربنا واحتمل هذا المحذوف بيانا ليستغفرون ، فيكون في محل رفع ، وأن يكون حالا ، فيكون في موضع نصب. وكثيرا ما جاء النداء بلفظ ربنا ورب ، وفيه استعطاف العبد لمولاه الذي رباه وقام بمصالحه من لدن نشأته إلى وقت ندائه ، فهو جدير بأن لا يناديه إلا بلفظ الرب. وانتصب رحمة وعلما على التمييز ، والأصل : وسعت رحمتك كل شيء ، وعلمك كل شيء ؛ وأسند الوسع إلى صاحبها مبالغة ، كأن ذاته هي الرحمة والعلم ، وقد وسع كل شيء. وقدم الرحمة ، لأنهم بها يستمطرون أحسانه ويتوسلون بها إلى حصول مطلوبهم من سؤال المغفرة.

ولما حكى تعالى عنهم كيفية ثنائهم عليه ، وأخبر باستغفارهم ، وهو قولهم : ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ . وطلب المغفرة نتيجة الرحمة ، وللذين تابوا يتضمن أنك علمت توبتهم ، فهما راجعان إلى قوله : ﴿رحمة وعلما﴾ ، و﴿واتبعوا سبيلك﴾ ، وهي سبيل الحق التي نهجتها لعبادك ، ﴿إنك أنت العزيز﴾ : الذي لا تغالب ، ﴿الحكيم﴾ : الذي يضع الأشياء مواضعها التي

٤٥١

تليق بها. ولما طلب الغفران يتضمن إسقاط العذاب ، أرادفوه بالتضرع بوقايتهم العذاب على سبيل المبالغة والتأكيد ، فقالوا : ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ ، وطلب المغفرة ، ووقاية العذاب للتأئب الصالح ، وقد وعد بذلك الوعد الصادق بمنزلة الشفاعة في زيادة الثواب والكرامة.

". (١)

٤٠-"يعكفون على قبره ، فجعلوه وثنا. وفي التحرير : أنه كان صنما تعظمه العرب. وقيل : حجر ذلك اللات ، وسموه باسمه. وعن ابن جبير : صخرة بيضاء كانت العرب تعبدها وتعظمها. وعن مجاهد : شجيرات تعبد ببلادها ، انتقل أمرها إلى الصخرة. انتهى ملخصا. وتلخص في اللات ، أهو صنم ، أو حجر يلت عليه ، أو صخرة يلت عندها ، أو قبر اللات ، أو شجيرات ثم صخرة ، أو اللات نفسه ، أقوال ، والعزى صنم. وقيل : سموه لغطفان ، وأصلها تأنيث الأعز ، بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها ، وخرجت منها شيطانة ، ناشرة شعرها ، داعية ويلها ، واضعة يدها على رأسها ؛ فجعل يضر بها بالسيف حتى قتلها ، وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانكإني رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : "تلك العزى ولن تعبد أبداً". وقال أبو عبيدة : كانت العزى ومناة بالكعبة. انتهى. ويدل على هذا قول أبي سفيان في بعض الحروب للمسلمين : لنا عزى ، ولا عزى لكم. وقال ابن زيد : كانت العزى بالطائف. وقال قتادة : كانت بنخلة ، ويمكن الجمع ، فإنه كان في كل مكان منها صنم يسمى بالعزى ، كما قلنا في اللات ، فأخبر كل واحد عن ذلك الصنم المسمى ومكانه. ﴿ومنواة﴾ : قيل : صخرة كانت لهذيل وخزاعة ، وعن ابن عباس : لثقيف. وقيل : بالمشكك من قديد بين مكة والمدينة ، وكانت أعظم هذه الأوثان قدرا وأكثرها عددا ، وكانت الأوس والخزرج تهل لها هذا اضطراب كثير في الأوثان ومواضعها ، والذي يظهر أنها كانت ثلاثتها في الكعبة ، لأن المخاطب بذلك في قوله : ﴿أفرءيتم﴾ هم قريش. وقرأ الجمهور : ومناة مقصورا ، فقيل : وزنها فعلة ، سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها : أي تراق. وقرأ ابن كثير : ومناءة ، بالمد والهمز. قيل : ووزنها مفعلة ، فالألف منقلبة عن واو ، نحو : مقالة ، والهمزة أصل مشتقة من النوء ، كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها ، والقصر أشهر. قال جرير :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٥٣

أزيد مناة توعد بأس تيمتأمل أين تاه بك الوعيد

وقال آخر في المد والهمز :

ألا هل أتى تيم بن عبد مناءةعلى النأي فيما بيننا ابن تميم

واللات والعزى ومناة منصوبة بقوله : ﴿أفرءيتم﴾ ، وهي بمعنى أخبرني ، والمفعول الثاني الذي لها هو قوله : ﴿ألكم الذكر وله الانثى ﴾ على حد ما تقرر في متعلق أرأيت إذا كانت بمعنى أخبرني ، ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على اللات والعزى ومناة ، لأن قوله : ﴿وله الانثى ﴾ هو في معنى : وله هذه الإناث ، فأغنى عن الضمير. وكانوا يقولون في هذه الأصنام : هي بنات الله ، فالمعنى : ألكم النوع المحبوب المستحسن الموجود فيكم ، وله النوع المذموم بزعمكم ؟ وهو

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر) /

المستثقل. وحسن إبراز الأنثى كونه نصا في اعتقادهم أنهن إناث ، وأنهن بنات الله تعالى ، وإن كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة ، وألف التأنيث في العزى ، ما يشعر بالتأنيث ، لكنه قد سمى المذكر بالمؤنث ، فكان في قوله : ﴿الانثى ﴾ نص على اعتقاد التأنيث فيها. وحسن ذلك أيضا كونه جاء فاصلة ، إذ لو أتى ضميرا ، فكان التركيب ألكم الذكر وله هن ، لم تقع فاصلة. وقال الزجاج : وجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها ، فيقول : أخبروني عن آلهتكم ، هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السالفة ؟ انتهى. فجعل المفعول الثاني لأفرأيتم جملة الاستفهام التي قدرها ، وحذفت لدلالة الكلام السابق عليها ، وعلى تقديره يبقى قوله : ﴿ألكم الذكر وله الانثى ﴾ متعلقا بما قبله من جهة المعنى ، لا من جهة المعنى الإعراب ، كما قلناه نحن. ولا يعجبني قول الزجاج :

١٦١

وجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها ، ولو قال : وجه اتصال هذه ، أو وجه انتظام هذه مع ما قبلها ، لكان الجيد في الأدب ، وإن كان يعني هذا المعنى.

وقال ابن عطية : ﴿أفرءيتم﴾ خطاب لقريش ، وهي من رؤية العين ، لأنه أحال على أجرام مرئية ، ولو كانت أرأيت التي هي استفتاء لم تتعد. انتهى. ويعني بالأجرام : اللات والعزى ومناة ، وأرأيت التي هي استفتاء تقع على الأجرام ، نحو : أرأيت زيدا ما صنع ؟ وقوله : ولو كانت أرأيت التي هي استفتاء ، يعني الذي تقول النحاة فيه إنها بمعنى أخبرني ، لم تتعد ؛ والتي هي بمعنى الاستفتاء تتعدى إلى اثنين ، أحدهما منصوب ، والآخر في الغالب جملة استفهامية. وقد تكرر لنا الكلام في ذلك ، وأوله في سورة الأنعام. ودل كلام ابن عطية على أنه لم يطالع ما قاله الناس في أرأيت إذا كانت استفتاء على اصطلاحه ، وهي التي بمعنى أخبرني. والظاهر أن ﴿الثالثة الاخرى ﴾ صفتان لمناة ، وهما يفيدان التوكيد. قيل : ولما كانت مناة هي أعظم هذه الأوثان ، أكدت بهذين الوصفين ، كما تقول : رأيت فلانا وفلانا ، ثم تذكر ثالثا أجل منهما فتقول : وفلانا الآخر الذي من شأنه. ولفظة آخر وأخرى يوصف به الثالث من المعدودات ، وذلك نص في الآية ، ومنه قول ربيعة بن مكرم :

". (١)

٤١-"" صفحة رقم ٢٥٦ "

النجم : (١٩ - ٢٠) أفرأيتم اللات والعزى

) أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج) والعزى (بالتشديد سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث الأعز) ومناة (صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر) ١٢١/٨

لثقيف وهي فعلة من مناة إذا قطعه فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير / مناة / وهي مفعلة من النوء فإنهم كانوا يستمطرون الأنواء عندها تبركا بها وقوله) الثالثة الأخرى (صفتان للتأكيد كقوله تعالى) يطير بجناحيه (أو) الأخرى (من التأخر في الرتبة

النجم : (٢١) ألكم الذكر وله . . . . .

) ألكم الذكر وله الأنثى (إنكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الأصنام استوطنها جنيات هن بناته أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله) أفرأيتم)

النجم : (٢٢) تلك إذا قسمة . . . . .

) تلك إذا قسمة ضيزى (جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فإن فعلى بالكسر لم تأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمز من ضأزه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به

النجم : (٢٣) إن هي إلا . . . . .

) إن هي إلا أسماء (الضمير للأصنام أي ما هي باعتبار الألوهية إلا أسماء تطلقونها عليها لأنهم يقولون أنها آلهة وليس فيها شيء من معنى الألوهية أو للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء أو للأسماء المذكورة فإنهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم أنها تستحق أن يتقرب إليها بالقرابين) سميتموها (سميتم بها". [١]

٤٢-"" صفحة رقم ١٠٧ "

نوازل الخطوب ، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ، ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ، ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم : إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء . أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم ، وتوبيخا إلى توبيخ) تلك (إشارة إلى يا ولينا ، لأنها دعوى ، كأنه قيل : فما زالت تلك الدعوى) دعواهم (والدعوى بمعنى الدعوة . قال تعالى :) دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ((يونس : ١٠) . فإن قلت : لم سميت دعوى ؟ قلت : لأن المولول كأنه يدعو الويل ، فيقول تعالى : يا ويل فهذا وقتك . و) تلك (مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم . الحصيد : الزرع المحصود . أي : جعلناهم مثل الحصيد ، شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول : جعلناهم رمادا ، أي مثل الرماد . والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له ، فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية . فإن قلت كيف ينصب (جعل) ثلاثة مفاعيل ؟ قلت : حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد ؛ لأن معنى قولك (جعلته حلوا حامضا) جعلته جامعا للطعمين . وكذلك معنى ذلك : جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود .

) وما خلقنا السمآء والا رض وما بينهما لاعبين لو أردنآ أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنآ إن كنا فاعلين (

---

(١) تفسير البيضاوى. موافق للمطبوع ٢٥٦/٥

الأنبياء : (١٦) وما خلقنا السماء . . . . .

أي : وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب ، كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم ، للهو واللعب ، وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية ، لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا ، مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى . ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي : هو أن الحكمة صارفة عنه ، وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير . وقوله :) لاتخذناه من لدنا (، كقوله :) رزقا من لدنا ((القصص : ٥٧) أي من جهة قدرتنا وقيل : اللهو الولد بلغة اليمن . وقيل المرأة . وقيل من لدنا ، أي من الملائكة لا من الإنس ، ردا لولادة المسيح وعزير .". (١)

٤٣-"" صفحة رقم ٤٢٤ "

صخرة كانت لهذيل وخزاعة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : لثقيف . وقرىء : (ومناءة) وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها ، أي : تراق ، ومناءة مفعلة من النوء ، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها . و) الاخرى (ذم ، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار ، كقوله تعالى :) وقالت أولاهم لاخراهم ((الأعراف : ٣٨) أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم . ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى . كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله ، وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات ، فقيل لهم) ألكم الذكر وله الانثى (ويجوز أن يراد : أن اللات والعزى ومناة إناث ، وقد جعلتموهن لله شركاء ، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم ، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله وتسمونهن آلهة) قسمة ضيزى (جائرة ، من ضازه يضيزه إذا ضامه ، والأصل : ضوزى . ففعل بها ما فعل ببيض ؛ لتسلم الياء . وقرىء : (ضئزى) من ضأزه بالهمز . وضيزى : بفتح الضاد) هى (ضمير الأصنام ، أي ما هي) إلا أسماء (ليس تحتها في الحقيقة مسميات ، لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشده منافاة لها . ونحوه قوله تعالى :) ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها ((يوسف : ٤٠) أو ضمير الأسماء وهي قولهم ، اللات والعزى ومناة ، وهم يقصدون بهذه الأسماء الآلهة ، يعني : ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ، ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به . ومعنى) سميتموها (سميتم بها ، يقال : سميته زيدا ، وسميته بزيد (إن يتبعون) وقرىء بالتاء) إلا الظن (إلا توهم أن ما هم عليه حق ، وأن آلهتهم شفعاؤهم ، وما تشتهيه أنفسهم ، ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل .

) أم للإنسان ما تمنى فلله الا خرة والا ولى (

النجم : (٢٤ - ٢٥) أم للإنسان ما . . . . .

) أم للإنسان ما تمنى (هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ، أي : ليس للإنسان ما تمنى ، والمراد طمعهم في شفاعة

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع ١٠٧/٣

الآلهة ، وهو تمن على الله في غاية البعد ، وقيل : هو قولهم :) ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى ((فصلت : ٥٠) وقيل : هو قول الوليد بن المغيرة (لأوتين مالا وولدا) وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبي (صلى الله عليه وسلم) فلله الآخرة والأولى أي هو مالكهما ، فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء ، وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما .

) وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشآء". [١]

٤٤-"مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله.

وقال مجاهد : كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ويتخذ منه حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن النخلة فلما مات عبدوه وهو اللات.

وقال الكلبي : كان رجلا من ثقيف يقال له : صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة ، ثم تأتيه العرب فتلت به أسوقتهم ، فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعبدتها.

وقال القرطبي : كانت صخرة مربعة وكان سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء ، فكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات ، وكانت في موضع مسجد الطائف اليسرى ، فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف.

فبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليا فهدمها وحرقها بالنار ، ثم اتخذ العرب العزى وهي أحدث من اللات ، اتخذها ظالم بن سعيد.

والعزى : فعلى من العز وهي تأنيث الأعز كالفضلى والأفضل.

وهي اسم صنم.

وقيل : شجرة كانت تعبد.

قال مجاهد : هي شجرة كانت بغطفان كانوا يعبدونها ، فبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفأس ويقول : ٤٥٥٧ – يا عز كفرانك لا سبحانك

إني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس ، ناشرة شعرها ، تضرب رأسها وتدعو بالويل والثبور فقتلها خالد.

وروي أن خالدا لما قطع الشجرة رجع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : قد قطعتها ، فقال : ما رأيت ؟ قال : ما رأيت شيئا.

فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : ما بلغت.

فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ، ثم رجع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع ٤/٤٢٤

- فقال : تلك العزى ، ولن تعبد أبدا.

وقال الضحاك : هو صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني.

وذلك أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ، ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فعاد إلى بطن نخلة وقال

١٧٩

لقومه : إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : أنا أصنع لكم ذلك ، فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا فقال : هذا الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة فقال : هذا المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة وقال : هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة فأمر برفع الحجارة ، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها.

وقال قتادة وابن زيد : هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف.

وقال ابن جبير العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه.

قوله : (ومناة) قرأ ابن كثير : منأة بهمزة مفتوحة بعد الألف ، والباقون بألف وحدها ، وهي صخرة كانت تعبد من دون الله.

فأما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء ، وهو المطر ، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء ووزنها حينئذ " مفعلة " فألفها عن واو وهمزتها أصلية وميمها زائدة وأنشدوا على ذلك : ٤٥٥٨ - ألا هل أتى تيم بن عبد مناءة

على النأي فيما بيننا ابن تميم

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ١٧٧

وقد أنكر أبو عبيدة قراءة ابن كثير ، وقال : لم أسمع الهمز.

قال شهاب الدين : قد سمعه غيره ، والبيت حجة عليه.

وأما قراءة العامة فاشتقاقها من منى يمني أي صب لأن دماء النسائك كانت تصب عندها ، وأنشدوا لجرير : ٤٥٥٩ - أزيد مناة توعد يا ابن تيم

تأمل أين تاه بك الوعيد

وقال أبو البقاء : وألفه عن ياء كقولك : منى يمني إذا قدر ، ويجوز أن تكون من الواو ، ومنه منوان فوزنها على قراءة القصر فعلة.

١٨٠

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٤٧٠٢

٤٥-" الأنبياء ١٨ - ١٣

أو شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقائل بعض الملائكة وارجعوا إى ما أترفتم فيه نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه ومساكنكم لعلكم تسئلون أي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليك ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو اجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم وقال بعضهم لبعض لا تركضوا أو ارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودي من السماء يالثارات الانبياء واخذتهم السيوف فثم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف فما زالت تلك هي اشارة إلى يا ويلنا دعواهم دعاءهم وتلك مرفوع على أنه اسم زالت ودعواهم الخير ويجوز العكس حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد أي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر خامدين ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل أي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أي جعلته جامعا للطعمين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاءل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب وإنما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبراه ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله لو أردنا أن نتخذ لهوا أي ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته لاتخذناه من لدنا من الولدان أو الحور إن كنا فاعلين أي ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان أدري أي ما كنا فاعلين بل نقذف بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف أي نرمي ونسلط بالحق بالقرآن على الباطل الشيطان أو بالإسلام على ا لشرك أو بالجد على اللعب فيدمغه فيكسره ويدحض الحق الباطل ". (١)

٤٦-" المأوى عند سدرة المنتهى الجمهور على انها شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة واخرها وقيل لم يجاوزها احدو اليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل تنتهى اليها ارواح الشهداء عندها جنة المأوى اى الجنة التى يصير اليها المتقون وقيل تأوى لايها ارواح الشهداء اذيغشى السدرة ما يغشى اى رآه اذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله اشياء لا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر بصر رسول الله صلى الله عليه و سلم ما عدل عن رؤية العجائب التى مر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد رأى والله لقد راى من آيات ربه

---

(١) تفسير النسفي ٧٦/٣

الكبرى الآيت التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى السماء فأرى عجائب الملكوت ٦أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة اى اخبرونا عن هذه الاشياء التى تعبدونها من دون اللهD هل لها من القدرة والعظمةالتى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة اصنام لهم وهى مؤنثات فاللات كان لثقيف بالطائف وقيل كانت بنهخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهى سمرة واصلها تأنيث الاعز وقطعها خالدين الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اى تراق ومناءة مكى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها الاخرى هى صفة ذم اى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اى وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عندالله مع وأدهم البنات وكراهتم لهن فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى اى جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى اى جائرة من ضازة يضيزه اذا اضامه وضيزى فعلى اذ لا فعلى في النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل ميض وهو بوض مثل حمر وسود ضئزى بالهمز مكى من ضأز مثل ضازه ان هى ما الاصنام الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشد منافاة لها سميتموها اى سميتم ". (١)

٤٧-"قوله ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ الظاهر أن الكبرى صفة الآيات أي لقد رأى بعض آيات ربه الكبرى . وذلك البعض إما جبرائيل على صورته ، وإما سائر عجائب الملكوت . ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف أي لقد رأى من آيات ربه آية هي الكبرى . وعلى هذا لا تكون تلك الآية رؤية جبريل لما ورد في الاخبار أن الله ملائكمة أعظم منه كالملك الذي يسمى روحا . نعم لو قيل : إنها رؤية الله الأعظم كان له وجه عند من يقول بأنه A رأي الله ليلة المعراج . وفيه خلاف تقديم .

قوله ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ الخ . أي عقيب ما سمعتم من عظمة الله تعالى ونفاذ أمره في الملأ الأعلى ، وأن الذي سد الأفق ببعض أجنحته تخلف عند سدره المنهتى ، هل تنظرون إلى هذه الأصنام مع قلتها وفقرها حتى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه وعولتم عليه؟ قال في الكشاف : اللات اسم صنم كان لثقيف بالطائف وأصله « فعلة » من لوى يلوي لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة ، أو يتلوون عليها أي يطوفون فكأنه حذفت الياء تخفيفا وحركت الواو فانقلبت ألفا . والوقف عليه بالتاء كيلا يشبه اسم الله : وقيل : أصله اللات بالتشديد وقد قرىء به . زعموا أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج . وعن مجاهد : كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا . والعزى تأنيث الأعز وكان لغطفان وهي شجرة سمرة بعث إليها رسول الله A خالد ابن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس ناشرة الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل والثبور فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك ... إني رأيت الله قد أهانك

---

(١) تفسير النسفي ١٨٩/٤

فرجع إلى النبي A وأخبره بما فعل . فقال : تلك العزى ولن تعبد أبدا . وأما مناة فهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة كأنها سميت بذلك لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق . ومن قرأ بالمد فلعلها « مفعلة » من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها . و ﴿ الأخرى ﴾ لا يطلق إلأا إذا كان الأول مشاركا كالثاني فلا يقال : رأيت رجلا وامرأة أخرى . وإنما يقال رأيت رجلا ورجلا آخر . وههنا ليست عزى ثالثة فكيف قال ﴿ ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ؟ وأجيب بأن الأخرى صفة ذم لها أي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله ﴿ وقالت أخراهم لأولاهم ﴾ [الأعراف : ٣٨] أي وضعاؤهم لرؤسائهم . ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى وذلك أن الأول كان على صورة آدمي ، والعزى كانت من النبات ومناة من الجماد . وقيل : في الكلام تقديم وتأخير أي ومناة الأخرى .". (١)

٤٨-" يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والظاهر أن الثالثةالأخرى صفتان لمناة وهما على ما قيل : للتأكيد فإن كونها ثالثة وأخرى مغايرة لماتقدمها معلوم غير محتاج للبيان وقال بعض الأجلة : الثالثة للتأكيد و الأخرى للذم بأنها متأخرة في الرتبة وضيعة المقدار وتعقبه أبو حيان بأن آخر ومؤنثه أخرى لم يوضعالذم ولا لمدح وإنما يدلان على معنى غير والحق أن ذلك باعتبار المفهوم الأصلي وهي تدل على ذم السابقتين أيضا قال في الكشف : هي اسم ذم يدل على وضاعةالسابقتين بوجه أيضا لأن أخرى تأنيث آخر تستدعي المشاركة مع السابق فإذاأتى بها لقصد التأخر في الرتبة عملابمفهوما الأصلي إذ لا يمكن العمل بالمفهوم العرفي لأن السابقتين ليست ثالثة أيضااستدعت المشاركة قضاءا لحق التفضيل وكأنه قيل : الأخرى في التأخر انتهى وهوحسن وذكر في نكتة ذممناة بهذا الذم أنالكفرة كانوا يزعمون أنها أعظم الثلاثة فأكذبهم الله تعالى بذلك

وقال الإمام : الأخرى صفة ذم كأنه قال سبحانه : ومناة الثالثة الذليلة وذلك لأن اللات كان على صورة آدمي والعزي صورة نبات ومناة صورة صخرة فالآدمي أشرف من النبات والنبات أشرف من الجماد فالجماد متأخر ومناة جماد فهي في أخريات المراتب وأنت تعلم أنه لا يتأتى على كل الأقوال وقيل : الأخرى صفة للعزي لأنها ثانية اللات والثانية يقاللها الأخرى وأخرت لموافقة رءوس الآي وقال الحسن ابن المفضل : في الكلام تقديم وتأخير والتقدير والعزي الأخرى ومناة الثالثة ولعمري إنه ليس بشيء والكلام خطاب لعبدةهذه المذكورات وقد كانوا مع عبادتهم لها يقولون : إن الملائكة عليهم السلام وتلك المعبودات الباطلة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواكبيرافقي لهم توبيخاوتبكيتا : أفرأيتم الخ والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر منشؤنالله تعالالمنافية لها غاية المنافاة وهي علمية عند كثير ومفعولها الثاني على ما اختاره بعضهم محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز و جل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وإحكام قدرته ونفاذ أمره رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها بنات الله سبحانه وتعالى

وقوله تعالى : ألكم الذكر وله الأنثى

٢١

(١) تفسير النيسابوري ٧٩/٧

– توبيخ مبني ومداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه عز و جل حيث جعلوا له تعالى الإناث واختاروا لأنفسهم الذكور ومناط الأول نفس تلك النسبة وقيل : المعنى أرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء لله سبحانه مع ما تقدم من عظمته وقيل : المعنى أخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآية السابقة وقيل : المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التي تعبدونهاتنفعكم وقيل المعنى أفرأيتم هذه الأصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم ولا يخفى أن قوله تعالى : لكم الخ لا يلتئم مع ما قبله على جميع هذه الأقوال التئامه علىالقول السابق وقيل : ن قوله سبحانه : ألكم الخ في موضع المفعول الثاني للرؤية وخلوها عن العائد إلى المفعول الأول لما أن الأصل أخبروني أن اللات والعزى ومناة ألكمالذكر وله هن أي تلك الأصنام فوضع موضعها الأنثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ وهو على تكلفه يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير الذليل على جانب الله تعالى العزيز الجليل منغير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد إليه سبحانه وفي الكشف وجه النظم الجليل أنه ما صور أمر الوحي تصويراتاماوحققه بأن ما يستمعه وحي لا شبهة فيه لأنه رأى الآي به وعرفه حق المعرفة قالسبحانه : أفتمارونه على ما يرى على معنى أتلاحونه بعد هذه البيانات على ما يرى من الآيات المحققة لأنه على بينة من ربه سبحانه هاديامهديا وأنى يبقى للمراء مجال وقد رآه نزلة أخرى ! ". (١)

٤٩–"الخوف يدفعهم إلى الركض والهروب من البأس، والحرص الذي استمكن في نفوسهم، وحرصهم على ما كانوا عليه يناديهم في ذات أنفسهم: لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم التي كنتم فيها، وعلى النظر الأول يكون النهي عن الركض والرجوع إلى المتارف والملابس والمساكن التي ارتضوها مثابة لترفهم نوعا من التهكم عليهم، وكلا الاحتمالين ممكن الحصول، ويجوز أن يرادا معا، وقد قال الزمخشري في الكشاف في تصوير معنى الرجوع إلى مساكنهم، وفي تصوير قوله تعالى: (لعلكم تسألون) ما نصه: " لعلكم تسألون: تهكم (على التخريج الأول) وتوبيخ، أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو: ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجلسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم، ويقول لكم: بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون؟ وكيف تأتي وتذر كعادة المنعمين المخدومين، أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاونة في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض، ويستشفون بتدابيركم، ويستضيئون بآرائكم ويسألكم الواردون عليكم، ويستمطرون سحائب أكفكم، ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم، إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ ".

هذا تصوير جيد لحال المترفين الذين ينعمون بنعيم الدنيا والسلطان، ويكون معنى (تسألون) على أن الكلام من الملائكة بأمر الله تعالى، فيكون قوله: (لعلكم تسألون) فيه توبيخ أبلغ توبيخ. وعلى نظرنا الذي نقول فيه أنهم هم الذين حدثوا أنفسهم بالنهي عن الركوض في هذا الهول، فيكون لقوله: (لعلكم تسألون) تصوير لما كانوا عليه من عز ورفاهية تجعلهم

(١) روح المعاني ٢٧/٥٦

مقصودين بالسؤال فهم في حيرة بين الاستجابة لفزعهم بالفرار وبين حرصهم بالبقاء، ومهما تكن هذه الحيرة فهم يحسون بالمرارة الشديدة والهم الأكبر، ويحسون بأنهم كانوا ظالمين ولذا:
(قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤)". (١)

٥٠-"غطفان. ومناة صنم كان على الساحل يعبده هذيل وخزاعة. وقد همزه ابن كثير جعله مفعلة من النوء؛ لأنهم كانوا يستمطرون عنده بالأنواء. ومن لم يهمزها أخذها من". (٢)

٥١-"السويق للحاج " أخرجه البخاري وغيره، والألف واللام في اللات زائدة لازمة، وقال أبو البقاء: ليست بزائدة وهو غلط، والعزى من العز وهي تأنيث الأعز، وهي اسم صنم لقريش وبني كنانة، قال مجاهد: هي شجرة كانت لغطفان وكانوا يعبدونها، فبعث إليها النبي صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فقطعها.
وقيل: كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة، وقال سعيد بن جبير: العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه، وقال قتادة: هي بيت كان ببطن نخلة، وعن ابن عباس: أن العزى ببطن نخلة، وأن اللات كانت بالطائف وأن مناة كانت بقديد، ومناة صنم بني هلال، وقال ابن هشام: صنم هذيل وخزاعة وقال قتادة: كانت للأنصار وقرىء مناة بألف من دون همزة، وبالمد والهمزة فالأولى اشتقاقها من منى يمني أي صب لأن دماء النسائك كانت تصب عندها، يتقربون بذلك إليها وعلى الثانية فاشتقاقها من النوء وهو المطر، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء، وقيل: هما لغتان للعرب ووقف عليها بالتاء اتباعا لرسم المصحف وبالهاء.
قال في الصحاح: ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة، والهاء للتأنيث، ويسكت عليها بالتاء، وهي لغة، والثالثة الأخرى وصف لمناة وصفها بأنها ثالثة، وبأنها أخرى، والثالثة لا تكون إلا أخرى، قال أبو البقاء: فالوصف بالأخرى للتأكيد، وقد استشكل وصف الثالثة بالأخرى، والعرب إنما تصف به الثانية فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: (مآرب أخرى) وقال حسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، والتقدير: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة، وقيل: إن وصفها بالأخرى لقصد التعظيم، لأنها كانت عند المشركين عظيمة، وقيل: إن ذلك للتحقير والذم، وإن المراد: المتأخرة الوضيعة القدار، كما في قوله: (وقالت". (٣)

٥٢-" ٢٠ - ﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾ لما قص الله سبحانه هذه الأقاصيص قال للمشركين : موبخا لهم ومقرعا ﴿ أفرأيتم ﴾ أي أخبروني عن الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها وهل أوحت إليكم شيئا كما أوحى الله إلى محمد أم هي جمادات لا تعقل ولا تنفع ثم ذكر هذه الأصنام الثلاثة التي اشتهرت في العرب وعظم

(١) زهرة التفاسير ٤٨٣٨/٩
(٢) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني ص/٢٠
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ٢٥٦/١٣

اعتقادهم فيها قال الواحدي وغيره : وكانوا يشتقون لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وهي تأنيث الأعز بمعنى العزيزة ومناة من منى الله الشيء إذا قدره قرأ الجمهور ﴿ اللات ﴾ بتخفيف التاء فقيل هو مأخوذ من اسم الله سبحانه كما تقدم وقيل أصله لات يليت فالتاء أصيلة وقيل هي زائدة وأصله لوى يلوي لأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها أو يلتوون عليها ويطوفون بها واختلف القراء هل يوقف عليها بالتاء أو بالهاء ؟ فوقف عليها الجمهور بالتاء ووقف عليها الكسائي بالهاء واختار الزجاج والفراء الوقف بالتاء لاتباع رسم المصحف فإنها تكتب بالتاء وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبو الجوزاء وأبو صالح وحميد اللات بتشديد التاء ورويت هذه القراءة عن ابن كثير فقيل هو اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما كان رجلا في رأس جبل يتخذ من لبنها وسمنها حيسا ويطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وقال الكلبي : كان رجلا من ثقيف له صرمة غنم وقيل إنه عامر بن الظرب العدواني وكان هذا الصنم لثقيف وفيه يقول الشاعر :

(لا تنصروا اللات إن الله مهلكها ... وكيف ينصركم من ليس ينتصر)

قال في الصحاح : واللات اسم صنم لثقيف وكان بالطائف وبعض العرب يقف عليها بالتاء وبعضهم بالهاء ﴿ والعزى ﴾ صنم قريش وبني كنانة قال مجاهد : هي شجرة كانت بغطفان وكانوا يعبدونها فبعث إليها النبي صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد فقطعها وقيل كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة وقال سعيد بن جبير : العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه وقال قتادة : هي بيت كان يبطن نخلة ﴿ ومناة ﴾ صنم بني هلال وقال ابن هشام : صنم هذيل وخزاعة وقال قتادة : كانت للأنصار قرأ الجمهور ﴿ مناة ﴾ بألف من دون همزة وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي بالمد والهمز فأما قراءة الجمهور فاشتقاقها من منى يمنى أي صب لأن دماء النسائك كانت تصب عندها يتقربون بذلك إليها وأما على القراءة الثانية فاشتقاقها من النوء وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء وقيل هما لغتان للعرب ومما جاء على القراءة الأولى قول جرير :

(أزيد مناة توعد بابن تيم ... تأمل أين تاه بك الوعيد)

ومما جاء على القراءة الأخرى قول الحارثي :

(ألا هل أتى التيم بن عبد مناءة ... على السر فيما بيننا ابن تميم)

وقف جمهور القراء عليها بالتاء اتباعا لرسم المصحف ووقف ابن كثير وابن محيصن عليها بالهاء قال في الصحاح : ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهي لغة قوله : ﴿ الثالثة الأخرى ﴾ هذا وصف لمناة وصفها بأنها ثالثة و بأنها أخرى والثالثة لا تكون إلا أخرى قال أبو البقاء : فالوصف بالأخرى للتأكيد وقد استشكل وصف الثالثة بالأخرى والعرب إنما تصف به الثانية فقال الخليل : إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآية كقوله : ﴿ مآرب أخرى ﴾ وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير والتقدير : أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة وقيل إن وصفها بالأخرى لقصد التعظيم لأنها كانت عند المشركين عظيمة وقيل إن ذلك للتحقير والذم وإن المراد المتأخرة الوضيعة كما في

قوله : ﴿ قالت أخراهم لأولاهم ﴾ أي وضعاؤهم لرؤسائهم ". (١)

٥٣-"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾ [١٩ - ٢٠]

﴿ أفرأيتم اللات ﴾ قال ابن كثير : هي صخرة بيضاء منقوشة ، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، هم ثقيف ومن تابعها ، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش . قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله ، فقالوا : ﴿ اللات ﴾ يعنون مؤنثة من لفظه ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، كما قالوا : عمرو وعمرة .

وقال الزمخشري : هي فعلة من لوى ؛ لأنهم كانوا يلوون عليها ، ويعكفون للعبادة ، أو يلتوون عليها ، أي : يطوفون .

وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرؤوا : اللات بتشديد التاء ، وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج في الجاهلية السويق ، فلما مات عكفوا على قبره وعبدوه .

﴿ والعزى ﴾ وهي شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف .

قال ابن جرير : اشتقوا اسمها من اسمه تعالى العزيز ، وقال الزمخشري : أصلها تأنيث الأعز .

﴿ ومناة الثالثة الأخرى ﴾ وهي صخرة كانت بالمشلل عند قديد ، بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ، ويهلون منها للحج إلى الكعبة .

روى البخاري عن عائشة نحوه .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : اللات والعزى ومناة الثالثة ، أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها . انتهى .

تنبيهات :

الأول : قال القاضي : مناة فعلة ، من مناه إذا قطعه ؛ فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين . ومنه سميت منى ؛ لأنه يمنى فيها القرابين ، أي : ينحر .

وقال الزمخشري : وكأنها سميت مناة ؛ لأن دماء المناسك كانت تمنى عندها ، أي : تراق . وقرئ : ﴿ مناءة ﴾ مفعلة من النوء ، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها .

فإن قيل : كونها ثالثة وأخرى مغايرة لما تقدمها ، معلوم غير محتاج للبيان .

وأجيب : بأنهما صفتان للتأكيد ، أو ﴿ الثالثة ﴾ للتأكيد ، و ﴿ الأخرى ﴾ بيان لها ، لأنها مؤخرة رتبة عندهم ، عن اللات والعزى .

قال الناصر : ﴿ الأخرى ﴾ ما يثبت آخرا ، ولا شك أنه في الأصل مشتق من التأخير الوجودي ، إلا أن العرب عدلت

(١) فتح القدير ١٥٣/٥

به عن الاستعمال في التأخير الوجودي إلى الاستعمال ، حيث يتقدم ذكر معاير لا غير حتى سلبته دلالته على المعنى الأصلي ، بخلاف آخر و آخرة على وزن فاعل وفاعلة ، فإن إشعارها بالتأخير الوجودي ثابت لم يغير ، ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا : ربيع الآخر ، على وزن الأفعل ، وجمادى الأخرى ، إلى ربيع الآخر على وزن فاعل ، وجمادى الآخرة على وزن فاعلة ؛ لأنهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودي ، لأن الأفعل و الفعلى من هذا الاشتقاق مسلوب للدلالة على غرضهم ، فعدلوا عنها إلى الآخر والآخرة والتزموا ذلك فيهما . وهذا البحث مما كان الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله تعالى قد حرره آخر مدته ، وهو الحق إن شاء الله تعالى ، وحينئذ يكون المراد الإشعار بتقدم مغاير في الذكر مع ما نعتقده في الوفاء بفاصلة رأس الآية . انتهى .

الثاني : قال ابن كثير : كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة ، غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز ، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها .

قال ابن إسحاق في "السيرة" : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ، أنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده . فكانت لقريش ولبني كنانة العزى بنوسلم خالدسدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم . وبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

روى النسائي عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة ، وكانت بها العزى ، فأتاها خالد ، وكانت على ثلاث سمرات ، فقطع السمرات ، وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : [١]. فرجع خالد فلما أبصر السدنة وهم حجبتها ، أمعنوا في الحيل وهم يقولون : يا عزى ! يا عزى ! فأتاها خالد ، فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها ، فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : [٢]! قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها بني معتب ، وقد بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب فهدماها ، وجعلا مكانها مسجدا بالطائف .

قال ابن إسحاق : وكان مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر ، من ناحية المشلل بقديد ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أبا سفيان ، صخر بن حرب فهدمها . ويقال : علي بن أبي طالب . انتهى .

الثالث : قال ابن جرير : اختلف أهل العربية في وجه الوقف على ﴿ اللات ﴾ و ﴿ مناة ﴾ فكان بعض نحوي البصرة

---

(١) ارجع ، فإنك لم تصنع شيئا

(٢) تلك العزى

يقول : إذا سكت قلت : اللات ، وكذلك : مناة ، تقول : منات . وقال : قال بعضهم : اللات'فجعله من اللت الذي يلت . ولغة العرب يسكتون على ما فيه الهاء بالتاء ، يقولون : رأيت طلحة . وكل شيء مكتوب بالهاء فإنها تقف عليه بالتاء ، نحو نعمة ربك ، وشجرة . وكان بعض نحويي الكوفة يقف على اللات بالهاء ، وكان غيره منهم يقول : الاختيار في كل ما لم يضف ، أن يكون بالهاء ﴿ رحمة من ربي

﴾ [الكهف : ٩٨] ، ﴿ وشجرة تخرج ﴾ [المؤمنون : ٢٠] ، وما كان مضافا فجائز بالهاء والتاء ، فالتاء للإضافة ، والهاء لأنه يفرد ويوقف عليه دون الثاني . وهذا القول الثالث أفشى اللغات وأكثرها في العرب ، وإن كان للأخرى وجه معروف . انتهى .". [١]

٥٤-" من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فإذا كان ذلك أيقنا بالموت وتهيا له وهو يرزقون التنين في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحدة فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسمنوا ورئي أثره عليهم فدرت عليهم الإناث وشبقت منه الرجال الذكور وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا وجفرت الذكور وحالت الإناث وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعي الحمام يعوون عي ". [٢]

٥٥-"امتطط: تمدد، امتد. انبسط (بوشر).

مطوط: سمك مثل الأنواع الصغيرة من سمك البلم.

مطانوة: مطانوة: هي (متانواس باليونانية): وهي في الاصطلاحات الكنسية اليونانية، ومن ثم القبطية، تستعمل بمعنى: سجود، انبطاح؛ ومن هنا قيل ضربوا له المطانوة أي (عفروا جبينهم بين يديه) (كاترمير، أبحاث عن مصر ١: ٢٤٨).

مطر: مطر: مطر وتمطر: (فوك في مادة pluit) .

عم تمطر وعم تتمطر: إنها تمطر (بوشر).

استمطر: طلب المطر (ياقوت ١: ٨٤٠ وفي معجم مسلم): وقد استفاض بين أهل المشرق ان مع الترك حصى يستمطرون بها ويجيئهم الثلج حين أرادوا أو، مجازا، طلب الغنى كما في معجم مسلم:

بكف أبي العباس يستمطر الغنى ... ويستنزل النعمى ويسترعف النصل

استمطر: طلب (ياقوت ٣: ٥٤. أنظر المثل الذي ضربه مسلم في معجمه) وهم يرزقون التنين في أيام الربيع ويستمطرونه إذا أبطأ عنهم كما تستمطر المطر إذا انقطع (وفي حيان ٢٦ بصدد الحديث عن بعض أبيات من الشعر): فاستحسنها الأمير وقال اكتبه لنا يا موسى وزدنا أن كانت فيها عندك زيادة -وموسى مطرق إلى أن تأتأ له القول في الزيادة التي

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) /

(٢) العظمة - أبو الشيخ ٤/١٤٥٧

استمطرها منه الأمير.

استمطر: استنزل الدموع أو جعله يبكي هذا استمطر العين (معجم مسلم).

مطر والجمع أمطار: في معجم (فليشر ٤) لها مرادفان باللاتينية هما: metrum, metrata وكلاهما معيار للسؤال أما في اليونانية فهو أيضا metrum إلا أنني اعتقد أنه تصحيف المرادف الآخر في اللاتينية. إن هذه الكلمة هي ذات الكلمة العربية إلا أنني أود أن أضيف إلى ما ذكره (كاترمير في شروحه على البكري ٤١) بتعليقه العلمي رأيي بأن المطر هو كيل الجعة (المقريزي ١: ٨٤ طبعة بولاق، نويري مخطوط ٢٧٣، ٥٩٧ في فصل صناعة السكر: كل مطر نصف قنطار بالليثي على التحرير -كذا- والرطل الليثي مائتا درهم. وفي (بلاكييري ٢: ٤٦) قوله: (إن المطر mataro هو كيل النبيذ ويساوي غالونين ونصفا ومطر الزيت خمس غالونات) (براكس، جريدة الشرق والجزائر ٧: ١٦١): المطر metar هو كيل الزيت في تونس وهذه المقاييس هي من وضع التجار الفرنسيين، ويقابل ١٩ إلى ٢٠ لترا، الذين وضعوا قواعد الأوزان وجعلوها من المعادن) (بليسييه ٣٠٧، كاييه ١: ١٥٢): (المطر matar من الدخن يساوي ربع برميل). إلا أن هذا الاصطلاح وشأنه في ذلك شأن المطرة أصبح يطلق بعد حقبة من الزمن على الوعاء الكبير وقارورة الجلد أو الخشب التي يوضع فيها الماء، (لين في ترجمة ألف ليلة ٢؛ ٢٣٢ كاترمير ١: ١ ثينينو ٢: ١٣٨ (فارس): (قارورة الجلد التي تدعى مطارة والتي يوضع فيها الماء). وفي هذه الأيام يكتبونها مطارة وهي من جلد الوعل بشكل القنينة أو القرعة اليابسة وتستخدم لحمل الماء في الطريق وتتسع لأربعة أو ستة ليترات وتحافظ على برودة الماء في الصف حيث اعلق على جانب البغل (بوسييه، مارتن ١٣٢، فراسير ٢: ٤٧). وفي الأخير هي، على نحو عام تحفظ فيه المواد". [١]

"٥٦-

(من لي برد الصبا واللهو والغزل ** هيهات ما فات من أيامك الأول)

(طوى الجديدان ما قد كنت أنشره ** وأنكرتني ذوات الأعين النجل)

(وقد نهاني النهى عنها وأدبني ** فلست أبكي على رسم ولا طلل)

(ما لي وللدمنة البوغاء أندبها ** وللمنازل من خوف ومن ملل)

(متى ينال الفتى اليقظان همته ** إذ المقام بدار اللهو والغزل)

(في الخيل والخافقات السود لي شغل ** ليس الصبابة والصهباء من شغلى)

(ما كان لي أمل في غير مكرمة ** والنفس مقرونة بالحرص والأمل)

(ذنبي إلى الخيل كرى في جوانبها ** إذا مشى الليث فيها مشى مختبل)

(ولي من الفيلق الجأواء غمرتها ** إذا تقحمها الأبطال بالحيل)

(كم جأنب خشن صبحت عارضه ** بعارض للمنايا مسبل هطل)

---

(١) تكملة المعاجم العربية ٧٩/١٠

(وغمرة خضت أعلاها وأسفلها ** بالضرب والطعن بين البيض والأسل)

(سل الجرادة عني يوم تحملني ** هل فاتني بطل أو خمت عن بطل)

(وهل شآني إلى الغايات سابقها ** وهل فزعت إلى غير القنا الذبل)

(ما لي أرى ذمتي يستمطرون دمى ** ألست أولاهم بالقول والعمل)

(كيف السبيل إلى ورد خبعثنة ** طلائع الموت في أنيابه العصل)

(وما يريدون لولا الحين من أسد ** بالليل مشتمل بالجمر مكتحل)

(لا يشرب الماء إلا من قليب دم ** ولا يبيت له جار على وجل)

(لولا الإمام ولولا حق طاعته ** لقد شربت دما أحلى من العسل)

وقرأت على أبي بكر بن دريد للفند الزماني واسمه سهل بن شيبان

(صفحنا عن بني ذهل ** وقلنا القوم إخوان)

(عسى الأيام أن يرجعن قوما كالذي كانوا **)

". (١)

٥٩-" فيها لوجه الأمر . وتسكع : تمادى في الباطل

السلطوع كعصفور : الجبل الأملس . والسلنطع كسمندل : الرجل الطويل كالسلنطاع كسقنطار والمتعته في كلامه كالمجنون . واسلنطع : اسلنقى

السلع : الشق في القدم ج : سلوع . وسلع : جبل في المدينة وقول الجوهري : السلع خطأ لأنه علم وجبل لهذيل وحصن بوادي موسى من عمل الشوبك . وكزبير : ماء بقطن وجبيل بالمدينة يقال له غبغب وواد باليمامة به قرى وة بنواحي زبيد . وسلعان محركة : حصن باليمن . والسلع محركة : شجر مر أو سم أو ضرب من الصبر أو بقلة خبيثة الطعم والبرص وتشقق القدم وقد سلع كفرح فيهما فهو أسلع ج : سلع بالضم . والسولع كجوهر : الصبر المر . والسلع بالكسر : المثل و في الجبل : الشق ويفتح ج : أسلاع وسلوع وأربعة مواضع ثلاثة منها ببلاد باهلة وموضع ببلاد بني أسد . وغلامان سلعان بالكسر : تربان وغلمان أسلاع . وأسلاع الفرس : ما تعلق من اللحم على نسييها إذا سمنت والسلعة بالكسر : المتاع وما تجر به ج : كعنب و كالغدة في الجسد ويفتح ويحرك وكعنبة أو خراج في العنق أو غدة فيها أو زيادة في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت وتكون من حمصة إلى بطيخة وهو مسلوع والعلق (ج : كعنب) وبالفتح : الشجة (كائنة ما كانت ويحرك أو التي تشق الجلد ج : سلعات وسلاع . والسلع محركة : اسم جمع) . وأسلع : صار ذا شجة . وكمنبر : الدليل الهادي . والمسلوعة : المحجة . والتسليع في الجاهلية : كانوا إذا أسنتوا علقوا السلع مع العشر بثيران الوحش

---

(١) الأمالي في لغة العرب ٢٦٣/١

وحدروها من الجبال وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار يستمطرون بذلك وقول الجوهري : علقوه بذنابى البقر غلط والصواب : بأذناب (وفي البيت الذي استشهد به تسعة أغلاط) . وتسلع عقبه : تشقق . وانسلع : انشق

السلفع كجعفر : الجريء الشجاع الواسع الصدر والصخابة البذيئة السيئة الخلق كالسلفعة والناقة الجريئة الماضية وبلا لام : اسم كلبة

السلقع كجعفر : المكان الحزن أو ا تباع لبلقع والظليم . والسلنقاع كجحنبار : البرق إذا استطار (في الغيم . واسلنقع البرق : استطار : و الحصى : حميت عليه الشمس

السميذع بفتح السين والميم بعدها مثناة تحتية (ومعجمة مفتوحة) ولا تضم السين فإنه خطأ : السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف والشجاع والذئب والرجل الخفيف في حوائجه ". [1]

٦٠-""" صفحة رقم ٨٧٥ ""

تمضغه الماشية

(المضغة) القطعة التي تمضغ من لحم وغيره وفي التنزيل العزيز) فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما (وما ليس له دية من الجراح (ج) مضغ و(مضغ الأمور) صغارها

(المضيغة) أصل الأضراس في اللحى وكل لحم على عظم أو عرق واللهزمة والعضلة (ج) مضيغ ومضائغ

(مضمض)

النعاس في عينه دب وفلان نام نوما طويلا ويقال ما مضمضت عيني بنوم ما نمت والماء في فمه حركه بالإدارة فيه والإناء وغيره غسله

(تمضمض) بالماء في فيه مضمضه والنعاس في عينه مضمض ويقال تمضمضت العين بالنعاس والكلب في أثره هر

(المضماض) الخفيف السريع من الرجال والنوم والحرقة

(مضى)

الشيء مضيا خلا وذهب وفي التنزيل العزيز) ومضى مثل الأولين (و) وامضوا حيث تؤمرون (وعلى الأمر وفيه نفذ فهو ماض والأمر ممضي عليه وفيه وفلان سبيله وبسبيله مات والسيف مضاء صار حادا سريع القطع يقال هو أمضى من السيف وعلى البيع أجازه

(أمضى) الحكم والأمر أنفذه وفي الحديث (ليس لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت) والبيع ونحوه أجازه

(مضى) الأمر أمضاه

(تمضى) الرجل تقدم والأمر نفذ

(الماضي) الزمان الذاهب يقال كان ذلك في الزمان الماضي والسيف الحاد (ج) مواض

---

(١) القاموس المحيط ص/٩٤٢

(المضواء) التقدم يقال مضى على مضوائه

(مطحه)

مطحا ضربه بيده

(امتطح) الوادي ارتفع وكثر ماؤه

(تمطح) الوادي امتطح

(مطخ)

فلان مطخا أكل كثيرا والشيء لعقه يقال مطخ العسل والرجل بيده ضربه وعرضه دنسه وبالدلو جذبه

(الماطخ) الفرس الرخو عدوا

(المطاخ) الأحمق والمتكبر والفاحش البذي

(مطرت)

السماء مطرا ومطرا نزل مطرها فهي ماطرة ويقال مطرت السماء القوم أصابتهم بالمطر ويقال لا أدري من مطر به أي أخذه ومطرني بخبر أصابني وما مطر منه خيرا وما مطر منه بخير ما أصابه منه خير وفلان في الأرض مطورا ذهب والعبد أبق والطير أسرعت في هويها والفرس مطرا ومطورا أسرع في مروره وعدوه فهو مطار والقربة ملأها

(أمطرت) السماء نزل مطرها ويقال أمطرت السحب أو السماء القوم أصابتهم بالمطر وفي التنزيل العزيز) فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا (ويقال أمطر الله عليهم الحجارة (مجازا) وفي التنزيل العزيز) وأمطرنا عليهم حجارة (وفلان صار في المطر وعرق جبينه والمكان وجده ممطورا

(تماطر) السحاب مطر ساعة وكف أخرى وفلان عرق جبينه

(تمطر) الطير مطر وفلان في الأرض ذهب وبه فرسه جرى وأسرع وتعرض للمطر أو برز له ولبرده وتنزه غب المطر واستسقى يقال خرجوا يتمطرون الله والخيل جاءت وذهبت مسرعة يسبق بعضها بعضا

(استمطر) المكان أو الزرع احتاج إلى المطر وفلان طلب المطر يقال خرجوا يستمطرون الله واستكن من المطر وسكت يقال مالك مستمطرا وللسياط صبر عليها والثوب لبسه في المطر وفلانا طلب معروفه وفلان الخيل عرض لها

(الماطر) يوم ماطر ذو مطر

(المستمطر) الموضع الظاهر البارز المنكشف يقال نزل فلان بالمستمطر

(المطار) من الآبار الواسعة الفم

(المطارة) من الآبار المطار

(المطر) الماء النازل من السحاب (ج) أمطار

(المطر) يوم مطر ذو مطر

(المطر) العادة وسنبل الذرة ويسميه العامة (الكوز)

(المطران) رئيس ديني عند النصارى وهو دون البطريرك وفوق الأسقف

(المطرة) الدفعة من المطر والعادة يقال إن تلك من فلان مطرة

(المطرة) العادة وامرأة مطرة ملازمة للسواك أو للاغتسال والتنظيف

(المطرة) القربة واستعمل في الإداوة ونحوها ووسط الحوض

(المطرية) أداة كالمظلة تقي المطر (مج)

(المطير) ذو المطر ويوم مطير ماطر وما أصابه المطر يقال واد مطير

(الممطار) سماء ممطار مدرار

(الممطر) ثوب لا ينفذ منه الماء يلبس في المطر (مج)

(الممطرة) الممطر

(الممطور) رجل ممطور كثير السواك طيب النكهة

(مط) الشيء مطا مده يقال". (١)

٦١-"

(وأما باقر وبقير وبيقور وباقور وباقورة فأسماء للجمع) ، وهاذا نص عبارة المحكم ، وقال : وجمع البقر أبقر . كزمن وأزمن . وأنشد لمعقل بن خويلد الهذلي :

كأن عروضيه محجة أبقر

لهن إذا ما رحن فيها مذاعق

وأنشد في بيقور :

سلع ما ومثله عشر ما

عائل ما وعالت البيقورا

وأنشد الجوهري للورل الطائي :

لا در در رجال خاب سعيهم

يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة

ذريعة لك بين الله والمطر

وإنما قال ذالك ؛ لأن العرب كانت في الجاهلية إذا استسقوا جعلوا السلعة والعشر في أذناب البقر ، وأشعلوا فيه (النار) فتضج البقر من ذالك ، ويمطرون ، وأهل اليمن يسمون البقرة باقورة . وكتب النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الصدقة لأهل اليمن : (في ثلاثين باقورة بقرة) .

---

(١) المعجم الوسيط . موافق للمطبوع ٢/٨٧٥

وقال الليث : الباقر : جماعة البقر مع رعاتها ، والجامل : جماعة الجمال مع راعيها ، وفي جمهرة ابن دريد : وباقر وبقير جمع البقر .

(والبقار) كشداد : (صاحبه) ، أي البقر .

(و) البقار : (واد) قال لبيد :

فبات السيل يركب جانبيه

من البقار كالعمد الثقال

(و : ع ، برمل عالج ، كثير الجن) قيل : هو بنجد ، وقيل : بناحية اليمامة .

(و) البقار : (لعبة) لهم وهو

". (١)

٦٢–" الأعرج الحبشي الدمشقي ، يروي عن ثوبان وأبي أمامة ، وعنه مكحول وزيد بن سلام ، ذكره ابن حبان في الثقات . ومطير ، كزبير : تابعيان ، أحدهما شيخ من أهل وادي القرى ، يروي عن ذي الزوائد ، وعنه ابنه سليم بن مطير ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وأم الثاني : فإنه سمع ذا اليدين ، قال البخاري : لم يثبت حديثه ، أو هو مطير بن أبي خالد الراوي عن عائشة ، قال فيه أبو حاتم : إنه متروك الحديث . ومطران النصارى ويكسر ، لكبيرهم ليس بعربي محض . وقال ابن دريد : فأما مطران النصارى فليس بعربي صحيح ، هكذا نقله الصاغاني عنه . ومما يستدرك عليه : استمطر الرجل ثوبه : لبسه في المطر ، عن ابن بزرج . واستمطر الرجل : استكن من المطر . واستمطر للسياط : صبر عليها . واستمطر : استسقى ، كتمطر ، يقال : خرجوا يستمطرون الله ويتمطرونه . وسماء ممطار : مدرار ، وواد ممطور ومطير ، ووقعت مطرة مباركة . وفي المثل : بحسب كل ممطور أن مطر غيره . وخرج النعمان متمطرا ، أي متنزها غب مطر . ويقال : لا تستمطر الخيل ، أي لا تعرض لها . وقال ابن الأعرابي : ما زال فلان على مطرة واحدة ، ومطرة واحدة ، ومطر واحد ، إذا كان على رأي واحد لا يفارقه . وروي التشديد عن أبي زيد ، وقد ذكر في محله . ويقال : ما أنا من حاجتي عندك بمستمطر ، أي لا أطمع منك فيها ، عن ابن الأعرابي . ورجل مستمطر إذا كان مخيلا للخير ، وأنشد ابن الأعرابي :) ٪ (وصاحب قلت له صالح ٪ إنك للخير لمستمطر) ٪

". (٢)

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ٢٢٧/١٠

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ١٣٨/١٤

المشبه بسنا البرق . وقول الجوهري : علقوه ، قلت : ليس نص الجوهري كذلك ، بل قال : والسلع ، بالتحريك : شجر مر ، ومنه المسلعة ، لأنهم كانوا في الجدب يعلقون شيئا من هذا الشجر ومن العشر بذنابى البقر ، ثم يضرمون فيها النار وهم يصعدونها في الجبل ، فيمطرون ، زعموا ، وأنشد قول الطائي ، وقوله : بذنابى البقر غلط ، والصواب : بأذناب البقر ، وقد سبق المصنف إلى هذه التخطئة غيره ، فقد قرأت بخط ياقوت الموصلي في هامش نسخة الصحاح التي هي بخطه ما نصه : قال أبو سهل الهروي : قوله : بذنابى البقر خطأ ، والصواب

". (١)

٦٤-""""""""" صفحة رقم ٦٠ """""""

وكانت العرب في جاهليتها تأخذ حطب السلع والعشر في المجاعات وقحوط المطر فتوقر ظهور البقر منها ثم تلعج النار فيها ، يستمطرون بلهب النار المشبه بسنا البرق . وأراد الشاعر هذا المعنى بقوله :

سلع ما ومثله عشر ما

عائلا ما وعالت البيقورا

والسلوع : شقوق في الجبال ، واحدها سلع وسلع . ويقال : سلعت رأسه أي شججته قال ذلك أبو زيد . وقال شمر : السلعة : الشجة في الرأس كائنة ما كانت . يقال : في رأسه سلعتان وثلاث سلعات ، وهي السلاع . ورأس مسلوع ومنسلع . وأما السلعة بكسر السين فهي الجدرة تخرج بالرأس وسائر الجسد ، تمور بين الجلد واللحم ، تراها تديص ديصانا إذا حركتها . والسلعة وجمعها السلع كل ما كان متجورا به . والمسلع : صاحب السلعة . وقال الليث : يقال للدليل الهادي : مسلع . وأنشد بيتا للخنساء :

سباق عادية ورأس سرية

ومقاتل بطل وهاد مسلع

ابن شميل : قال رجل من العرب : ذهبت إبلي فقال رجل : لك عندي أسلاعها أي أمثالها في أسنانها وهيئاتها . وهذا سلع أي مثله . ويقال : تزلعت رجله وتسلعت إذا تشققت . وسلع : موضع يقرب من المدينة . ومنه قول الشاعر :

لعمرك إنني لأحب سلعا

أبو عمرو : هذا سلع هذا أي مثله وشرواه . ويقال : أعطني سلع هذا أي مثل هذا . وقال ابن الأعرابي : الأسلع : الأبرص . قال : والسولع : الصبر المر . والصولع : السنان المجلو . أسلاع الفرس : ما تفلق من اللحم عن نسبيها إذا استخفت سمنا . وقوله :

أجاعل أنت بيقورا مسلعة

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ٢١٧/٢١

ذريعة لك بين الله والمطر

يعني البقر التي كان يعقد في أذنابها السلع عند الجدب .

سعل : روى ابن عيينة عن عمرو عن الحسن بن محمد قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا صفر ولا هامة ولا غول ولكن السعالى) .

قال شمر فيما قرأت بخطه : قد فسروا السعالى : الغيلان وذكرها العرب في أشعارها . قال الأعشى :

ونساء كأنهن السعالى

قال : وقال أبو حاتم : يريد : في سوء حالهن حين أسرن . وقال لبيد يصف الخيل :

عليهن ولدان الرجال كأنها

سعالى وعقبان عليها الرحائل

وقال جران العود :

هي الغول والسعلاة حلقي منهما

مخدش ما بين التراقي مكدح

وقال بعض العرب : لم تصف العرب بالسعلاة إلا العجائز والخيل . قال شمر : وشبه ذو الإصبع الفرسان بالسعالى فقال :

ثم انبعثنا أسود عادية

مثل السعالى نقائبا نزعا". [1]

٦٥-"قال: يقال: هذا شئ طيبه يعني الشئ الطيب قال أبو عبيد: وإنما

أراد بالرقى والتمائم عندي ما كان بغير لسان / العربية مما لا يدرى ما هو (١)، فأما الذي يحبب المرأة إلى زوجها فهو عندنا من السحر (٢).

وقال [أبو عبيد - (٣)]: في حديث عبد الله [رحمه الله - (٤)] إنكم

---

(١) بهامش الاصل (وقيل خرزة رقطاء كانوا يتعلقونها في العنق والعضد تسمى التميمة فكرهها لئلا يقال هي التي دفعت الضر - تمت من ش (باب التاء وما بعدها من الحروف في المضاعف الاسماء)).

(٢) قال أبو محمد ابن قتيبة في إصلاح الغلط ص ٥٤: (وهذا يدل أن التمائم عند أبي عبيد المعاذات التي يكتب فيها وتعلق.

قال أبو محمد: وليست التمائم إلا الخرز وكان أهل الجاهلية يسترقون بها ويظنون بضروب منها أنها تدفع عنهم الآفات ويخبرني رجل من عظماء الترك وأخو خاقان ملك الخزر (من بلاد الترك انظر معجم البلدان ٣ / ٤٣٢ - ٤٣٥) أنهم

---

(١) تهذيب اللغة . موافقا للمطبوع ٦٠/٢

يستمطرون بخرز عندهم وأحجار وكان مذهب الاعراب فيها كمذهبهم قال الشاعر: (الطويل) إذا مات لم تفلح مزينة بعده * فنوطي عليه يا مزين التمائما أي علقي عليه هذا الخرز ليقيه أسباب المنايا وأخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو زيد أن التميمة خرزة رقطاء).

وبهامش الاصل (قال في الشمس (باب التاء والواو): (التولة) سحر تحبب به المرأة إلى زوجها) وفيه أيضا وأما في حديث ابن مسعود أن التمائم والرقي والتولة من الشرك قيل: يعني الرقي التي هي بغير لسان العرب فأما الرقي بالقرآن وأسماء الله تعالى فلا بأس بها وقيل: إنما جعلها من الشرك إذا ظن أنها ترفع العاهات دون الله تعالى) وفي الفائق ١ / ١٣٩ (هي من التولة والدولة وجاء فلان بتولاته ودولاته).

(٣) من ل ور ومص.

(٤) من مص.

(*)".[1]

٦٨-"روى ابن أبي شيبة من طريق أبي عمران الجوني عن أنس أنهم لما فتحوا تستر قال : كانوا يستظهرون ويستمطرون به ، فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب عمر إن هذا نبي من الأنبياء ، والنار لا تأكل الأنبياء ، والأرض لا تأكل الأنبياء ، فكتب : أن انظر أنت وأصحابك - يعني أصحاب أبي موسى - فادفنوه في مكان لا يعلمه أحد غيركما . قال : فذهبت أنا وأبو موسى فدفناه .

قال ابن كثير في تفسيره : وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس ، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها .

وروى ابن أبي شيبة من طريق نافع قال : بلغ عمر بن الخطاب أن ناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها . قال : فأمر بها فقطعت .

وهذه الشجرة التي بويع تحتها بيعة الرضوان في غزوة الحديبية .

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي : أرسل عمر فطمس موضع الشجرة التي بايع تحتها أصحاب الشجرة .

وروى عبد الرزاق في " باب ما يقرأ في الصبح في السفر " من طريق المعرور بن سويد قال : كنت مع عمر بين مكة والمدينة فصلى بنا الفجر فقرأ (ألم تر كيف فعل ربك) و (لإيلاف قريش) ، ثم رأى أقواما ينزلون فيصلون في مسجد ، فسأل عنهم ، فقالوا : مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا ، من مر بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليصل ، وإلا فليمض .

والآثار في هذا الباب كثيرة ، وهي دالة على عدم تعلق الصحابة رضي الله عنهم بالآثار ، وعدم الغلو فيها ، وعدم تعظيم

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ابن سلام ٥١/٤

ما لم يعظمه الله .

٧= قوة فقه الصحابة رضي الله عنهم ، وذلك لأسباب منها :

مصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم .

معايشة التنزيل .

عدم تأثرهم بالعجمة والفلسفة !". (١)

"الضوء. وأهل بلغار يحملون بضائعهم إليها للتجارة، وكل واحد يجعل متاعه في ناحية، ويعلم عليه ويتركه ثم يرجع إليه فيجد إلى جنبه متاعا يصلح لبلاده، فإن رضي بها أخذ العوض وترك متاعه، وإن لم يرض أخذ متاعه وترك العوض، ولا يرى البائع المشتري ولا المشتري البائع كما ذكرنا في بلاد الجنوب بأرض السودان.

وأهل ويسو لا يدخلون بلاد بلغار لأنهم إذا دخلوها تغير الهواء وظهر البرد، وإن كان في وقت الصيف، فيهلك حيوانهم ويفسد نباتهم. وأهل بلغار يعرفون ذلك فلا يمكنونهم من دخول بلادهم.

يأجوج ومأجوج

قبيلتان عظيمتان من الترك من ولد يافث بن نوح، عليه السلام. مسكنهم شرقي الإقليم السابع. روى الشعبي أن ذا القرنين لما وصل إلى أرض يأجوج ومأجوج اجتمع إليه خلق كثير، واستغاثوا من يأجوج ومأجوج وقالوا: أيها الملك المظفر إن وراء هذا الجبل أمما لا يحصيهم إلا الله، يخربون ديارنا ويأكلون زروعنا وثمارنا، ويأكلون كل شيء حتى العشب، ويفترسون الدواب افتراس السباع، ويأكلون حشرات الأرض كلها، ولا ينمو خلق مثل نمائهم، لا يموت أحدهم حتى يولد له ألف من الولد! قال ذو القرنين: كم صنفهم؟ قالوا: هم أمم لا يحصيهم إلا الله. وأما من قربت منازلهم فست قبائل: يأجوج ومأجوج وتأويل وتاريس ومنسك وكمادى. وكل قبيلة من هؤلاء مثل جميع أهل الأرض، وأما من كان منا بعيدا فإنا لا نعرفهم. قال ذو القرنين: وما طعامهم؟ قالوا: يقذف البحر إليهم في كل عام سمكتين، ويكون بين رأس كل سمكة وذنبها أكثر من مسيرة عشرة أيام، ويرزقون من التماسيح والثعابين والتنانين في أيام الربيع، وهم يستمطرونها كما يستمطر الغيث، فإذا مطروا بذلك أخصبوا وسمنوا؛ وإذا لم يمطروا بذلك أجدبوا وهزلوا. قال ذو القرنين: وما صفتهم؟ قالوا:." (٢)

"أنصار دين الله حزب رسوله ... والسابقين بحلبة العلياء

يا بن الخلائف من بني نصر ومن حاطوا ذمار الملة السمحاء

من كل من تقف الملوك ببابه ... يستمطرون سحائب النعماء

قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى ... فالرعب رائدهم إلى الأعداء

---

(١) شرح كتاب الحج من عمدة الأحكام ص/٢

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٦١٨

العز مجلوب بكل كتيبة ... والنصر معقود بكل لواء

يا وارثا عنها مناقبها التي ... تسمو مراقيها على الجوزاء

يا فخر أندلس وعصمة أهلها ... يجزيك عنها الله خير جزاء

كم خضت طوع صلاحها من مهمة ... لا تهتدي فيه القطا للماء

تهدي بها حادي السرى بعزائم ... تهدي نجوم الأفق فضل ضياء

يا رافع لواء الفخر غير مدافع ... واسحب ذيول العزة القسعاء

يا هنا بمبناك السعيد فإنه ... كهف ليوم مشورة وعطاء

منه هالة قد أصبحت ... حرم العفاة ومصرع الأعداء

تقاتبها طير الرجاء فتجتني ... ثمر المنى من دوحة الآلاء

منه قبة مرفوعة ... دون السماء تفوت لحظ الرائي

راقت بدائع وشيها فكأنها ... وشى الربيع بمسقط الأنداء

علمت ميلاد النبي محمد ... وشفعته بالليلة الغراء

أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا ... قوت القلوب بذلك الإحياء

يا أيها الملك الهمام المجتبى ... فاتت علاك مدارك العقلاء

من لي بأن أحصي مناقبك التي ... ضاقت بهن مذاهب الفصحاء." (١)

"وأمضى الحاكم حكمه. وجرى أبو المضاء وهي كنية الفرس. وأنشدت:

ولست بقوال إذا الضيف نابني ... تمض فإن الحي منك قريب

م ط ر

مطرتهم السماء وأمطرتهم، وسماء ماطرة وممطرة، وممطار: مدرار، وواد ممطور ومطير، ووقعت مطرة مباركة ومطر وأمطار. وفي مثل " يحسب كل ممطور أن مطر غيره " وخرجوا يستمطرون الله ويتمطرونه. وتمطر الرجل: تعرض للمطر. وخرج النعمان متمطرا: متنزها غب المطر.

ومن المجاز: أمطر الله عليهم الحجارة، ومطر في الأرض وتمطر. ومر الفرس يمطر مطرا ويتمطر: يعدو بشدة كصوت المطر. وأخذ ثوبي فلا أدري من مطر به. وتمطر به فرسه. ويوم ماطر ومطير. ومكان مستمطر: محتاج إلى المطر. واستمطرت فلانا: طلبت معروفه. والمال يستمطر: يبرز للمطر. ومنه: قعدوا في المستمطر: في المكان البارز المنكشف. قال:

ويحل أحياء وراء بيوتنا ... حذر الصباح ونحن بالمستمطر

ومطرهم خير، وما مطرني فلان بخير. ويقال: مطرهم شر. قال مضرس بن ربعي:

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢/٥٠

أتى دون نفع الغاضرية أهلها ... ولكن شر الغاضرية ماطره

وكانت فلانا فأمطر واستمطر: أطرق وعرق جبينه. وما لك مستمطرا؟ وإن تلك من فلان مطرة: عادة.

م ط ط

مط الحرف: مده. ومط بهم في السير ومطا بهم. ومارأيت الماء إلا في المطائط وهي حفر قوائم الدواب. قال:

فلم يبق إلا نطفة في مطيطة ... من الأرض فاستصفينها بالجحافل

وله دبس يتطط: يتمدد لخثورته.

ومن المجاز: مط حاجبيه إذا تكبر. قال:

إذا اللئيم مط حاجبيه ... وذب عن حريم درهميه

فقم إلى السيف ومضربيه ... إن قعد الدهر فقم إليه

م ط ق

ذاقه فتمطق له إذا ضم شفتيه إليه وألصق لسانه بنطع فيه مع صوت. قال الأعشى:

تريك القذى من دونها وهي دونه ... إذا ذاقها من ذاقها يتمطق

وتمرهم له مطقة: حلاوة يتمطق منها ذائقها.

م ط ل

مطل فلان حقي، وماطلني به مطلا ومطالا، ورجل مطال ومطول. وتقول: هو مسوف مطول، وله سوق يطول. ومطل حديدة البيضة: مدها. قال العجاج:." (١)

"قال: فرأيته يتطالل على سرجه، ثم حمل حملة كانت آخر العهد به

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه، لأبى سعيد المخزومي:

من لي واللهو والغزل ... هيهات ما فات من أيامك الأول

طوى الجديدان ما قد كنت أنشره ... وأنكرتني ذوات الأعين النجل

وقد نهاني النهي عنها وأدبني ... فلست أبكي على رسم ولا طلل

مالي وللدمنة البوغاء أندبها ... وللمنازل من خوف ومن ملل

متى ينال الفتى اليقظان همته ... إذ المقام بدار اللهو والغزل

في الخيل والخافقات السود لبرد الصبا ... لي شغل ليس الصبابة والصهباء من شغلي

ما كان لي أمل في غير مكرمة ... والنفس مقرونة بالحرص والأمل

---

(١) أساس البلاغة الزمخشري ٢١٨/٢

ذنبي إلى الخيل كرى في جوانبها ... إذا مشى الليث فيها مشى مختبل

ولي من الفيلق الجاواء غمرتها ... إذا تقحمها الأبطال بالحيل

كم جأنب خشن صبحت عارضه ... بعارض للمنايا مسبل هطل

وغمرة خضت أعلاها وأسفلها ... بالضرب والطعن بين البيض والأسل

سل الجرادة عني يوم تحملني ... هل فاتني بطل أو خمت عن بطل

وهل شآني إلى الغايات سابقها ... وهل فزعت إلى غير القنا الذبل

ما لي أرى ذمتي يستمطرون دمي ... ألست أولاهم بالقول والعمل

كيف السبيل إلى ورد خبعثنة ... طلائع الموت في أنيابه العصل

وما يريدون لولا الحين من ... أسد بالليل مشتمل بالجمر مكتحل

لا يشرب الماء إلا من قليب ... دم ولا يبيت له جار على وجل

لولا الإمام ولولا حق طاعته ... لقد شربت دما أحلى من العسل." (١)

"وقول آخر:

فلم أرقه إن ينج منها وإن يمت ... فطعنة لاغس ولا بمغمر

لأن ظاهر هذا الكلام يقتضي أنهم كانوا إذا شكوا سلامة رميهم رقوا نبالهم برقية، ونفثوا فيها نفث السواحر في عقد ما يبرمونه من سحرها. وهذا كما اعتقد في النيران وهي كثيرة ينسب بعضهم إلى العجم، وبعضهم إلى العرب وفي أثنائها نيران الديانات حتى عبدت. ويذكر هنا ما يأخذ كتابنا هذا منه بحظ، فقد استقصى الجاحظ القول فيها، وذكر أحوال المعظمين لها والمستهينين بها وقد قال الله تعالى في ذكر الثقلين: يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان

[سورة الرحمن، الآية: ٣٥- ٣٦] وليس يريد أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة، ولكنه أراد التحذير بخلقه لها والوعيد بها غير إدخال الناس فيها، وإحراقهم بها، وفي ذلك نعمة من الله مجددة، إذ كان حال من حذر مخالفا بحال من أهمل وترك وما يختاره. وقال الشاعر يد الخصب شعرا:

في حيث خالطت الخزامي عرفجا ... يأتيك قابس أهله لم يقبس

ومن أمثالهم: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. وفي الجاهلية الأولى إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد البلاء، واشتد الجدب، واحتالوا إلى استمطار جمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر ثم صعدوا بها في جبل وعر وأشعلوا فيها النار وضجوا بالدعاء والتضرع، وكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا. لذلك قال أمية بن أبي الصلت:

سنة أزمة تخيل بالناس ... ترى للعضاة فيها صريرا

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢٥٩/١

سلع ما ومثله عشر ما ... عايل ما وعالت البيقورا

ويقال: بقر وباقر وبيقر وبيقور وبقير. وقال بعضهم: تقربوا بذلك، كما تفرد بعضهم بقربان تأكله النار فإنهم كانوا يأتون بالقرابين ويوقدون نارا عظيمة وتدنى تلك القرابين في لخلف منها وهم يطوفون حولها ويتضرعون، فإذا أكلت النار وقد أشعلوها تلك القرابين عدوا ذلك قبولا لها، وإسعافا بالمطالب منها. وأنشد القحذمي للورل الطائي في لاستمطار:

لا در در رجال خاب سعيهم ... يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة ... ذريعة لك بين الله والمطر

وعلى ذكر النار فللعرب منها ما يذكر في الرموز. ومنها ما يجعل علامة لحوادث كحذر. ومنها ما يضرب بذكره مثل، أو يعقد به ديانة، أو يقام به تشبيه وسنة، والجاحظ قد." (١)

"يجمعون البقر، ويعقدون فى أذنابها وعراقيبها السلع والعشر، «١» ويصعدون بها فى الجبل الوعر، ويشعلون فيها النار، ويزعمون أن ذلك أسباب المطر.

قال أميه بن أبي الصلت:

سلع ما ومثله عشر ما ... عائل ما وعالت البيقورا

وقال الوداك الطائى:

لادر در رجال خاب سعيهم ... يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة «٢» ... ذريعة لك بين الله والمطر

البيقور والباقور والبقر سواء.

وأما نار التحالف: فانهم كانوا يوقدونها، ويعقدون حلفهم عندها، ويذكرون، منافعها، ويدعون بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد، ويهولون على من يخلف على الغدر، «٣» قال أبو هلال: وانما كانوا يخصون النار بذلك دون غيرها من المنافع، لان منفعتها تختص بالانسان لا يشركه فيها شيء من الحيوان، قال أوس بن حجر:

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه ... كما صد عن نار المهول حالف

وكانوا يقولون عند عقد الحلف: الدم الدم، الهدم الهدم،- بالفتح- وما بل بحر صوفة، وما رسا ثبير، أو غيره من الجبال كل قبيلة كانوا." (٢)

"في الكعبة، لأن المخاطب بذلك في قوله: أفرأيتم هم قريش. وقرأ الجمهور: ومناة مقصورا، فقيل: وزنها فعلة، سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها: أي تراق.

وقرأ ابن كثير: ومناءة، بالمد والهمز. قيل: ووزنها مفعلة، فالألف منقلبة عن واو، نحو: مقالة، والهمزة أصل مشتقة من النوء، كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها، والقصر أشهر. قال جرير:

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٥٣٤

(٢) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/٣٦

أزيد مناة توعد بأس تيم ... تأمل أين تاه بك الوعيد

وقال آخر في المد والهمز:

ألا هل أتى تيم بن عبد مناءة ... على النأي فيما بيننا ابن تميم

واللات والعزى ومناة منصوبة بقوله: أفرأيتم، وهي بمعنى أخبرني، والمفعول الثاني الذي لها هو قوله: ألكم الذكر وله الأنثى على حد ما تقرر في متعلق أرأيت إذا كانت بمعنى أخبرني، ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على اللات والعزى ومناة، لأن قوله: وله الأنثى هو في معنى: وله هذه الإناث، فأغنى عن الضمير. وكانوا يقولون في هذه الأصنام: هي بنات الله، فالمعنى: ألكم النوع المحبوب المستحسن الموجود فيكم، وله النوع المذموم بزعمكم؟ وهو المستثقل. وحسن إبراز الأنثى كونه نصا في اعتقادهم أنهن إناث، وأنهن بنات الله تعالى، وإن كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة، وألف التأنيث في العزى، ما يشعر بالتأنيث، لكنه قد سمى المذكر بالمؤنث، فكان في قوله: الأنثى نص على اعتقاد التأنيث فيها. وحسن ذلك أيضا كونه جاء فاصلة، إذ لو أتى ضميرا، فكان التركيب ألكم الذكر وله هن، لم تقع فاصلة. وقال الزجاج: وجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها، فيقول: أخبروني عن آلهتكم، هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السالفة؟ انتهى. فجعل المفعول الثاني لأفرأيتم جملة الاستفهام التي قدرها، وحذفت لدلالة الكلام السابق عليها، وعلى تقديره يبقى قوله:

ألكم الذكر وله الأنثى متعلقا بما قبله من جهة المعنى، لا من جهة الإعراب، كما قلناه نحن. ولا يعجبني قول الزجاج: وجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها، ولو قال: وجه اتصال هذه، أو وجه انتظام هذه مع ما قبلها، لكان الجيد في الأدب، وإن كان يعني هذا المعنى.

وقال ابن عطية: أفرأيتم خطاب لقريش، وهي من رؤية العين، لأنه أحال على." (١)

"وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة، والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم، ويقولوا لكم: بم تأمرون وماذا ترسمون، وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين، أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع، ويستمطرون سحائب أكفكم ويميرون إخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ انتهى.

ونداء الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا: يا ويل هذا زمانك، وتقدم تفسير الويل في البقرة. والظلم هنا الإشراك وتكذيب الرسل وإيقاع أنفسهم في الهلاك، واسم زالت هو اسم الإشارة وهو تلك وهو إشارة إلى الجملة المقولة أي فما زالت تلك الدعوى دعواهم. قال المفسرون: فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا «١»

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠/١٦

والدعوى مصدر دعا يقال: دعا دعوى ودعوة كقوله وآخر دعواهم «٢» لأن المويل كأنه يدعو الويل. وقال الحوفي: وتبعه الزمخشري وأبو البقاء: تلك اسم زالت ودعواهم الخبر، ويجوز أن يكون دعواهم اسم زالت وتلك في موضع الخبر انتهى. وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء قاله الزجاج قبلهم، وأما أصحابنا المتأخرون فاسم كان وخبرها مشبه بالفاعل والمفعول، فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول إذا ألبس أن يكون المتقدم الخبر والمتأخر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان، فإذا قلت: كان موسى صديقي لم يجز في موسى إلا أن يكون اسم كان وصديقي الخبر، كقولك: ضرب موسى عيسى، فموسى الفاعل وعيسى المفعول، ولم ينازع في هذا من متأخري أصحابنا إلا أبو العباس أحمد بن علي عرف بابن الحاج وهو من تلاميذ الأستاذ أبو علي الشلوبين ونبهائهم، فأجاز أن يكون المتقدم هو المفعول والمتأخر هو الفاعل وإن ألبس فعلى ما قرره جمهور الأصحاب يتعين أن يكون تلك اسم زالت ودعواهم الخبر.

---

(١) سورة غافر: ٤٠/ ٨٥.

(٢) سورة يونس: ١٠/ ١٠.." (١)

"الذين يسبحون بحمده مؤمنون؟ قلت: فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه، كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك، وكما عقب أعمالهم الخير بقوله: ثم كان من الذين آمنوا «١» ، فأبان بذلك فضل الإيمان. وفائدة أخرى، وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة، لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين، ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب. ولما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم، علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير، وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا، وأنه منزه عن صفات الأجرام.

وقد روعي التناسب في قوله: ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا، كأنه قيل:

ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم، وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة، وأبعثه على إمحاض الشفقة، وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن، فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان، ولا بين سماء وأرض قط ثم لما جاء جامع الإيمان، جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي، حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض، قال تعالى: ويستغفرون لمن في الأرض «٢» . انتهى، وهو كلام حسن. إلا أن قوله: إن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير فيه نظر، وقوله: ويستغفرون للذين آمنوا تخصيص لعموم قوله: ويستغفرون لمن في الأرض. وقال مطرف بن الشخير: وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة، وأغش العباد للعباد الشياطين، وتلا هذه الآية. انتهى. وينبغي أن يقال: أنصح العباد للعباد الأنبياء والملائكة. ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما: أي يقولون: ربنا واحتمل هذا المحذوف بيانا ليستغفرون، فيكون في محل رفع، وأن يكون حالا، فيكون في موضع نصب. وكثيرا ما جاء النداء بلفظ ربنا ورب، وفيه استعطاف العبد لمولاه الذي رباه وقام بمصالحه من لدن نشأته إلى وقت ندائه، فهو جدير بأن لا يناديه إلا بلفظ الرب.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤١٤/٧

وانتصب رحمة وعلما على التمييز، والأصل: وسعت رحمتك كل شيء، وعلمك كل شيء وأسند الوسع إلى صاحبها مبالغة، كأن ذاته هي الرحمة والعلم، وقد وسع كل شيء. وقدم الرحمة، لأنهم بها يستمطرون إحسانه ويتوسلون بها إلى حصول مطلوبهم من سؤال المغفرة.

(١) سورة البلد: ٩٠/ ١٧.

(٢) سورة الشورى: ٤٢/ ٥.." (١)

"يقول الحق جل جلاله: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أي: أخبروني عن هذه الأشياء التي تعبدونها من دون الله، هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة حتى استحقت العبادة، أم لا؟ واللات وما بعدها: أصنام كانت لهم، فاللات كانت لثقيف بالطائف، وقيل: كانت بنخلة تعبدها قريش، وهي فعلة، من: لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها. وقرأ ابن عباس ومجاهد ورويس بتشديد التاء، على أنه اسم فاعل، اشتهر به رجلا كان يلت السويق بالزيت، ويطعمه الحاج، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه «١» . (والعزى) كانت لغطفان، وهي شجرة كانوا يعبدونها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها، واضعة يدها على رأسها، وهو تولول، فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «تلك العزى، لن تعبد بعد اليوم أبدا» «٢» .

(ومناة) : صخرة على ساحل البحر لهذيل وخزاعة، وقيل: بيت بالمشلل يعبده بنو كعب، وسميت مناة لأن دماء النسائك تمنى، أي: تراق عندها لأنهم كانوا يذبحون عندها. وقرأ ابن كثير بالهمزة بعد الألف، مشتق من النوء لأنهم كانوا يستمطرون بالأنواء عندها، تبركا بها، وقيل: سموا هذه الأصنام بأسماء الله، وأنثوها، كأنها بنات الله في زعمهم الفاسد، فاللات من «الله» ، كما قالوا: عمر وعمرة، وعباس وعباسة، فالتاء للتأنيث. والعزى: تأنيث العزيز، ومناة: تأنيث منان، فغير تخفيفا، ويؤيد هذا قوله تعالى ردا عليهم: ألكم الذكر وله الأنثى.

والأخرى: صفة ذم لها، وهي المتأخرة الوضيعة القدر، كقوله: قالت أخراهم لأولاهم «٣» أي: وضعاؤهم لرؤسائهم، وقيل: وصفها بالوصفين لأنهم كانوا يعظمونها أكثر من اللات والعزى، والفاء في قوله: (أفرأيتم) للعطف على محذوف، وهي لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي: عقب ما سمعتم من كمال عظمته تعالى في ملكه وملكوته، وأحكام قدرته، ونفوذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما، رأيتم هذه الأصنام مع حقارتها بنات الله، مع وأدكم البنات، وكراهتكم لهن؟.

(١) أخرج البخاري المقطع الأول: «كان اللات رجلا يلت سويق الحاج» فى (التفسير، سورة النجم، باب أفرأيتم اللات والعزى رقم ٤٨٥٩) .

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٩/٢٣٨

(٢) عزاه المناوى فى الفتح السماوي ٣/ ٩٠٧ لابن مردويه، من حديث ابن عباس رضي الله عنه. [.....]

(٣) من الآية ٣٨ من سورة الأعراف.." (١)

"الرمادة وهي القحط والجدب والمجاعة حتى [١] رعيها وعطلت النعم فقال كعب الأحبار لعمر إن بني إسرائيل كان إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء فقال عمر هذا العباس عم النبي صله وصنو أبيه وسيد بني هاشم [F؟ ١٩٠ V؟] فمشى إليه وكلمه وخرج معه الناس إلى المستمطر ودعا عمر والعباس رضي الله عنهما فسقوا وفي ذلك يقول حسان بن ثابت [كامل]

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرة العباس

عم النبي وصنو والده الذي ... ورث النبي بذاك دون الناس

أحيا البلاد به الإله فأصبحت ... مهتزة الأجناب بعد إياس

فتح السوس

قال وحاصرهم أبو موسى الأشعري حتى أجهدهم الحصار فاستأمن دهقانهم لمائة نفس وقال أبو موسى الأشعري اللهم أنسه نفسه فلما نزلوا قال له اعزل المستأمنين فعزل مائة ولم يعزل نفسه فأمر به أبو موسى فضرب عنقه وأصابوا جثة دانيال في تابوت من رخام يستصرخون به ويستمطرون فكتب إلى عمر بذلك فكتب في الجواب إني أراه نبيا فادفنه حيث لا يشعر

---

[١] . كذا في الأصل Lacunedanslems.enmarge:." (٢)

"الوجه. وهذا الفج، فهل نجعل لك خرجا على أن تسده عليهم وتكفينا أمرهم.

قال: فما طعامهم؟ قالوا: يقذف البحر إليهم في كل عام سمكتين مسيرة عشرة أيام كل سمكة منهما. قال: فبنى هذا السد وفي الخبر قال: السد طريقة حمراء من نحاس، وطريقة سوداء من حديد، ويأجوج ومأجوج أربع وعشرون قبيلة، فكانت قبيلة منهم في الغزو وهم الترك، ٢/ ١٤٣ فردم ذو القرنين السد على ثلاث وعشرين قبيلة.

قال مقاتل بن سليمان: وإنما سموا الترك لأنهم تركوا خلف الردم، قالوا:

وإذا نزل عيسى (صلى الله عليه وسلم) وقتل الدجال الملعون ظهر يأجوج ومأجوج فيقوم عيسى في المسلمين خطيبا، فيحمد الله ويثني عليه ويقول: اللهم انصر القليل في طاعتك على الكثير في معصيتك، فينصر الله المؤمنين عليهم، وفي خبر عن وهب بن منبه قال: هم قوم طول، أحدهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليب في مواضع الأظفار في أيدينا، ولهم أضراس وأنياب كالسباع، ولهم آذان عظام يفترشون الإحدى ويلتحفون بالأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله، وذلك أنه لا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، وكذلك الرجال منهم، وهم يرزقون التنين في الربيع ويستمطرونه لحينه، كما يستمطر الغيث لحينه، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الذئب، ويتسافدون حيث ما

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٥٠٥

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٨٧/٥

التقوا كتسافد البهائم، ولما عاين ذو القرنين ذلك منهم انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق، فوجد بعد ما بينهما فرسخا وهو ثلاثة أميال، فحفر له أساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه ميلا، وجعل حشوه زبر الحديد أمثال الصخور، وطينه النحاس يذاب فيصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فكأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه ٢/١٤٤ وأحكمه انصرف راجعا. وقال ابن عباس:

الأرض ستة أجزاء: فيأجوج ومأجوج منها خمسة أجزاء، وسائر الخلق في جزء واحد. وقال المعلى بن هلال الكوفي: كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما وليالي لا يصفق أمواجه، ويسمع له دوي شديد، فيقولون:." (١)

"ومن هذا الموضع ملك كيماك مسيرة ثمانين يوما للفارس المجد يحمل معه زاده.

وان جميع ذلك صحارى وبراري ومفاوز واسعة كثيرة الكلأ والعيون. وفيه مراعي الكيماكية. وذكر انه سلك وحده هذه الطريق ووجد ملك كيماك مع عسكره في خيام وبقربه قرى وعمارات وانه ينتقل من موضع إلى موضع يتبع الكلأ. وان دوابهم كثيرة دقيقة الحوافر. وحزر من في عسكره فوجدهم نحو عشرين ألف فارس.

وذكر أبو الفضل الواشجردي أن ملك التغزغز غزا ملك الصين مرتين في أيام الرشيد. وقيل ذلك في أيام المهدي [١٦٩ ب] وكانت غزوته ما بين سروشنة إلى سمرقند. وان عامل سمرقند حاربه في عدة وقائع وكانت لهم حروب شديدة. ثم إن صاحب سمرقند رزق النصر عليه فهزمه وقتل خلقا من أصحابه. ويقال إنه كان في ستمائة ألف بين فارس وراجل من أهل الصين. فغنم المسلمون غنيمة عظيمة وأسروا خلقا، فأولادهم الذين بسمرقند يعملون الكاغذ الجيد وأنواع السلاح والآلات التي لا تعمل بمدن خراسان إلا بسمرقند.

ومن عجائب بلد الترك حصى عندهم يستمطرون [به] «١» ما شاءوا من مطر وثلج وبرد وغير ذلك. وأمر هذا الحصى عندهم مشهور مستفيض لا ينكره أحد من الأتراك. وهو عند ملك التغزغز خاصة ليس يوجد عند أحد من ملوكهم غيره. وحدثني أبو عبد الله الحسين بن استاذويه. حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن. حدثنا هشام بن لهراسب السائب الكلبي عن أبي مليح عن ابن عباس قال:

لم يتزوج إبراهيم عليه السلام على سارة حتى ماتت فتزوج امرأة من العرب العاربة يقال لها قنطورا بنت مقطور فولدت له مدين ومداين وهو مدين ونيسان واشتق وسرج. فأمر إبراهيم عليه السلام أن يضم إليه من ولد إسماعيل وإسحاق ومدين ونيسان ويخرج عنه مدين واشتق وسرج. فقالوا له: يا أبانا كيف تستجيز أن تترك عندك إسماعيل وإسحاق ومدين ونيسان في الأمن والدعة وتخرجنا نحن عنك إلى." (٢)

"«١٥» - وقال أيضا: [من الطويل]

تزور امرءا يعطي على الحمد ماله ... ومن يعط أثمان المحامد يحمد

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٥٩٤

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٦٣٩

وأنت امرؤ من تعطه اليوم [١] نائلا ... بكفيك لا تمنعه من نائل الغد

ترى الجود لا يدني من المرء حتفه ... كما البخل والإمساك ليس بمخلد [٢]

مفيد [٣] ومتلاف إذا ما سألته ... تهلل واهتز اهتزاز المهند

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

وسمع عمر رضي الله عنه هذا البيت فقال: كذب، تلك نار موسى عليه السلام.

«١٦» - وقال الأخطل: [من الطويل]

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز ... بساهمة الخدين طاوية القرب

إليك أمير المؤمنين رحلتها ... على الطائر الميمون والمنزل الرحب

مناخ ذوي الحاجات يستمطرونه ... عطاء جزيلا [٤] من أسارى ومن نهب

ترى الحلق الماذي تجري فضوله ... على مستقل [٥] بالنوائب والحرب

«١٧» - وقال أيضا: [من الطويل]

كريم مناخ القدر [٦] لا عاتم القرى ... ولا عند أطراف القنا بهيوب

---

[١] الديوان: تزور امرءا إن يعطك اليوم

[٢] روايته في الديوان:

يرى البخل لا يبقي على المرء ماله ... ويعلم أن الشح غير مخلد

[٣] الديوان: كسوب.

[٤] الديوان: عطاء كريم.

[٥] الديوان: مستخف.

[٦] الديوان: الضيف.." (١)

"المؤنثة على اعتبار أنها رموز للملائكة وأن أسماءها هي أسماء الملائكة وأن الملائكة هم بنات الله.

٢- إنهم كانوا يعبدون الملائكة بقصد الاستشفاع بهم عند الله على اعتبار أنهم بناته وذوو حظوة لديه.

٣- إن هذه العقائد ليست حديثة وإنما هي متوارثة عن الآباء.

٤- إنهم كانوا يقصدون من عبادتهم الملائكة والاستشفاع بهم تحقيق ما يبتغون من مطالب الحياة الدنيا فقط من جلب النفع ودفع الضرر دون تفكير بالآخرة ومصيرهم فيها لأنهم لم يكونوا يؤمنون بها.

٥- ولقد تكرر في القرآن تسفيه العرب في عقائدهم المذكورة ونفي أثر ونفع استشفاعهم بالملائكة وتقرير كون الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فقط هو المفيد للإنسان مما مرت منه أمثلة ومما سوف يأتي كثير منه، حيث يدل هذا على أن

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٦/٤

فكرة الشفاعة كانت راسخة عندهم يعتقدون بأثرها النافع.

ولقد تكرر كذلك تقرير كون الملائكة إنما هم عبيد الله، وأنهم لا يشفعون لأحد عند الله إلا إذا كان راضيا عنه آذنا بالشفاعة فيه مما أوردنا في سياق سورة المدثر أمثلة قرآنية عنه. والمتبادر أن هذا التقرير المتكرر قد انطوى فيه فيما انطوى إفهام العرب أن الذين يعبدونهم ويشركونهم في الدعاء والاتجاه مع الله هم عبيد خاضعون له لا يفتأون يسبحون بحمده ويقدسونه. وأن الأحجى أن يعبدوا الله رب العالمين من إنس وجن وملائكة.

٦- والأقوال في اللات والعزى ومناة عديدة وفيها تضارب. منها أن اللات كان صنما بالطائف لثقيف أو بنخلة لقريش. وأن العزى شجرة بأرض غطفان أو صنم لهم أو بيت عبادة في الطائف. وأن مناة صنم لهذيل وخزاعة، وكان من معبودات أهل مكة أو أنها بيت عبادة في المشلل كان يطوف به بنو كعب، أو أنها صخرة كان العرب يستمطرون عندها، وأن اسمها مشتق من النوء وهو الريح الماطر. وقد ورد فيما ورد أن الثلاثة أصنام كانت قائمة في فناء الكعبة أو موضوعة في جوفها.." (١)

"اللات قبل ألف سنة من البعثة النبوية على أنها من معبودات العرب. وقد قرئ اسم اللات- اللت- هللت- على نقوش نبطية ولحيانية وثمودية كتبت قبل البعثة بزمن يتراوح بين ثلاثمائة عام وثمانمائة عام. فالذي يتبادر أنه الأصوب هو أن اللاة معبود عربي قديم اشترك في عبادته جماعات كثيرة من العرب في أنحاء مختلفة في جزيرة العرب وخارجها وظل يحتفظ باسمه ومكانته في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته بنوع خاص. ولعل مفهوم كون اللاة مؤنث الله عز وجل نشأ عندهم حين استقرت صيغ الفصحى وصاروا يعتقدون بوجود الله كإله أعظم وبكون الملائكة إناثا وبنات الله.

فصاروا يعتبرون المعبود الذي يسمونه بهذا الاسم رغما عن قدم التسمية من الوجهة التاريخية رمزا للملائكة. ويظل احتمال أن يكون اللاة من جذر عربي قديم فيه معنى الألوهية أو العبادة واردا على ما ذكرناه في سياق التعليق على كلمة «الله» في سورة الفاتحة.

كذلك قلنا في تعريف مناة إن المفسرين قالوا إنها مشتقة من النوء وإن العرب كانوا يستمطرون عندها. ولقد قرئ اسم «منوتو» على نقوش نبطية تعود إلى قرون عديدة قبل الإسلام كمعبود من جملة المعبودات النبطية. حيث يمكن أن يقال عن هذا المعبود ما قلناه عن اللاة. وإن كانت دائرة التشارك فيه أضيق. واحتمال تطور مفهوم الاسم والرمزية الذي أوردناه بالنسبة للاة في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم في دور العروبة الفصحى وارد أيضا بالنسبة لمناة التي يحتمل والحالة هذه أن تكون تطورا عن منوتو. ولا يبعد أن يكون جذر هذه الكلمة متصلا بمعنى النوء والمطر فكان أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءلون بالاسم ويستمطرون عند المعبود المسمى به.

ولعل في هذا تفسيرا لتعدد المعبودات والآلهة عند العرب حيث كانوا يتجهون في كل مطلب إلى إله خاص. وفي الروايات

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ١٠١/٢

العربية تأييدات أخرى لذلك كانوا يلقون سهام الاستخارة حينما يريدون مشاورة المعبودات في بعض شؤنهم عند صنم لهم في الكعبة اسمه هبل. ولعله كان غير ذلك مما أباد عصر الإسلام خبره.." (١)

"من لوى يلوى لانهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون حولها قلبت الواو الفا وحذفت الياء على خلاف قياس ووضعت تاء التأنيث مكانها فكتبت طويلا قرأ ابن عباس ومجاهد وابو صالح ورويس بتشديد التاء على انه سمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج فلما مات كانوا عكرنا على قبره ثم كانوا يعبدونه وقال قتادة كانت اللات صنما لثقيف بالطائف وقال ابن زيد كانت بيت بنخلة تعبده قريش واما العزى قال مجاهد هى شجرة بغطفان كانوا يعبدونها وقال ابن إسحاق كانت بيتا بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان حلفاء بنى هاشم كانت أعظم أصنام قريش وجميع كنانة كان عمرو بن لحى قد أخبرهم ان الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوالهما بيتا وكانوا يهدون اليه كما يهدون الى الكعبة وروى البيهقي عن ابى الطفيل بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة خالد بن وليد فاتاها خالد فقطع السمرات وهدمها ثم رجع الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال هل رايت شيئا قال لا قال فانك لم تهدمها فرجع خالد وهو مستيقظ فلما رات السدنة خالدا انبعثوا فى الحيل وهم يقولون يا عزى خليه يا عزى عوربه والا فموتى برغم فخرجت اليه سوداء عريانة ناشرة الراس تحثوا لتراب على راسها ووجهها فجرد سيفه وهو يقول كفرانك لا سبحانك انى رايت الله قد أهانك فضربها بالسيف فخبر بها باثنين ثم رجع الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاخبره قال نعم تلك العزى قد يئست ان تعبد ببلدكم ابدا وقال الضحاك هى صنم بغطفان وضعها سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراى صفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليست لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة نقلها الى النخلة فوضع الذي أخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة فقال هذه المروة ثم أخذ ثلثة أحجار فاسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها.

ومناة قرأ ابن كثير بمد وهمزة على انه مفعلة من النوع كانهم يستمطرون الأنواع عندها تبركا بها أصله منواة قلبت الواو الفا بعد نقل حركتها الى ما قبلها والباقون بلا مد وهمزة فهى فعلة من مناة إذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين قال قتادة هى لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رض فى الأنصار كانوا يهلون لمناة." (٢)

"وإذا هنا فجائية، والجملة بعدها جواب «لما» .

وقوله– سبحانه–: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم حكاية لما تقوله لهم الملائكة وهم يركضون هربا– على سبيل التهكم والاستهزاء.

أى: يقال لهم من جهة الملائكة أو من جهة المؤمنين لا تركضوا هاربين وارجعوا إلى قريتكم وإلى ما أترفتم فيه أى: وإلى ما

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ١٠٣/٢

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١١٦/٩

نعمتم فيه من العيش الهنيء. والخير الوفير، الذي أبطركم وجعلكم تجحدون النعم، ولم تستعملوها فيما خلقت له.
فقوله: أترفتم من الترفه- بالتاء المشددة مع الضم- وهي النعمة والطعام الطيب. يقال: ترف فلان- كفرح- إذا تنعم. وفلان أترفته النعمة، إذا أطغته أو نعمته.
وقوله: ومساكنكم معطوف على ما.
أى: لا تهربوا وارجعوا إلى ما نعمتم فيه من العيش الهنيء، وإلى مساكنكم التي كنتم تسكنونها، وتتفاخرون بها.
لعلكم تسئلون أى يقصدكم غيركم لسؤالكم عما نزل بكم، فتجيبوا عن علم ومشاهدة.
قال صاحب الكشاف: «قوله لعلكم تسئلون تهكم بهم وتوبيخ، أى: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم. فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.
أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم، وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم حشمكم وعبيدكم، ومن تملكون أمره. وينفذ فيه أمركم ونهيكم، ويقول لكم: بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون؟
وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين.
أو يسألكم الناس في أنديتكم.. ويستشيرونكم في المهمات. ويستضيئون بآرائكم.
أو يسألكم الوافدون عليكم، ويستمطرون سحائب أكفكم.. قيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم، وتوبيخا إلى توبيخ» «١» .
وهنا أدرك هؤلاء الظالمون، أن الأمر جد لا هزل، وأن العذاب نازل بهم لا محالة، وأن القائلين لهم لا تركضوا، إنما يتهكمون بهم. فأخذ أولئك الظالمون يتفجعون ويتحسرون قائلين: يا ويلنا إنا كنا ظالمين.

---

(١) تفسير الكشاف ج ٣ ص ١٠٦.." (١)

"فيها النار وأصعدوها في جبل وعر واتبعوا آثارها يدعون الله تعالى ويستسقون ويفعلون ذلك تفاؤلا للبرق ٢ - وقال الورل رادا عليه

(لا در در رجال خاب سعيهم ... يستمطرون لذى الأزمات بالعثر)

(أجاعل أنت بيقورا ملعة ... ذريعة لك بين الله والمطر)

٣ - وقال سحيم عبد بنى الحسحاس

(وكم قد شفقنا من رداء محبر ... ومن برقع عن طفلة غير عانس)." (٢)

"(ما كان لي أمل في غير مكرمة ... والنفس مقرونة بالحرص والأمل)

(ذنبي إلى الخيل كري في جوانبها ... إذا مشى الليث فيها مشي محتبل)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١٩٢/٩

(٢) الحماسة البصرية صدر الدين البَصْري ٣٩٦/٢

(ولي من الفيلق الجأواء غمرتها ... إذا تقحمها الأبطال بالحيل)

(كم جأنب خشن صبحت عارضه ... بعارض للمنايا مسبل هطل)

(وغمرة خضت أعلاها وأسفلها ... بالطعن والضرب بين البيض والأسل)

(سل الجرادة عني يوم تحملني ... هل فاتني بطل أو خمت عن بطل)

(وهل شآني إلى الغايات سابقها ... وهل فزعت إلى غير القنا الذبل)

(مالي أرى ذمتي يستمطرون دمي ... آلست أولاهم بالقول والعمل)." (١)

"فتفهم- رحمك الله- فقد أراد الله إفهامك.

وقال الله تعالى للثقلين: يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران، فبأي آلاء ربكما تكذبان

[١] ، فجعل الشواظ والنحاس، وهما النار والدخان، من الآية. ولذلك قال على نسق الكلام: فبأي آلاء ربكما تكذبان

[١] ولم يعن أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة، ولكنه أراد التحذير بالخوف والوعيد بها، غير إدخال الناس فيها، وإحراقهم بها.

١٢٤٥-[نار الشجر]

وقال المرار بن منقذ [٢] : [من الكامل]

وكأن أرحلنا بجو محصب ... بلوى عنيزة من مقيل الترمس

في حيث خالطت الخزامى عرفجا ... يأتيك قابس أهلها لم يقبس

أراد خصب الوادي ورطوبته. وإذا كان كذلك لم تقدح عيدانه، فإن دخلها مستقبس لم يور نارا.

وقال كثير [٣] : [من الطويل]

له حسب في الحي، وار زناده ... عفار ومرخ حثه الوري عاجل [٤]

والعفار والمرخ، من بين جميع العيدان التي تقدح، أكثرها في ذلك وأسرعها.

قال: ومن أمثالهم: «في كل الشجر نار، واستمجد المرخ والعفار» [٥] .

١٢٤٦-[نار الاستمطار]

[٦] ونار أخرى، وهي النار التي كانوا يستمطرون بها في الجاهلية الأولى؛ فإنهم

---

(١) الحماسة المغربية الجرّاوي ٦٦٩/١

[١] ٣٥/الرحمن: ٥٥.

[٢] البيتان للمرار بن سعيد في ديوانه ٤٦١، وأشعار اللصوص ٣٦٣، وللأسدي في البيان ٣/٣٤، والبيت الثاني للأسدي في المخصص ١٠/١٧٦، ١١/٣٢، وتقدم البيتان في ٣/٦٢، فقرة (٦١٣) مع نسبتهما للأسدي.

[٣] ديوان كثير ٢٧٧، والمخصص ١١/٢٧.

[٤] وار: متقد.

[٥] المستقصى ٢/١٨٣، وفصل المقال ٢٠٢، وجمهرة الأمثال ١/١٧٣، ٢/٩٢، ومجمع الأمثال ٢/٧٤، وثمار القلوب (٨٢٣) ، وقيل إن معناه: أنهما أخذا الفضل وذهبا بالمجد.

[٦] ثمار القلوب (٨٢٩) ، وانظر الخزانة ٧/١٤٧، والأوائل ٣٥، ونهاية الأرب ٣/١٢٠، ومحاضرات الراغب ١/١٥٢.." (١)

"دون الله. فأما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء، وهو المطر لأنهم يستمطرون عندها الأنواء، ووزنها حينئذ مفعلة فألفها عن واو، وهمزتها أصلية، وميمها زائدة. وأنشدوا على ذلك:

٤١٣٠ - ألا هل أتى تيم بن عبد مناءة ... على النأي فيما بيننا ابن تميم

وقد أنكر أبو عبيد قراءة ابن كثير، وقال: «لم أسمع الهمز» . قلت: قد سمعه غيره، والبيت حجة عليه.

وأما قراءة العامة فاشتقاقها من منى يمني أي: صب؛ لأن دماء النسائك كانت تصب عندها، وأنشدوا لجرير:

٤١٣١ - أزيد مناة توعد يا بن تيم ... تأمل أين تاه بك الوعيد

وقال أبو البقاء: «وألفه من ياء لقولك: منى يمني إذا قدر، ويجوز أن تكون من الواو، ومنه منوان» فوزنها على قراءة القصر فعلة.

«والأخرى» صفة لمناة. قال أبو البقاء: «والأخرى توكيد؛ لأن الثالثة لا تكون إلا أخرى» . وقال الزمخشري: «والأخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله: ﴿قالت أخراهم﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: وضعاؤهم." (٢)

"نتوقعهم وننظر أن يطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين

فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال: ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما اغدو إلى الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم وأعلم علمهم وأقيس ما بين جبليهم

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم فإذا هم على مقدار واحد

أنثاهم وذكرهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا ولهم أنياب

(١) الحيوان الجاحظ ٤/٤٩١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٠/٩٣

وأضراس كأضراس السباع وأنيابها وأحناك كأحناك الإبل قوة يسمع له حركة إذا أكل كحركة الجرة من الإبل أو كقضم الفحل المسن أو الفرس القوي وهم صلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان إحداهما وبرة ظهرها وبطنها والأخرى زغبة ظهرها وبطنها

تسعانه إذا لبسهما يلبس إحداهما ويفترش الأخرى ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فإذا كان ذلك أيقن بالموت وتهيأ له

وهم يرزقون التنين في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل فيعينهم على كثرتهم وما هم فيه فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسهئوا ورؤي أثره عليهم فدرت عليهم الإناث وشبقت منهم الذكور وإذا أخطأهم هزلوا وأحدثوا وجفلت منهم الذكور وأحالت الإناث وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عوي الذئاب ويتسافدون حيثما التقوا تسافد البهائم

ثم لما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما - وهي في منقطع أرض الترك مما يلي الشمس - فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علا وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد." (١)

"قال الله تعالى ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ ١.

مناة بفتح الميم والنون الخفيفة٢ اسم صنم كانت على ساحل البحر الأحمر مما يلي قديدا٣ في منطقة تعرف بالمشلل٤. وكانت للأوس والخزرج وغسان ومن دان بدينهم، يعبدونها ويعظمونها في الجاهلية ويهلون منها للحج، وقد بلغ من تعظيمهم إياهم كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة تحرجا وتعظيما لها حيث كان "ذلك سنة في آبائهم من أحرم لمناة لم يطف بين الصفا والمروة"٥.

ولم تزل هذه عادتهم حتى أسلموا " فلما قدموا مع النبي صلى الله عليه وسلم للحج ذكروا

---

١ النجم (٢٠) .

٢ ابن حجر، فتح (١٧٥/٨) ، وقال عنها: والطاغية صفة لها، إسلامية. وقال الشوكاني: قرأ الجمهور مناة بألف من دون همزة، وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي بالمد والهمزة، فأما قراءة الجمهور فاشتقاقها من منى يمني أي: صب؛ لأن دماء النسائك كانت تصب عندها يتقربون بذلك إليها، وأما القراءة الثانية فاشتقاقها من النوء وهو المطر، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء، وقيل: هما لغتان للعرب. فتح القدير (١٠٨/٥) .

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٤٢/٥

٣ سبق التعريف بها.

٤ المشلل: قال عنها البكري: والمشلل من قديد وبالمشلل كانت مناة. وقال مالك: كانت حذو قديد. البكري، معجم ما استعجم (١٠٥٥/٣) .

قلت: ورد ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري"وكانت مناة حذو قديد". ابن حجر، فتح (١٧٥/٨) .

وقال الحموي: والمشلل الطرد، وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. معجم (١٣٦/٥) . ويقول البلادي: المشلل ثنية تأتي أسفل قديد من الشمال إذا كنت في بلد صعبر بين رابغ والقضيمة، كانت المشلل مطلع شمس مع ميل إلى الجنوب، وحرة المشلل هي التي تراها من تلك القرية، سوداء مدلهمة تشرق الشمس عليها وفيها كانت مناة الطاغية، ومحلها معلوم. البلادي، معجم (٢٩٨) .

٥ حديث صحيح موقوف على عائشة رضي الله عنها رواه مسلم وهذا لفظه. النووي على مسلم (٢٤/٩) ، وانظر روايات عائشة رضي الله عنها حول ذلك عند البخاري. ابن حجر، فتح (١٧٥/٨، ٤٩٨/٣) ، وعند مسلم. النووي على مسلم (٢٢/٩-٢٣-٢٤) ، وعند أحمد بسند صحيح. البنا، الفتح (٧٩/١٨) .

وانظر رواية ابن إسحاق حول نفس الموضوع. ابن هشام، سيرة (٨٥/١) ، وهناك روايات عن قتادة، والضحاك، وابن هشام يذكرون فيها أنها كانت لخزاعة وهذيل. وقال الشوكاني: هي صنم بني هلال. أما ابن زيد فيقول: لبني كعب. انظر الزرقاني، شرح (٣٤٩/٢) ، والشوكاني، فتح (١٠٨/٥) .." [(١)]

"صفحت له عنها السنون وواجهت ... أطرافها وجه الزمان طليقا

رفع الأمير أبو سعيد ذكرها ... وأقام فيها للمكارم سوقا

يستمطرون بدا يفيض نوالها ... فيغرق المحروم والمرزوقا

يقظ إذا اعترض الخطوب برأيه ... ترك الجليل من الخطوب دقيقا

هلا سألت محمدا بمحمد ... تجد الخبير الصادق المصدوقا

وسل الشراة فإنهم أشقى به ... من أهل موقان الأوائل موقا

كنا نكفر من أمية عصبة ... طلبوا الخلافة فجره وفسوقا

ونقول تيم قربت وعديها ... أمرا بعيدا حيث كان سحيقا

وللوم طلحة والزبير كليهما ... ونعنف الصديق والفاروقا

وهم قريش الأبطحين إذا انتموا ... طابوا أصولا فيهم وعروقا." [(٢)]

"[سلع] السلعة (١) : المتاع. والسلعة: الضواة، وهي زيادة تحدث في الجسد كالغدة، تتحرك إذا حركت، وقد تكون حمصة إلى بطيخة. والسلعة بالفتح: الشجة. وسلعت رأسه أسلعه سلعا، أي شققته. وسلع أيضا: جبل بالمدينة. قال تأبط

---

(١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة بريك العمري ص/٢٨٦

(٢) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي يوسف البديعي ١٧/١

شرا (٢) : إن بالشعب الذى دون سلع * لقتيلا دمه ما يطل * والسلع أيضا: الشق في القدم، وجمعه سلوع. قال يعقوب: يقال للشق في الجبل سلع بالسكسر، وجمعه أسلاع، وبعضهم يفتحه. والسلع بالتحريك: شجر مر، ومنه المسلعة، لانهم كانوا في الجدب يعلقون شيئا من هذا الشجر ومن العشر بأذناب البقر، ثم يضرمون فيها النار وهم يصعدونها في الجبل، فيمطرون زعموا. قال الشاعر (٣)

---

(١) والسلعة: كل ما كان متجرا به وفيه، والجمع سلع.

(٢) الصواب: قال الشنفرى ابن أخت تأبط شرا يرثيه.

(٣) الورل الطائى. وقبله: لا در در رجال خاب سعيهم * يستمطرون لدى الازمات بالعشر:." [1]

" السفرقع بفاء ثم قاف: لغة ضعيفة في:

السقرقع، بقافين (الثانية مفتوحة) ، وهو تعريب السكركة، ساكنة الراء، وهو شراب يتخذ من الذرة، أو شراب لأهل الحجاز من الشعير والحبوب، حبشية، وقد لهجوا بها، وليس في الكلام خماسية مضمومة الأول مفتوحة العجز.

السقع، بالضم: الصقع، وما تحت الركية، وجولها من نواحيها.

وسقع الديك، كمنع: صاح،

و. الشيء: ضربه، ولا يكون إلا صلبا، بمثله،

و. الطعام: أكل من سوقعته، ومنه قول الأعرابي لضيفه، وقد قدم إليه ثريدة: لا تسقعها، ولا تقعرها، ولا تشرمها، قال: فمن أين آكل؟ قال: لا أدري، فانصرف جائعا.

وخطيب مسقع، كمنبر: مصقع. وككتاب: الخرقة.

والأسقع: طويئر كالعصفور، في ريشه خضرة ورأسه أبيض، ج: أساقع. وأبو الأسقع: واثلة بن الأسقع صحابي.

والسوقعة: وقبة الثريد،

و. من العمامة والخمار والرداء: الموضع الذي يلي الرأس، وهو أسرعه وسخا.

وما أدري أين سقع وسقع: ذهب.

واستقع لونه، بالضم: تغير.

سكع، كمنع وفرح: مشى مشيا متعسفا لا يدري أين يأخذ في بلاد الله، وتحير،

كتسكع،

ورجل ساكع وسكع: غريب.

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري، أبو نصر ١٢٣١/٣

وما أدري أين سكع: أين ذهب.
وما يدري أين يسكع من أرض الله: أين يأخذ.
والمسكعة، كمحدثة: المضلة من الأرضين لا يهتدى فيها لوجه الأمر.
وتسكع: تمادى في الباطل.

السلطوع، كعصفور: الجبل الأملس.
والسلنطع، كسمندل: الرجل الطويل،
كالسلنطاع، كسقنطار، والمتعته في كلامه كالمجنون.
واسلنطع: اسلنقى.

السلع: الشق في القدم، ج: سلوع.
وسلع: جبل في المدينة، وقول الجوهري: السلع خطأ، لأنه علم، وجبل لهذيل، وحصن بوادي موسى من عمل الشوبك.
وكزبير: ماء بقطن، وجبيل بالمدينة يقال له غبغب، وواد باليمامة به قرى،
وة بنواحي زبيد.
وسلعان، محركة: حصن باليمن.
والسلع، محركة: شجر مر، أو سم، أو ضرب من الصبر، أو بقلة خبيثة الطعم، والبرص، وتشقق القدم،
وقد سلع، كفرح فيهما، فهو أسلع، ج: سلع، بالضم.
والسولع، كجوهر: الصبر المر.
والسلع، بالكسر: المثل،
و. في الجبل: الشق، ويفتح،
ج: أسلاع وسلوع، وأربعة مواضع، ثلاثة منها ببلاد باهلة، وموضع ببلاد بني أسد.
وغلامان سلعان، بالكسر: تربان، وغلمان أسلاع.
وأسلاع الفرس: ما تعلق من اللحم على نسييها إذا سمنت،
والسلعة، بالكسر: المتاع، وما تجر به، ج: كعنب،
و. كالغدة في الجسد، ويفتح ويحرك، وكعنبة، أو خراج في العنق، أو غدة فيها، أو زيادة في البدن، كالغدة تتحرك إذا حركت، وتكون من حمصة إلى بطيخة، وهو مسلوع، والعلق
(ج: كعنب) ، وبالفتح: الشجة (كائنة ما كانت، ويحرك، أو التي تشق الجلد، ج: سلعات وسلاع.
والسلع، محركة: اسم جمع) .
وأسلع: صار ذا شجة. وكمنبر: الدليل الهادي.

والمسلوعة: المحجة.

والتسليع، في الجاهلية: كانوا إذا أسنتوا علقوا السلع مع العشر بثيران الوحش وحدروها من الجبال، وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار، يستمطرون بذلك، وقول الجوهري: علقوه بذنابى البقر، غلط، والصواب: بأذناب (وفي البيت الذي استشهد به تسعة أغلاط) .

وتسلع عقبه: تشقق.

وانسلع: انشق.

السلفع، كجعفر: الجريء الشجاع، الواسع الصدر،." (١)

"لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم ذلك، فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا فقال: هذا الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة فقال: هذا المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة وقال: هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة فأمر برفع الحجارة، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها. وقال قتادة وابن زيد: هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف. وقال ابن جبير العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه.

قوله: (ومناة) قرأ ابن كثير: منأة بهمزة مفتوحة بعد الألف، والباقون بألف وحدها، وهي صخرة كانت تعبد من دون الله.

فأما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء، وهو المطر، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء ووزنها حينئذ «مفعلة» فألفها عن واو وهمزتها أصلية وميمها زائدة وأنشدوا على ذلك:

٤٥٥٨ - ألا هل أتى تيم بن عبد مناءة ... على النأي فيما بيننا ابن تميم

وقد أنكر أبو عبيدة قراءة ابن كثير، وقال: لم أسمع الهمز.

قال شهاب الدين: قد سمعه غيره، والبيت حجة عليه. وأما قراءة العامة فاشتقاقها من منى يمني أي صب لأن دماء النسائك كانت تصب عندها، وأنشدوا لجرير:

٤٥٥٩ - أزيد مناة توعد يا ابن تيم ... تأمل أين تاه بك الوعيد

وقال أبو البقاء: وألفه عن ياء كقولك: منى يمني إذا قدر، ويجوز أن تكون من الواو، ومنه منوان فوزنها على قراءة القصر فعلة.." (٢)

"القول في مذاهب العرب وغيرها

٢٢٣ قال أبو عبيد: فأما مذاهب العرب وغيرها في عبادة الأصنام على صور الملائكة، فعبدوها وقربوا إليها القرابين.

---

(١) القاموس المحيط الفيروزآبادي ص/٧٢٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨٠/١٨

وذهبت فرقة إلى أن الكواكب أقرب الأجسام في المرتبة إلى الله وأنها حية ناطقة «١» وأن الملائكة تختلف فيما بين الله عز وجل وبينها، وأن كل ما يحدث في العالم فإنه على قدر ما تجري به الكواكب، وقربوا لها القرابين لتنفعهم. فلما رأوها تخفى بالنهار وفي بعض أوقات الليل وبعض الأزمان جعلوا لها أصناما وتماثيل على صورها، وبنوا لذلك البيوت والهياكل وسموها بأسماء الكواكب الى أنهم إذا عظموا من ذلك شيئا تحركت لهم «٢» الأجسام العلوية بكل ما يريدون. فيقول الله عز وجل حكاية عنهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، إن الله يحكم بينهم

الآية «٣» .

ذكر معبودات العرب وعلة عبادتهم للأصنام

٢٢٤ قال: وذكر أن ابتداء عبادة العرب الأصنام هو أن عمرو بن لحي «٤» خرج من مكة إلى الشام، فلما قدم مأرب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق، رآهم يعبدون الأصنام، فسألهم فأعلموه أنهم يستمطرون بها ويستنصرون بها فتنصرهم «٥» . فسألهم إياها فأعطوه هبل صنم، فقدم به مكة فنصبه وأمر بعبادته. وقيل: أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل لأن الرجل." (١)

"تمضغه الماشية

(المضغة) القطعة التي تمضغ من لحم وغيره وفي التنزيل العزيز ﴿فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما﴾ وما ليس له دية من الجراح (ج) مضغ و (مضغ الأمور) صغارها

(المضيغة) أصل الأضراس في اللحى وكل لحم على عظم أو عرق واللهزمة والعضلة (ج) مضيغ ومضائغ

(مضمض)

النعاس في عينه دب وفلان نام نوما طويلا ويقال ما مضمضت عيني بنوم ما نمت والماء في فمه حركه بالإدارة فيه والإناء وغيره غسله

(تمضمض) بالماء في فيه مضمضه والنعاس في عينه مضمض ويقال تمضمضت العين بالنعاس والكلب في أثره هر

(المضماض) الخفيف السريع من الرجال والنوم والحرقة

(مضى)

الشيء مضيا خلا وذهب وفي التنزيل العزيز ﴿ومضى مثل الأولين﴾ و ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ وعلى الأمر وفيه نفذ فهو ماض والأمر ممضي عليه وفيه وفلان سبيله وبسبيله مات والسيف مضاء صار حادا سريع القطع يقال هو أمضى من السيف وعلى البيع أجازه

(أمضى) الحكم والأمر أنفذه وفي الحديث (ليس لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت) والبيع ونحوه أجازه

(مضى) الأمر أمضاه

(تمضى) الرجل تقدم والأمر نفذ

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١٦٨/١

(الماضي) الزمان الذاهب يقال كان ذلك في الزمان الماضي والسيف الحاد (ج) مواض

(المضواء) التقدم يقال مضى على مضوائه

(مطحه)

مطحا ضربه بيده

(امتطح) الوادي ارتفع وكثر ماؤه

(تمطح) الوادي امتطح

(مطخ)

فلان مطخا أكل كثيرا والشيء لعقه يقال مطخ العسل والرجل بيده ضربه وعرضه دنسه وبالدلو جذبه

(الماطخ) الفرس الرخو عدوا

(المطاخ) الأحمق والمتكبر والفاحش البذي

(مطرت)

السماء مطرا ومطرا نزل مطرها فهي ماطرة ويقال مطرت السماء القوم أصابتهم بالمطر ويقال لا أدري من مطر به أي أخذه ومطرني بخبر أصابني وما مطر منه خيرا وما مطر منه بخير ما أصابه منه خير وفلان في الأرض مطورا ذهب والعبد أبق والطير أسرعت في هويها والفرس مطرا ومطورا أسرع في مروره وعدوه فهو مطار والقربة ملأها

(أمطرت) السماء نزل مطرها ويقال أمطرت السحب أو السماء القوم أصابتهم بالمطر وفي التنزيل العزيز ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ ويقال أمطر الله عليهم الحجارة (مجازا) وفي التنزيل العزيز ﴿وأمطرنا عليهم حجارة﴾ وفلان صار في المطر وعرق جبينه والمكان وجده ممطورا

(تماطر) السحاب مطر ساعة وكف أخرى وفلان عرق جبينه

(تمطر) الطير مطر وفلان في الأرض ذهب وبه فرسه جرى وأسرع وتعرض للمطر أو برز له ولبرده وتنزه غب المطر واستسقى يقال خرجوا يتمطرون الله والخيل جاءت وذهبت مسرعة يسبق بعضها بعضا

(استمطر) المكان أو الزرع احتاج إلى المطر وفلان طلب المطر يقال خرجوا يستمطرون الله واستكن من المطر وسكت يقال مالك مستمطرا وللسياط صبر عليها والثوب لبسه في المطر وفلانا طلب معروفه وفلان الخيل عرض لها

(الماطر) يوم ماطر ذو مطر

(المستمطر) الموضع الظاهر البارز المنكشف يقال نزل فلان بالمستمطر

(المطار) من الآبار الواسعة الفم

(المطارة) من الآبار المطار

(المطر) الماء النازل من السحاب (ج) أمطار

(المطر) يوم مطر ذو مطر

(المطر) العادة وسنبل الذرة ويسميه العامة (الكوز)

(المطران) رئيس ديني عند النصارى وهو دون البطريرك وفوق الأسقف

(المطرة) الدفعة من المطر والعادة يقال إن تلك من فلان مطرة

(المطرة) العادة وامرأة مطرة ملازمة للسواك أو للاغتسال والتنظيف

(المطرة) القربة واستعمل في الإداوة ونحوها ووسط الحوض

(المطرية) أداة كالمظلة تقي المطر (مج)

(المطير) ذو المطر ويوم مطير ماطر وما أصابه المطر يقال واد مطير

(الممطار) سماء ممطار مدرار

(الممطر) ثوب لا ينفذ منه الماء يلبس في المطر (مج)

(الممطرة) الممطر

(الممطور) رجل ممطور كثير السواك طيب النكهة

(مط) الشيء مطا مده يقال." (١)

"ولكن "الطبري" يشير في تفسيره إلى أنه كان بيتا بالمشلل١، وهو كلام منطقي معقول؛ إذ لا يعقل أن يكون هذا الصنم، مجرد صخرة أو صنم قائم في العراء تعبث به الرياح والشمس، ثم إن له سدنة، ولا يعقل أن تكون لصنم سدنة، ثم لا يكون له بيت يؤويه. ولست أستبعد أن يكون له، "جب" يلقي المؤمنون فيه هداياهم ونذورهم. وذكر "الطبري" أيضا أن معبده كان بـ"قديد". وأما عبدته، فخزاعة، وبنو كعب٢.

والأخباريون على خلاف فيما بينهم على هيئة "مناة" وشكله، منهم من يقول إن مناة صخرة، سميت بذلك لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها، أي تراق٣. ومنهم من يقول إنه صنم كان منصوبا على ساحل البحر، فهو على هيئة ومثال، وقد نحت من حجارة٤، وجعله بعض الرواة في الكعبة مع بقية الأصنام٥.

والذين يذكرون أن مناة صخرة، يرون أن الناس كانوا يذبحون عندها فتمنى دماء النساء عندها، أي تراق، فهي إذن، وبهذا الوصف مذبح تراق عنده الذبائح التي تقدم نسيكة للإلهة. ويذكرون أنهم إنما كانوا يفعلون ذلك "كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها"٦. ويتبين من ذلك أن هذا الموضع كان مكانا مقدسا، وقد خصص بإله ينشر السحب ويرسل الرياح فتأتي بالأمطار لتغيث الناس، وأن لهذا الإله صلة بالبحر وبالماء، ولذلك أقيم معبده على ساحل البحر٧. وقد تكون هذه الصخرة مذبحا أقيم عند الصنم، أو عند معبده لتذبح عليه ما يهل للصنم، فسمي باسمه، ولذلك يمكن التوفيق بين الرأيين: كونه صخرة، وكونه صنما.

ويظهر من أقوال ابن الكلبي أن هذا الصنم كان معظما، خاصة عند الأوس

---

١ تفسير الطبري "٢٧/ ٣٥".

---

(١) المعجم الوسيط مجموعة من المؤلفين ٢/٨٧٥

٢ تفسير الطبري "٢٧/ ٣٥".

٣ تفسير الطبري "٢٧/ ٣٢ وما بعدها".

٤ تفسير الطبرسي، مجمع البيان "٩/ ١٧٦"، البلدان "٨/ ١٦٧ وما بعدها".

٥ مجمع البيان "٨/ ١٦٧ وما بعدها".

٦ تفسير الطبري "٢٧/ ٣٢ وما بعدها"، الكشاف "٣/ ١٤٤ وما بعدها"، تفسير البيضاوي "١/ ١٩٩".

٧ وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، بين المدينة ومكة وما قارب ذلك من المواضيع، البلدان "٨/ ١٦٧ وما بعدها".." (١)

"المدرسة الأزكشية

هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذي كان يعرف بالخروقيين، ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش، بناها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي، مملوك أسد الدين شيركوه، وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وجعلها وقفا على الفقهاء من الحنفية فقط، في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكان أيازكوج رأس الأمراء الأسدية بديار مصر في أيام السلطان صلاح الدين، وأيام ابنه الملك العزيز عثمان، وكان الأمير فخر الدين جهاركس رأس الصلاحية، ولم يزل على ذلك إلى أن مات في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ودفن بسفح المقطم بالقرب من رباط الأمير فخر الدين بن قزل.

المدرسة الفخرية

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس، عمرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي، أستادار الملك الكامل محمد بن العادل، وكان الفراغ منها في سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الأمير حسام الدين ساروح بن أرتق شاد الدواوين، ومولد الأمير فخر الدين في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بحلب، وتنقل في الخدم حتى صار أحد الأمراء بديار مصر، وتقدم في أيام الملك الكامل، وصار أستاداره وإليه أمر المملكة وتدبيرها إلى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق، فمات بحران بعد مرض طويل في ثامن عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة، وكان خيرا كثير الصدقة يتفقد أرباب البيوت، وله من الآثار سوى هذه المدرسة المسجد الذي تجاهها، وله أيضا رباط بالقرافة وإلى جانبه كتاب سبيل، وبنى بمكة رباطا.

المدرسة السيفية

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين، وموضعها من جملة دار الديباج، قال ابن عبد الظاهر كانت دارا وهي من المدرسة القطبية، فسكنها شيخ الشيوخ، يعني صدر الدين محمد بن حموية، وبنيت في وزارة صفي الدين عبد الله بن علي بن شكران سيف الإسلام، ووقفها وولى فيها عماد الدين ولد القاضي صدر الدين، يعني ابن درباس، وسيف الإسلام هذا اسمه طفتكين بن أيوب.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٤٧/١١

طفتكين: ظهير الدين سيف الإسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي، سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى بلاد اليمن في سنة سبع وسبعين وخمسمائة، فملكها واستولى على كثير من بلادها، وكان شجاعا كريما مشكور السيرة حسن السياسة، قصده الناس من البلاد الشاسعة يستمطرون إحسانه وبره، وسار إليه." (١)

"فوجدهم على مقد [ا] ر واحد ذكرهم وأنثاهم يبلغ طول أحدهم مثل نصف طول الرجل المربوع منا. لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا. وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها، وأحناك [كأحناك] الابل قوة. تسمع لهم حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل، أو كقضم البغل المسن. ولهم هلب من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، و [ما] يتقون به الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان، إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها. تسعانه إذا لبسهما يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى. يصيف في أحدهما ويشتي في الأخرى. ليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه وينقطع عمره. وذلك أنه لايموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت أنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد. فإذا كان ذلك أيقن بالموت. وهم يرزقون التنين في أيام الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه.
كما يستمطر المطر بحينه فيقدرون منه كل سنة. فيأكلون عامهم كله إلى مثلها من القابلة. فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم. فإذا أمطروه أخصبوه وعاشوا وسمنوا." (٢)

"الأعرج الحبشي الدمشقي، يروي عن ثوبان وأبي أمامة، وعنه مكحول وزيد بن سلام، ذكره ابن حبان في الثقات. ومطير، كزبير: تابعيان، أحدهما شيخ من أهل وادي القرى، يروي عن ذي الزوائد، وعنه ابنه سليم بن مطير، ذكره ابن حبان في الثقات، وأم الثاني: فإنه سمع ذا اليدين، قال البخاري: لم يثبت حديثه، أو هو مطير بن أبي خالد الراوي عن عائشة، قال فيه أبو حاتم: إنه متروك الحديث. ومطران النصارى ويكسر، لكبيرهم ليس بعربي محض. وقال ابن دريد: فأما مطران النصارى فليس بعربي صحيح، هكذا نقله الصاغاني عنه. ومما يستدرك عليه: استمطر الرجل ثوبه: لبسه في المطر، عن ابن بزرج. واستمطر الرجل: استكن من المطر. واستمطر للسياط: صبر عليها. واستمطر: استسقى، كتمطر، يقال: خرجوا يستمطرون الله ويتمطرونه. وسماء ممطار: مدرار، وواد ممطور ومطير، ووقعت مطرة مباركة. وفي المثل: بحسب كل ممطور أن مطر غيره. وخرج النعمان متمطرا، أي متنزها غب مطر. ويقال: لا تستمطر الخيل، أي لا تعرض لها. وقال ابن الأعرابي: ما زال فلان على مطرة واحدة، ومطرة واحدة، ومطر واحد، إذا كان على رأي واحد لا يفارقه. وروي التشديد عن أبي زيد، وقد ذكر في محله. ويقال: ما أنا من حاجتي عندك بمستمطر، أي لا أطمع منك فيها، عن ابن الأعرابي. ورجل مستمطر إذا كان مخيلا للخير، وأنشد ابن الأعرابي:)
(وصاحب قلت له صالح ... إنك للخير لمستمطر)." (٣)

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٠٧/٤
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٤٦٧/٦
(٣) تاج العروس الزبيدي، مرتضى ١٣٨/١٤

"* رأيتك يا حمزة نحوي الألي لد * يك وتحفوا هناك الظلوما وتجلو لذي الود حتى * تكون أحلاله من جنا النخل خيما ويابى فليس يراك العدو * عند الشدائد إلا شتيما حللت النجاة من أدوانهم * وكنت أصح لوى أديما سالت لويا وألفافها ومن *كان بالناس منهم عليما من أكرمها منصبا في اللباب * وأحمدها في لوي زعيما فكنت وما شك لي عالم من * الناس والعلم يشفي الغشوما كريم لوي إذا حصلت لك * المجد قدما عليها مقيما وأطعمهم عند جهد الزمان * إذا لم ير الشر (١) إلا هجوما خلال البيوت يسف (٢) الدرين (٣) * ويجهدن في رعيهن الهشيما إذا الناس يجتلبون العروق * إما كريما وإما لييما وإن قلت حمزة أعني به * وجدت العروض به مستقيما * قال الزبير وهي طويلة قال الزبير وحدثتني أنها سمعتهما ينشدان لموسى بن يسار شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير * فدى لحمزة يوم القصر من رجل * أهلي ومالي من مال ومن ولد ما أحسن البشر منه حين يخطبه * وأشبه (٤) اليوم من معروفه بغد والخابرون به يثنون أن له * على غد فضلة في العرف بعد غد كلتا يديه يمين في نوالهما * والناس من شيبه ما عاش في رغد يستمطرون فيأتي من نوالهما * فيض يعادل سح الوابل البرد يدان شبرهما باع مفضلة * في العرف والباع منه فوق كل يد

---

(١) كذا بالاصل ود وفي " ز " وم: " الشر إلا هجوما "

(٢) بدون إعجام بالاصل ود و " ز " وم

(٣) الدرين: يبيس الحشيش وكل حطام من حمض أو شجر أو بقل حره وذكره إذا قدم وقيل: هو حطام المرعى إذا قدم وهو مما بلي من الحشيش وقلما تنتفع به الابل (تاج العروس: دون)

(٤) الاصل: وأشرف والمثبت عن د و " ز " وم." [1]

"﴿ ٢ ٢ ﴾

الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان رهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أباد ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك تمنى عندها أي تراق وقرىء ومناءة وهي مفعلة من النواء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والأخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوزأن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم أنهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتاأفرأيتم الخ والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤن الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٤٧/٦١

فالمعنى عقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وإحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى ومابينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفراءيتم هذه الأصنام مع حقراتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل أخبرون عن آلهتكم هل لها شئ من القدرة والعظمة الت وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتم إلى هذه الأصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم والأول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى." (١)

"[سورة النجم (٥٣) : الآيات ١٩ الى ٢٢]

أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الأنثى (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٢)

أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أصنام كانت لهم، فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون. وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج.

والعزى بالتشديد سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها، وأصلها تأنيث الأعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه إذا قطعه فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى. وقرأ ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء فإنهم كانوا يستمطرون الأنواء عندها تبركا بها، وقوله الثالثة الأخرى صفتان للتأكيد كقوله: يطير بجناحيه أو الأخرى من التأخر في الرتبة.

ألكم الذكر وله الأنثى إنكار لقولهم الملائكة بنات الله، وهذه الأصنام استوطنها جنيات هن بناته، أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله أفرأيتم.

تلك إذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور، لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فإن فعلى بالكسر لم تأت وصفا. وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به.

[سورة النجم (٥٣) : آية ٢٣]

إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مآ أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٣)

إن هي إلا أسماء الضمير للأصنام أي ما هي باعتبار الألوهية إلا أسماء تطلقونها عليها لأنهم يقولون أنها آلهة وليس فيها شيء من معنى الألوهية، أو للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء، أو للأسماء المذكورة فإنهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها، والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم أنها تستحق أن يتقرب إليها بالقرابين.

سميتموها سميتم بها.

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٥٨/٨

أنتم وآباؤكم بهواكم. مآ أنزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به. إن يتبعون وقرئ بالتاء.
إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا. وما تهوى الأنفس وما تشتهيه أنفسهم.
ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول أو الكتاب فتركوه.

[سورة النجم (٥٣) : الآيات ٢٤ الى ٢٦]
أم للإنسان ما تمنى (٢٤) فلله الآخرة والأولى (٢٥) وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٦)
أم للإنسان ما تمنى أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار، والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم: لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقولهم: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوهما.
فلله الآخرة والأولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما.
وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع.." (١)
"أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلفاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل. أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم. أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرأفة والحال الناعمة. والإتراف: إبطار النعمة وهي الترفة لعلكم تسئلون تهكم بهم وتوبيخ، أى: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة. أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم. وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم: بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون؟ وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين؟
أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم، ويستضيئون بآرائكم. أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم، ويمترون أخلاف «١» معروفكم وأياديكم: إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم، وتوبيخا إلى توبيخ تلك إشارة إلى يا ويلنا، لأنها دعوى، كأنه قيل: فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة. قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين. فإن قلت: لم سميت دعوى؟ قلت:
لأن المولول كأنه يدعو الويل، فيقول تعالى: يا ويل فهذا وقتك. وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم. الحصيد: الزرع المحصود، أى: جعلناهم مثل الحصيد، شبههم به في استنصالهم واصطلامهم «٢» كما تقول: جعلناهم رمادا، أى مثل الرماد. والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له، فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية. فإن قلت كيف ينصب «جعل» ثلاثة مفاعيل؟ قلت: حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد، لأن معنى قولك «جعلته حلوا حامضا» جعلته جامعا للطعمين. وكذلك معنى ذلك: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٥٩/٥

والخمود.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٦ الى ١٧]

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧)

أي: وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب، كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم،

---

(١) . قوله «ويمترون أخلاف معروفكم» في الصحاح: الريح تمرى السحاب وتمتريه، أى تستدره. وفيه أيضا: الخلف- بالكسر- حلية ضرع الناقة. (ع)

(٢) . قوله «واصطلامهم» في الصحاح «الاصطلام» الاستئصال. (ع)." [1]

"ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبدا «١» . ومناة: صخرة كانت لهذيل وخزاعة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: لثقيف. وقرئ:

ومناءة، وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها، أى: تراق، ومناءة مفعلة من النوء، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها. والأخرى ذم، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله تعالى قالت أخراهم لأولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم.

ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى. كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات، فقيل لهم ألكم الذكر وله الأنثى ويجوز أن يراد: أن اللات والعزى ومناة إناث، وقد جعلتموهن لله شركاء، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله وتسمونهن آلهة قسمة ضيزى جائرة، من ضازه يضيزه إذا ضامه، والأصل: ضوزى «٢» . ففعل بها ما فعل ببيض، لتسلم الياء. وقرئ: ضئزى، من ضأزه بالهمز. وضيز: بفتح الضاد هي ضمير الأصنام، أى ما هي إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات، لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشده منافاة لها. ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أو ضمير الأسماء وهي قولهم، اللات والعزى ومناة، وهم يقصدون بهذه الأسماء الآلهة، يعنى: ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم، ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به. ومعنى سميتموها سميتم بها، يقال: سميته زيدا، وسميته بزيد إن يتبعون وقرئ بالتاء إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق، وأن آلهتهم شفعاؤهم، وما تشتهيه أنفسهم، ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل.

---

(١) . أخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح وعن عكرمة عن ابن

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٠٦/٣

عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها. وكانت بنخلة عليها سادن فجاءها خالد فهدمها فذكر نحوه إلى آخره ورواه الواقدي في المغازي والأزرقى في التاريخ من طريقه عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن سعيد بن عمرو الهذلي قال «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فذكر القصة وفيها: فبعث خالد ابن الوليد إلى العزى يهدمها فذكر القصة. وكذا ذكره ابن سعد في الطبقات في السرايا وأصل هذه القصة رواها النسائي وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل قال «لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة- بعث خالد بن الوليد إلى نخلة- وكانت بها العزى فأتاها خالد، وكانت على ثلاث شجرات فقطع الشجرات» .

(٢) . قوله «والأصل قوله ضوزى» لعل صوابه «ضيزى» بكسر الضاد. ويؤيده ما قبله وما بعده اه ملخصا من هامش. (ع)." (١)

"وكما قال أمية: (١)

ويسوقون باقر السهل للط ... ود مهازيل خشية أن تبورا (٢)

- فغير جائزة القراءة به لمخالفته القراءة الجائية مجيء الحجة، بنقل من لا يجوز - عليه فيما نقلوه مجمعين عليه - الخطأ والسهو والكذب.

* * *

وأما تأويل: (تشابه علينا) ، فإنه يعني به، التبس علينا. والقرأة مختلفة في تلاوته. (٣) فبعضهم كانوا يتلونه:"تشابه علينا"، بتخفيف الشين ونصب الهاء على مثال "تفاعل"، ويذكر الفعل، وإن كان "البقر" جماعا. لأن من شأن العرب تذكير كل فعل جمع كانت وحدانه بالهاء، وجمعه بطرح الهاء - وتأنيثه، (٤) كما قال الله تعالى في نظيره في التذكير: (كأنهم أعجاز نخل منقعر) [القمر: ٢٠] ، فذكر"المنقعر" وهو من صفة النخل، لتذكير لفظ"النخل" - وقال في موضع آخر: (كأنهم أعجاز نخل خاوية) [الحاقة: ٧] ، فأنث"الخاوية" وهي من صفة"النخل" - بمعنى النخل. (٥) لأنها وإن كانت في لفظ الواحد المذكر -على ما وصفنا قبل- فهي جماع"نخلة".

* * *

---

(١) يعني: أمية بن أبي الصلت.

(٢) ديوانه: ٣٥، والحيوان ٤: ٤٦٧، والأزمنة والأمكنة ٢: ١٢٤، وغيرها. وفي الأصل المطبوع: "باقر الطود للسهل"، وفي الديوان والحيوان"باقرا يطرد السهل"، وصواب الرواية ما أثبته من الأزمنة. قال الجاحظ في ذكر نيران العرب: ""ونار أخرى: وهي النار التي كانوا يستمطرون بها في الجاهلية الأولى. فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد عليهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر، ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٤٢٣

السقيا"، وقال ابن الكلبي: "كانوا يضرمون تفاؤلا للبرق" والمهازيل جمع مهزول، مثل هزيل وجمعه هزلي: وهي التي ضعفت ضعفا شديدا وذهب سمنها. وتبور: تهلك.

(٣) في المطبوعة: "والقراء"، ورددتها إلى ما جرى عليه لفظ الطبري، كما سلف مرارا.

(٤) وحدان جمع واحد: ويعني أفراده. وقوله"وتأنيثه" معطوف على قوله"تذكير كل فعل".

(٥) السياق: "فأنث (الخاوية) . . بمعنى النخل"، يعني أنثها من أجل معناه وهو جمع مؤنث، ولم يذكره من أجل لفظه، وهو مذكر.." (١)

"إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذى يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون التنين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرت عليهم الإناث، وشبقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم.

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس، فوجد بعد ما بينهما مئة فرسخ؛ فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن، فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبون، ولا يقتتلون، ولا يقحطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا،." (٢)

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأول، أنه كان يقول: ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢١٠/٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ١٠٨/١٨

وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبدا صالحا، قال الله عز وجل له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فأما الأمتان اللتان بينهما طول -[٣٩١]- الأرض: فأمة عند مغرب الشمس، يقال لها: ناسك. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك. وأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال لها: هاويل. وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر، فأمة يقال لها: تاويل، فلما قال الله له ذلك، قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها، بأي قوة أكابرهم؟ وبأي جمع أكاثرهم؟ وبأي حيلة أكايدهم؟ وبأي صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ وكيف لي بأن أفقه لغاتهم؟ وبأي سمع أعي قولهم؟ وبأي بصر أنفذهم؟ وبأي حجة أخاصمهم؟ وبأي قلب أعقل عنهم؟ وبأي حكمة أدبر أمرهم؟ وبأي قسط أعدل بينهم؟ وبأي حلم أصابرهم؟ وبأي معرفة أفصل بينهم؟ وبأي علم أتقن أمورهم؟ وبأي يد أسطو عليهم؟ وبأي رجل أطؤهم، وبأي طاقة أخصمهم، وبأي جند أقاتلهم؟ وبأي رفق أستألفهم، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم، وأنت الرب الرحيم الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها إلا طاقتها، ولا يعنتها ولا يفدحها، بل أنت ترأفها وترحمها. قال الله عز وجل: إني سأطوقك ما حملتك، أشرح لك صدرك، فيسع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء، وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء، وأفتح لك -[٣٩٢]- سمعك فتعي كل شيء، وأمد لك بصرك، فتنفذ كل شيء، وأدبر لك أمرك فتتقن كل شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشد لك ظهرك، فلا يهدك شيء، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشد لك قلبك فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جندا من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وأشد لك عقلك فلا يهولك شيء، وأبسط لك من بين يديك، فتسطو فوق كل شيء، وأشد لك وطأتك، فتهد كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء. ولما قيل له ذلك، انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوبا متفرقة، فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاطتهم من كل مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد، ثم أخذ عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صد، فعمد إلى الذين تولوا عنه، فأدخل عليهم الظلمة. فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كل جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب أمما عظيمة، فجعلهم جندا واحدا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم -[٣٩٣]- وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل، وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره، فلا يخطئ إذا ائتمر، وإذا عمل عملا أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كل إنسان لوحا فلا يكرثه حمله، فلم يزل كذلك

دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنودا، كفعله في الأمتين اللتين قبلها، ثم كر مقبلا في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله، فلما بلغها عمل فيها، وجند منها كفعله فيما قبلها، فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس، ويأجوج -[٣٩٤]- ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق ما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله، وكثير منهم مشابه للإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب، وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم، فلا شك أنهم سيملئون الأرض، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها، وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين ﴿فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ [الكهف: ٩٥] أعدوا إلي الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم. ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها، وأحناك كأحناك الإبل -[٣٩٥]- قوة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل، أو كقضم الفحل المسن، أو الفرس القوي، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به الحر والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون التنين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورئي أثره عليهم، فدرت عليهم الإناث، وشبقت منهم الرجال الذكور، -[٣٩٦]- وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم. فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك ما يلي مشرق الشمس، فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن، فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة،

وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبون، ولا يقتتلون، ولا يقحطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات -[٣٩٧]- التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا، وليس فيهم مسكين، ولا فقير، ولا فظ، ولا غليظ، فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم، عجب منه وقال: أخبروني أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت الأرض كلها برها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمتها، فلم أجد مثلكم، فأخبروني خبركم، قالوا: نعم، فسلنا عما تريد، قال: أخبروني، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس منا إلا أمين مؤتمن، قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم، قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر، قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا، قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام، قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا، قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحت صدورنا، فنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا، قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقتسم بالسوية، قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع، قال: فما جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من -[٣٩٨]- قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل، قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: لا نغفل عن الاستغفار، قال: فما بالكم لا تحردون؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا، وأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا منه، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم، قال: حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويواسون فقراءهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدون أماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويوفون بعهودهم، ويصدقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم، ولا يستنكفون عن أقاربهم، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم، وحفظهم ما كانوا أحياء، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم." (١)

"قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله، فقالوا اللات يعنون مؤنثة من لفظه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، كما قالوا: عمرو وعمرة.

وقال الزمخشري: هي فعلة من (لوى) لأنهم كانوا يلوون عليها، ويعكفون للعبادة، أو يلتوون عليها، أي يطوفون.

وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرءوا (اللات) بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج في الجاهلية السويق، فلما مات عكفوا على قبره وعبدوه. والعزى وهي شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف.

قال ابن جرير: اشتقوا اسمها من اسمه تعالى (العزيز) وقال الزمخشري: أصلها تأنيث الأعز.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٩٠/١٥

ومناة الثالثة الأخرى وهي صخرة كانت بالمشلل عند قديد، بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة.

روى البخاري عن عائشة نحوه.

قال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول:

اللات والعزى ومناة الثالثة، أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها.

انتهى.

تنبيهات:

الأول- قال القاضي: (مناة) فعلة، من مناه إذا قطعه. فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين. ومنه سميت (منى) لأنه يمنى فيها القرابين، أي ينحر.

وقال الزمخشري: وكأنها سميت (مناة) لأن دماء المناسك كانت تمنى عندها، أي تراق. وقرئ (مناءة) مفعلة من (النوء)، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها.

فإن قيل: كونها ثالثة وأخرى مغايرة لما تقدمها، معلوم غير محتاج للبيان.

وأجيب: بأنهما صفتان للتأكيد، أو الثالثة للتأكيد، والأخرى بيان لها، لأنها مؤخرة رتبة عندهم، عن اللات والعزى.." (١)

"لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون (١٣)

﴿لا تركضوا﴾ والقائل بعض الملائكة ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه ﴿ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ أي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليك ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو اجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم وقال بعضهم لبعض لا تركضوا أو ارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودي من السماء يالثارات الأنبياء وأخذتهم السيوف فثم." (٢)

"أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠)

﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة أي أخبرونا عن هذه الاشياء التي تعبدونها من دون اللهعز وجل هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهى مؤنثات فاللات كان لثقيف بالطائف وقيل كانت بنهخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهى سمرة واصلها

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٧١/٩

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٩٧/٢

تأنيث الاعز وقطعها خالدين الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق ومناءة مكي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها ﴿الأخرى﴾ هي صفة ذم أي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لاولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عندالله مع وأدهم البنات وكراهتم لهن فقيل لهم." (١)

"رآه أبيض أو أصفر أو أخضر. قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى الظاهر أن الكبرى صفة الآيات أي لقد رأى بعض آيات ربه الكبرى. وذلك البعض إما جبرائيل على صورته، وإما سائر عجائب الملكوت. ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف أي لقد رأى من آيات ربه آية هي الكبرى. وعلى هذا لا تكون تلك الآية رؤية جبريل لما ورد في الاخبار أن لله ملائكمة أعظم منه كالملك الذي يسمى روحا. نعم لو قيل: إنها رؤية الله الأعظم كان له وجه عند من يقول بأنه صلى الله عليه وسلم رأى الله ليلة المعراج. وفيه خلاف تقدم.

قوله أفرأيتم اللات والعزى إلخ. أي عقيب ما سمعتم من عظمة الله تعالى ونفاذ أمره في الملأ الأعلى، وأن الذي سد الأفق ببعض أجنحته تخلف عند سدرة المنتهى، هل تنظرون إلى هذه الأصنام مع قلتها وفقرها حتى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه وعولتم عليه؟

قال في الكشاف: اللات اسم صنم كان لثقيف بالطائف وأصله «فعلة» من لوى يلوي لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة، أو يتلوون عليها أي يطوفون فكأنه حذفت الياء تخفيفا وحركت الواو فانقلبت ألفا. والوقف عليه بالتاء كيلا يشبه اسم الله: وقيل: أصله اللات بالتشديد وقد قرئ به. زعموا أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج.

وعن مجاهد: كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا. والعزى تأنيث الأعز وكان لغطفان وهي شجرة سمرة بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس ناشرة الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل والثبور فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل. فقال: تلك العزى ولن تعبد أبدا.

وأما مناة فهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة كأنها سميت بذلك لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق. ومن قرأ بالمد فلعلها «مفعلة» من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها. والأخرى لا يطلق إلا إذا كان الأول مشاركا كالثاني فلا يقال: رأيت رجلا وامرأة أخرى. وإنما يقال رأيت رجلا ورجلا آخر. وهاهنا ليست عزى ثالثة فكيف قال ومناة الثالثة الأخرى؟ وأجيب بأن الأخرى صفة ذم لها أي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله قالت أخراهم لأولاهم [الأعراف: ٣٨] أي

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٣٩٢

وضعاؤهم لرؤسائهم. ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى وذلك أن الأول كان على صورة آدمي، والعزى كانت من النبات ومناة من الجماد. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير أي ومناة الأخرى. الثالثة.." (١)

"وكانت العرب في جاهليتها تأخذ حطب السلع والعشر في المجاعات وقحوط المطر فتوقر ظهور البقر منها ثم تلعج النار فيها، يستمطرون بلهب النار المشبه بسنا البرق. وأراد الشاعر هذا المعنى بقوله:

سلع ما ومثله عشر ما

عائلا ما وعالت البيقورا

والسلوع: شقوق في الجبال، واحدها سلع وسلع. ويقال: سلعت رأسه أي شججته قال ذلك أبو زيد. وقال شمر: السلعة: الشجة في الرأس كائنة ما كانت. يقال: في رأسه سلعتان وثلاث سلعات، وهي السلاع. ورأس مسلوع ومنسلع. وأما السلعة بكسر السين فهي الجدرة تخرج بالرأس وسائر الجسد، تمور بين الجلد واللحم، تراها تديص ديصانا إذا حركتها. والسلعة وجمعها السلع كل ما كان متجورا به. والمسلع: صاحب السلعة. وقال الليث: يقال للدليل الهادي: مسلع. وأنشد بيتا للخنساء:

سباق عادية ورأس سرية

ومقاتل بطل وهاد مسلع

ابن شميل: قال رجل من العرب: ذهبت إبلي فقال رجل: لك عندي أسلاعها أي أمثالها في أسنانها وهيئاتها. وهذا سلع أي مثله. ويقال: تزلعت رجله وتسلعت إذا تشققت. وسلع: موضع يقرب من المدينة. ومنه قول الشاعر:

لعمرك إنني لأحب سلعا

أبو عمرو: هذا سلع هذا أي مثله وشرواه. ويقال: أعطني سلع هذا أي مثل هذا. وقال ابن الأعرابي: الأسلع: الأبرص. قال: والسولع: الصبر المر. والصولع: السنان المجلو. أسلاع الفرس: ما تفلق من اللحم عن نسبيها إذا استخفت سمنا. وقوله:

أجاعل أنت بيقورا مسلعة

ذريعة لك بين الله والمطر

يعني البقر التي كان يعقد في أذنابها السلع عند الجدب.

سعل: روى ابن عيينة عن عمرو عن الحسن بن محمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا صفر ولا هامة ولا غول ولكن السعالى) .

قال شمر فيما قرأت بخطه: قد فسروا السعالى: الغيلان وذكرها العرب في أشعارها. قال الأعشى:

ونساء كأنهن السعالى

قال: وقال أبو حاتم: يريد: في سوء حالهن حين أسرن. وقال لبيد يصف الخيل:

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٠٤/٦

عليهن ولدان الرجال كأنها

سعالى وعقبان عليها الرحائل

وقال جران العود:

هي الغول والسعلاة حلقي منهما

مخدش ما بين التراقي مكدح

وقال بعض العرب: لم تصف العرب بالسعلاة إلا العجائز والخيل. قال شمر: وشبه ذو الإصبع الفرسان بالسعالى فقال:

ثم انبعثنا أسود عادية

مثل السعالى نقائبا نزعا." (١)

"وخرج السيد محمد بينهم علم كل أحد انه عالم وكان مع تلك الخلال وذلك الجلال سهل الاخلاق غير مترفع ولا ينقص ذلك من مقدار شيئا وكانت له فكرة سليمة كما قال شيخه الوجيه عبد الرحمن الحيمى فى صفته انه مستغرق الفكرة بالله تعالى وهو مع الناس ظاهرا هكذا ذكره لى شيخنا مشافهة أيام قراءته عليه فى الكشاف وكانت أحواله أحوال الامراء وصيته أعلى من ذلك لما حواه من هذه الكمالات ولما له من النسب الشريف الذى لا يسامى وكان فى أهل بيته الكرام كالبدر بين النجوم ولد سنة اثنتين وعشرين وألف ولم يزل مواظبا على العلم من صغره الى كبره يستفيد منه الطالبون ويراجعه الفضلاء بالكتب من الآفاق ويستمطرون ديمة آدابه ويفجرون معين علمه فيأتيهم من قبله كل عجيب غريب وقرأ فى الفنون بمدينة صنعاء وبلدة كوكبان وشيام ورحل الى الطويلة لقراءة شئ من كتب أصول الفقه على السيد العلامة عز الدين بن ذريب وأكثر ما تعلق به فى صنعاء علم الادوات والتفسير وأما الحديث فأكثر قراءته على شيوخ وردوا اليه الى محله المبارك فقرأ من كل فن وجوه كتبه وهيمن على غرائبها وكان واسع الحفظ نادرة فى ذلك سيال الذهن ولا يلقى المسائل الا على جهة الاجابة واستوطن فى آخر أيامه وادى ظهر وأنس به الناس هنالك وازداد الوادى به بهجة وعلق به من لا علاقة له به وكان استشارنى لمكان المودة فى انزال أهله الى الوادى فما رجح لى وظهر له الرجحان فكان الصواب رأيه والحرى بذلك وله من التآليف نظم الورقات لامام الحرمين الجوينى فى غاية الحسن وكان شيخنا الوجيه يتعجب من حسنه ويسر الله تعالى فى أيام القراءة شرحها بشرح مفيد ولكنه لم يظهر وغاب بين كتبه وشرحها رجل من بنى النزيلى وكانت وفاته نهار الاثنين غرة رجب سنة خمس وثمانين وألف بمنزلة شيام وكان لموته موقع عظيم عند العلماء وغيرهم وما أحقه بقول الزمخشرى فى الامام ابن سمعان

(مات الامام ابن سمعان فلا نظرت ... عين البصير اذا ضنت بأدمعها)

(وأى حوباء لا صمت ولا عميت ... ولا استفادت بمرآها ومسمعها)

---

(١) تهذيب اللغة الأزهري ٢/٦٠

(أين الذى ان شريناه لما أخذت ... ببعضه هذه الدنيا بأجمعها)

(أين الذى الفقه والآداب ان ذكرت ... فهو ابن ادريسها وهو ابن أصمعها)

(من للامامة ضاعت عند قيمتها ... من للبلاغة غيث عند مصقعها)." [1]

"والبوغاء أيضا: شذى الطيب يقال ارتفعت بوغاء الطيب وفيه:

مالي أرى ذمتي يستمطرون دمي

يريد مالي أرى أهل عهدي يستبطؤن قيامي ثم قال:

كيف السبيل إلى ورد خبعثنة؟

والخبعثنة: التار البدن القوي. وفيه:

بالليل مشتمل بالجمر مكتحل

عين الشجاع توصف بالحمرة في الحرب من الجرأة والغضب فتغلب الحمرة على بياضها وهذا مشاهد معلوم. قال ضرار بن الخطاب الفهري:

بيض كرام كأن أعينهم ... تكحل فوق الهياج بالعلق

وقال زيد الخيل:

هلا سألت بني نبهان ما حسبي ... يوم الهياج إذا ما احمرت الحدق

وقد يوصف أيضا طرف الجبان بالحمرة لا حدقته وذلك لانقلاب حماليقه من الفزع.

وقال المرار:

إني إذا طرف الجبان احمرا

وكان خير الخصلتين الشرا ... أكون ثم أسدا وبرا

ولايشرب الماء إلا من قليب دم ... ولا يبيت له جار على وجل

هذا كقول بشار في عمر بن العلاء:

إذا حزبتك صعاب الأمور ... فنبه لها عمرا ثم نم

فتى لا يبيت على دمنة ... ولا يشرب الماء إلا بدم

قيل إنه أراد بقوله: من قليب دم يده كأنها تسيل دما لكثرة سفكه دم أعدائه، وقيل أراد يغلب الناس على المياه والمحاضر فيسفك دماء من غالبه عليها. وهذا كما قال أبو تمام:." [2]

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣/٣١٩

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/٥٧٧

"يلت السويق ويطعمه الحاج، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه، فهو اسم فاعل في الأصل غلب على هذا الرجل.

قال مجاهد: كان رجلا في رأس جبل [له غنيمة يسلي «١» منها السمن، و] «٢» يتخذ من لبنها وسمنها حيسا «٣» ، ويطعم الحاج، وكان ببطن نخلة، فلما مات عبدوه. وقال الكلبي: كان رجلا من ثقيف له صرمة غنم، وقيل: إنه عامر بن الظرب العدواني، وكان هذا الصنم لثقيف، وفيه يقول الشاعر «٤» :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها ... وكيف ينصركم من ليس ينتصر

قال في الصحاح: واللات اسم صنم لثقيف، وكان بالطائف، وبعض العرب يقف عليها بالتاء، وبعضهم بالهاء. والعزى صنم قريش وبني كنانة. قال مجاهد: هي شجرة كانت بغطفان، وكانوا يعبدونها، فبعث إليها النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها، وقيل: كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة. وقال سعيد بن جبير: العزى: حجر أبيض كانوا يعبدونه. وقال قتادة: هي بيت كان ببطن نخلة ومناة صنم بني هلال. وقال ابن هشام: صنم هذيل وخزاعة. وقال قتادة: كانت للأنصار. قرأ الجمهور مناة بألف من دون همزة، وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي بالمد والهمز «٥» . فأما قراءة الجمهور فاشتقاقها من منى يمنى، أي صب لأن دماء النسائك كانت تصب عندها يتقربون بذلك إليها.

وأما على القراءة الثانية فاشتقاقها من النوء، وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء، وقيل: هما لغتان للعرب، ومما جاء على القراءة الأولى قول جرير:

أزيد مناة توعد يا ابن تيم ... تأمل أين تاه بك الوعيد

ومما جاء على القراءة الأخرى قول الحارثي:

ألا هل أتى التيم بن عبد مناءة ... على الشنء فيما بيننا ابن تميم

وقف جمهور القراء عليها بالتاء اتباعا لرسم المصحف، ووقف ابن كثير وابن محيصن عليها بالهاء. قال في الصحاح: ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة، والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء، وهي لغة. قوله:

الثالثة الأخرى هذا وصف لمناة، وصفها بأنها ثالثة وبأنها أخرى، والثالثة لا تكون إلا أخرى. قال أبو البقاء: فالوصف بالأخرى للتأكيد، وقد استشكل وصف الثالثة بالأخرى، والعرب إنما تصف به الثانية، فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي كقوله: مآرب أخرى «٦» وقال الحسين بن الفضل:

---

(١) . «يسلي» : يجمع.

(٢) . من تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٠) .

(٣) . «الحيس» : الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن. [.....]

(٤) . هو شداد بن عارض الجشمي.

(٥) . أي: مناءة.

(٦) . طه: ١٨.." [1]

"الفصل الرابع والثلاثون

عالمية الدعوة: أدلتها ومظاهرها من السيرة

١ – ابتدأت عالمية الدعوة من أول لحظة اتصلت بها السماء بالأرض. ومنذ أن تشرفت الأرض بكلام الله تعالى يفيض على الوجود. ويتلقاه قلب النبي (ص).

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (١).

إنها قراءة الوجود كله، والخلق كله. والإنسان كله. إنها تسبيحة في هذا الوجود الفسيح بعد أن كان الجاهليون مخنوقين في نتن اللات والعزى وهبل يستمطرونها النفع والرحمة. ويعوذون بها من اللأواء والضر.

٢ – واستمرت المعركة سنين طوالا – يحاول المشركون فيها أن يصوروا محمدا ساحرا وشاعرا أو طالب ملك في رقعتهم الضيقة المخنوقة المحبوسة بجبال مكة. ورسول الله (ص) يخرجهم إلى عوالم الوجود كافة. ((الحمد لله رب العالمين.))

((ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم ولا الملك

---

(١) العلق ١ – ٥.." [2]

"أبا جعفر ليس فضل الفتى ... إذا راح في فضل إعجابه

ولا في فراهة برذونه ... ولا في نظافة أثوابه١

أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، إن المال وسيلة لا غاية، فإن أصبت منه الكفاية، فقد بلغت النهاية".

وهذا لعمري وصف خالد لهؤلاء الفتيان الذين ورثوا المال الجم عن آبائهم، فلم يعرفوا في جمعه عناء ولا رهقا، ولم يأبهوا للمجد يشيدونه أو للفخر يحرزونه، وإنما همهم التطري والزينة وعقولهم هواء، وأفئدتهم خاوية إلا من الشر، فهم رماد تخلف عن نار ومثلهم كشجر الشلجم أحسن ما فيه ما كان تحت التراب، وكثيرا ما نراهم حتى اليوم يباهون برطانة أعجمية، ويتنكرون للغتهم القومية، ولكنهم والحق يقال عاجزون عن الإفصاح وعن العمل، وليس في مقدورهم أن يغيروا من حالهم، يجتمعون للفساد، ويفترقون على ميعاد لا تعرف أيهم أسوأ نفسا، يقتلون الوقت في لعب الميسر، وفي سلب أموال الفلاحين الكادحين، ولقد صورهم أحسن صورة في قوله: "خدع يخدع، وكلب يتبع، وعطر ينفح، وفرس يضبح" هذا هو كل ما يشغلهم في الحياة، فقد ظل عالة على المجتمع، ومن الأسف أنه على الرغم من تقدم الأمة خطوات واسعة في سبيل المساواة الاجتماعية بانتشار التعليم، وبتغير الأفكار، ووجود الأنظمة الديمقراطية، فقد ظل نفر كبير من أبناء الخاصة لا يدركون خطورة حالهم، وأنهم يفتنون الفقراء باستهتارهم، يستمطرون على أنفسهم اللعنات بتبذلهم وقحتهم وتبذيرهم المال في غير

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥/١٣٠

(٢) فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان منير الغضبان ص/٦٧٩

ما شرع له إلى أن قضت عليهم الثورة.

ثم أرأيت هذه النظرة السامية "المال وسيلة لا غاية فإن أصبت منه الكفاية فقد بلغت النهاية"، ولكن أنى لهؤلاء أن يدركوا هذه الحقيقة، إنهم ينعمون، ويدعون سواهم من أفراد الشعب يتصورون من الجوع، ويموتون من الألم والمرض.

---

١ البرذون: البغل.." (١)

"لابن رشيد يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن الكرمي

دراري من نور الهدى تتوقد ... مطالعها فوق المجرة أسعد

وأنهار جود كلما أمسك الحيا ... يمد بها طامي الغوراب مزبد

وآساد حرب غابها شجر القنا ... ولا لبد إلا العجاج الملبد

مساعير في الهيجا مساعير الندى ... بأيديهم يحمى الهجير ويبرد

تشب بهم ناران للحرب والقرى ... ويجري

بهم سيلان جيش وهسجد

ويستمطرون البرق والبرق عبدهم ... سيوف على أفق العداة تجرد

سلام على المهدي أما قضاؤه ... فحتم وأما أمره فمؤكد

إمام الورى عم البسيطة عدله ... على حين وجه الأرض بالجور أربد

بصير رأى الدنيا بعين جليلة ... فلم يغنه إلا المقام الممجد

ولما مضى والأمر لله وحده ... وبلغ مأمول وأنجز موعد

تردى أمير المؤمنين رداءه ... وقام بأمر الله والناس هجد

بعزمة شيحان الفؤاد مصمم ... يقوم به أقصى الوجود ويعقد

مشيئته ما شاءه الله إنه ... إذاهم فالحكم الإلهي يسعد

كتائبه مشفوعة بملائك ... تزاد بها في كل حال وترفد

وما ذاك إلا نية خلصت له ... فليس له فيما سوى الله مقصد

إذا خطبت راياته وسط محفل ... ترى قمم الأعداء في الترب تسجد

وإن نطقت بالفصل فيهم سيوفه ... أقر بأمر الله من كان يجحد

معيد علوم الدين بعد ارتفاعها ... ومبدي علوم لم تكن قبل تعهد." (٢)

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٤٧٩/٢

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٧٣/٥

"السفه والجهل والخروج عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومن ثم عني الرسول – صلى الله عليه وسلم – بهذا الأمر غاية العناية، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج١ الأسدي، قال:

١٦– قال لي علي بن أبي طالب: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ "أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته" ٢.

ثالثا: هدم مناة:

ومن الأصنام التي كانت خارج الحرم "مناة"، وهي أقدم صنم وأعظمه عند العرب، فقد كان لهذا الصنم من المكانة والإجلال في نفوسهم ما جعلهم يتسمون به، وكانوا يقربون له القرابين ويطوفون به.

قال ابن الكلبي: كان الذي وضع الأصنام في بلاد العرب عمرو ابن لحي٣، فكان أقدمها كلها مناة٤، وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل٥ بقديد، بين المدينة ومكة، وكانت العرب جميعا تعظمه، وتذبح حوله، وكانت الأوس

---

١ أبو الهياج – بتشديد الياء – حيان بن حصين الأسدي، الكوفي، ثقة، من الثالثة/م د ت س. (ابن حجر: التقريب ٢٠٨/١)

٢ مسلم: (الصحيح ٦٦٦/٢ كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبور) .

٣ عمرو بن لحي – باللام والمهملة مصغرا – وهو والد خزاعة. (انظر: فتح الباري ٥٤٧/٦. ونهاية الأرب للنويري ٣٣٢/٢) .

٤ مناة: بفتح الميم والنون المخففة. قرأ الجمهور "مناة" بألف من دون همزة مشتقة من منى يمنى أي صب، لأن دماء النسك كانت تصب عندها يتقربون بذلك إليها.

وقرأ غير الجمهور "مناءة" بالمد والهمزة، مشتقة من النوء، وهو المطر، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء. وقيل: هما لغتان للعرب. (الشوكاني: فتح القدير ١٠٧/٥– ١٠٨)

٥ المشلل: بضم الميم وفتح الشين المعجمة ثم لامين أولهما مشدد مفتوح، وأصل هذا الاسم لتل صغير تكسوه حجارة المرو بطرف قديد من الشمال كانت عليه "مناة" الطاغية، ثم نسبت إليه الحرة الكبيرة المنقادة بين قديد ودوران والتي يقع تل المشلل بطرفها الغربي، يفصل بينهما ثنية المشلل، وتسمى الحرة الآن "القديدية" نسبة على وادي قديد.

(انظر: ياقوت: معجم البلدان ٤٨٠/٢، ٣١٣/٤، ١٣٦/٥، ٢٠٤– ٢٠٥. والبلادي: نسب حرب ص٤٠، ٣٨٥)." (١)

"سيف الدين المشد ملغزا في طوافة:

لينة الأعطاف لا ... ينكر فضل قدرها

حياتها في طيها ... وموتها في نشرها

---

(١) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف إبراهيم بن إبراهيم قريبي ٦٦/١

وقال ناصر الدين بن شافع في وصفها (مولده سنة تسع وأربكعين وستمائة، وتوفي سنة ثلاثين وسبعمائة) : وشمعة قد استتم نبتها في روض الأنس حتى نور * ولا نمى بدوحة المفاكهة حتى أزهر * أومأ بنان تبلجها إلى طرق الهداية وأشار ودل على نهج التبصر وكيف لا وهي علم في رأسه نار *كأنما هي قلم امتدى بماء ليق من ذهب أو صعدة إلا أن سنانها ذهب وحسبها كرما أن جادت بنفسها وأعلنت بامتناعها على همود حسها سايلها في الجود بأمثالها مسول ودمعها بالعفو للصفو من سماحتها مطلول تحيتها عموا صباحا يتألق فجرها وتمام بدرها في أوائل شهرها قد جمعت من ماء دمعها ونار توقدها بين نقيضين ومن حسن تأثرها وعين تبصرها بين الأثر والعين.

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر: في حين ما شق ريحي الدجى عن ترائبه جيبا ونشر الظلام ظفائره وقد اشتعل رأسه من النجوم شيبا في ضوء شمعة نشرت على الورق رداء الأصيل وأخفت من الدجى سواد دجفنه الكحيل وسترت ذوائبه في معصفر أبهج من وجنتي بثينة لولا أنها في صفرة ةجه جميل.

وكتب الأديب الفاضل الكامل شرف الدين عيسى بن حجاج العالية أحد شعراء العصر بالديار المصرية أبقاه الله تعالى إلى الوزير العلامة فخر الدين بن مكانس تغمده الله بالرحمة يقبل الأرض التي شاقه ترابها المواطئ الفخرية فزاد عجابا وقال المسك يا ليتني كنت ترابا وينهي أنه أقبل على المطالعة والباقي من العشر ليال خمس واستهدى بنجوم فوائدها حين قامت الشمعة بوظيفة الشمس واستدعى أعوانا من السهر فتخاذلت عنه أعوانه وخشي من غلبة النوم فتغلب عليه سلطانه ولما أغفى على وجه الكتاب لعبت الشمعة بلسانها وتناولت طرف شاشة بيد نيرانها فهب المملوك وأخمد منها ما تصاعد من الأنفاس وقابلها على حرق الشاش بقطع الرأس.

أني جلست بشمعة موقودة ... لأطالع الأسفار للتسبيح

فتناولت شاشي أوائل نارها ... وتمكنت منه بمر الريح

من قبل حرق الشاش كنت مطالعا ... في الكتب صرت مطالعا في الروح

وقد توسلت بهذه الرسالة المدونة في باب المنظوم والمنثور ومددت يد سؤلي إلى طلبي ساشا مقصورا وأرجو أن يجمع لي بين الممدود والمقصور أبقاك الله للأولياء الذين يحبون وجودك ويستمطرون كرمك وجودك.

وقال مجير الدين بن تميم وقد مر بدار بعض أصحابه ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره:

لما أزرتك شمعتي لتنيرها ... جاءت تحدث عن سراجك بالعجب

وافتك حاسرة فقبل رأسها ... فأعادها نحوي بتاج من ذهب

حكى أن مجير الدين الخياط الدمشقي كان يتعشق غلاما من أولاد الجند فشرب في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق فمر الغلام عليه وهو راكب فرآه في الليل مطروحا فوقف عليه بالشمعة ونزل فأقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على خده ففتح عينيه فرأى الغلام على رأسه فاستيقظ من سكرته وأنشد مرتجلا:

يا محرقا بالنار وجه محبه ... مهلا فإن مدامعي تطفيه

أحرق بها جسدي وكل جوارحي ... واحذر على قلبي فإنك فيه

وأما الفانوس فمن احسن ما سمع فيه قول مجير الدين بن تميم:

انظر إلى الفانوس تلق متميا ... ذرفت على فقد الحبيب دموعه

يبدو تلهب قلبه لنحوله ... وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال:

أبدي اعتذارا لنا النفوس حين بدا ... في حالة من هواه ليس ينكرها

رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه ... نار الجوى فغذا بالثوب يسترها

وقال الوجيه المناوي:

كأنما الليل وفانوسنا ... يجلو دجى الظلمة للحس

لجة بحر قد طما موجه ... تسبح فيه كرة الشمس

وقال شهاب الدين بن أبي جحلة مضمنا:

وكأنما الفانوس نجم نير ... منع الظلام من الهجوم طلوعه

أو عاشق أجرى الدموع بحرقة ... من حر نار قد حوته ضلوعه

وله مضمنا أيضا:

وباكية من غير حزن بأدمع ... تذوب بها أحشاؤها حيت تنهمل

دموعا إذا ردت إليها بكت بها ... ولم ار دمعا غيره رد في المقل

وله فيه مضمنا:

يحكى سناص الفانوس من بعد لنا ... برق تالق موهنا لمعانه." (١)

"والتغزغز في الترك كالبادية، أصحاب عمد يرحلون ويحلون، والبذكشية أهل بلاد وقرى. وكان هشام بن عبد الملك بعث إلى ملك الترك يدعوه إلى الإسلام، قال الرسول: فدخلت عليه وهو يتخذ سرجا بيده فقال للترجمان: من هذا؟ فقال: رسول ملك العرب، قال: غلامي! قال: نعم، قال:

فأسر بي إلى بيت كثير اللحم قليل الخبز، ثم استدعاني وقال لي: ما بغيتك؟ فتلطفت له وقلت: إن صاحبي يريد نصيحتك ويراك على ضلال ويحب لك الدخول في الإسلام، قال: وما الإسلام؟

فأخبرته بشرائطه وحظره وإباحته وفروضه وعبادته، فتركني أياما ثم ركب ذات يوم في عشرة أنفس مع كل واحد منهم لواء وأسر بحملي معه، فمضينا حتى صعد تلا وحول التل غيضة، فلما طلعت الشمس أمر واحدا من أولئك أن ينشر لواءه ويليح به، ففعل، فوافى عشرة آلاف فارس مسلح كلهم يقول: جاه جاه، حتى وقفوا تحت التل وصعد مقدمهم فكفر للملك، فما زال يأمر واحدا واحدا أن ينشر لواءه ويليح به، فإذا فعل ذلك وافى عشرة آلاف فارس مسلح فيقف تحت التل حتى نشر الألوية العشرة وصار تحت التل مائة ألف فارس مدجج، ثم قال للترجمان: قل لهذا الرسول يعرف صاحبه أن

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٣٩

ليس في هؤلاء حجام ولا إسكاف ولا خياط فإذا أسلموا والتزموا شروط الإسلام من أين يأكلون؟
ومن ملوك الترك كيماك دون ألفين، وهم بادية يبيعون الكلأ، فإذا ولد للرجل ولد رباه وعاله وقام بأمره حتى يحتلم ثم يدفع إليه قوسا وسهاما ويخرجه من منزله ويقول له: احتل لنفسك، ويصيره بمنزلة الغريب الأجنبي ومنهم من يبيع ذكور ولده وإناثهم بما ينفقونه ومن سنتهم أن البنات البكور مكشفات الرؤوس، فإذا أراد الرجل أن يتزوج ألقى على رأس إحداهن ثوبا فإذا فعل ذلك صارت زوجته لا يمنعها منه مانع وذكر تميم بن بحر المطوعي أن بلدهم شديد البرد، وإنما يسلك فيه ستة أشهر في السنة، وأنه سلك في بلاد خاقان التغزغزي على بريد أنفذه خاقان إليه وأنه كان يسير في اليوم والليلة ثلاث سكك بأشد سير وأحثه، فسار عشرين يوما في بواد فيها عيون وكلأ وليس فيها قرية ولا مدينة إلا أصحاب السكك، وهم نزول في خيام، وكان حمل معه زادا لعشرين يوما، ثم سافر بعد ذلك عشرين يوما في قرى متصلة وعمارات كثيرة، وأكثر أهلها عبدة نيران على مذهب المجوس، ومنهم زنادقة على مذهب ماني، وأنه بعد هذه الأيام وصل إلى مدينة الملك وذكر أنها مدينة حصينة عظيمة حولها رساتيق عامرة وقرى متصلة ولها اثنا عشر بابا من حديد مفرطة العظم، قال: وهي كثيرة الأهل والزحام والأسواق والتجارات، والغالب على أهلها مذهب الزنادقة، وذكر أنه حزر ما بعدها إلى بلاد الصين مسيرة ثلاثمائة فرسخ، قال: وأظنه أكثر من ذلك، قال: وعن يمين بلدة التغزغز بلاد الترك لا يخالطها غيرهم، وعن يسار التغزغز كيماك وأمامها بلاد الصين، وذكر أنه نظر قبل وصوله إلى المدينة خيمة الملك من ذهب وعلى رأس قصره تسعمائة رجل، وقد استفاض بين أهل المشرق أن مع الترك حصى يستمطرون به، ويجيئهم الثلج حين أرادوا.
وذكر أحمد بن محمد الهمذاني عن أبي العباس عيسى ابن محمد المروزي قال: لم نزل نسمع في البلاد التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفرة الغزية والتغزغزية والخزلجية، وفيهم المملكة، ولهم في أنفسهم شأن عظيم ونكاية في الأعداء شديدة." (١)

"وأنيابها وأحناك كأحناك الإبل، وعليهم من الشعر ما يواري أجسادهم، ولكل واحد أذنان عظيمتان إحداهما على ظاهرها وبر كثير وباطنها أجرد والأخرى باطنها وبر كثير وظاهرها أجرد يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا ويعرف أجله والوقت الذي يموت فيه، وذلك أنه لا يموت حتى يلد ألف ولد، وهم يرزقون التنين في أيام الربيع ويستمطرونه إذا أبطأ عنهم كما نستمطر المطر إذا انقطع فيقذفون في كل عام بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من قابل فيكفيهم على كثرتهم، وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث ما التقوا تسافد البهائم، وفي رواية أن ذا القرنين إنما عمل السد بعد رجوعه عنهم فانصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فحفر له أساسا بلغ به الماء وجعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس المذاب يصب عليه، فصار عرقا من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وسواد الحديد، فلما أحكمه انصرف راجعا، وأما ذكر التنين فرأينا منه بنواحي حلب ما ذكرته في ترجمة كلز وجعلته حجة على ما أورده ههنا من خبره وشجعني على كتابته،

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢/٢٤

فإن الإنسان شديد التكذيب بخبر ما لم ير مثله، روي عن شداد بن أفلح المقري أنه قال: عدت عمر البكالي فذكرنا لون التنين فقال عمر البكالي: أتدرون كيف يكون التنين؟ قلنا: لا، قال: يكون في البر حية متمردة فتأكل حيات البر فلا تزال تأكلها وتأكل غيرها من الهوام وهي تعظم وتكبر ثم يزيد أمرها فتأكل جميع ما تراه من الحيوان فإذا عظم أمرها ضجت دواب البر منها فيرسل الله تعالى إليها ملكا فيحتملها حتى يلقيها في البحر فتفعل بدواب البحر مثل فعلها بدواب البر فتعظم ويزداد جسمها فتضج دواب البحر منها أيضا فيبعث الله إليها ملكا حتى يخرج رأسها من البحر فيتدلى إليها سحاب فيحتملها فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج، وحدث المعلى بن هلال الكوفي قال: كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما وليالي تصطفق أمواجه ويسمع لها دوي شديد فيقولون ما هذا إلا بشيء آذى دواب البحر فهي تضج إلى الله تعالى، قال:

فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر ثم تقبل أخرى حتى تعد سبع سحابات ثم ترتفع جميعا في السماء وقد حملن شيئا يرون أنه التنين حتى يغيب عنا ونحن ننظر إليه يضطرب فيها فربما وقع في البحر فتعود السحابة إلى البحر بالرعد الشديد الهائل والبرق العظيم حتى تغوص في البحر وتستخرجه ثانية فتحمله، فربما اجتاز وهو في السحاب وذنبه خارج عنها بالشجر العادي والبناء الشامخ فيضربه بذنبه فيهدم البناء من أصله ويقلع الشجر بعروقه، ولقد احتمله السحاب من بحر أنطاكية فضرب بذنبه بضعة عشر برجا من أبراج سورها فرمى بها، ويقال: إن السحاب الموكل به يختطفه حيثما رآه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد، فهو لا يطلع رأسه من الماء خوفا من السحاب ولا يخرج إلا في الفرط إذا صحت الدنيا، وذكر بقراط الحكيم اليوناني في كتاب الثراء أنه كان في بعض السواحل فبلغه أن هناك قرى كثيرة قد فشا فيها الموت فقصدها ليعرف السبب في ذلك فلما فحص عن الأمر إذا هو بتنين قد احتمله السحاب من البحر فوقع على نحو عشرين فرسخا من هذه القرى فنتن." (١)

"تعرف بالبغراج لهم أسبلة بغير لحى يعملون بالسلاح عملا حسنا فرسانا ورجالة، ولهم ملك عظيم الشأن يذكر أنه علوي وأنه من ولد يحيى بن زيد وعنده مصحف مذهب على ظهره أبيات شعر رثي بها زيد، وهم يعبدون ذلك المصحف، وزيد عندهم ملك العرب وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، عندهم إله العرب لا يملكون عليهم أحدا إلا من ولد ذلك العلوي، وإذا استقبلوا السماء فتحوا أفواههم وشخصوا أبصارهم إليها، يقولون: إن إله العرب ينزل منها ويصعد إليها، ومعجزة هؤلاء الذين يملكونهم عليهم من ولد زيد أنهم ذوو لحى وأنهم قيام الأنوف عيونهم واسعة وغذاؤهم الدخن ولحوم الذكران من الضأن، وليس في بلدهم بقر ولا معز، ولباسهم اللبود لا يلبسون غيرها، فسرنا بينهم شهرا على خوف ووجل، أدينا إليهم العشر من كل شيء كان معنا، ثم سرنا إلى قبيلة تعرف بتبت فسرنا فيهم أربعين يوما في أمن وسعة، يتغذون بالبر والشعير والباقلى وسائر اللحوم والسموك والبقول والأعناب والفواكه ويلبسون جميع اللباس، ولهم مدينة من القصب كبيرة فيها بيت عبادة من جلود البقر المدهونة، فيه أصنام من قرون غزلان المسك، وبها قوم من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والهند ويؤدون الإتاوة إلى العلوي البغراجي ولا يملكهم أحد إلا بالقرعة، ولهم محبس جرائم وجنايات، وصلاتهم إلى

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٩٨/٣

قبلتنا، ثم سرنا إلى قبيلة تعرف بالكيماك، بيوتهم من جلود، يأكلون الحمص والباقلى ولحوم ذكران الضأن والمعز ولا يرون ذبح الإناث منها، وعندهم عنب نصف الحبة أبيض ونصفها أسود، وعندهم حجارة هي مغناطيس المطر يستمطرون بها متى شاءوا، ولهم معادن ذهب في سهل من الأرض يجدونه قطعا، وعندهم ماس يكشف عنه السيل ونبات حلو الطعم ينوم ويخدر، ولهم قلم يكتبون به، وليس لهم ملك ولا بيت عبادة، ومن تجاوز منهم ثمانين سنة عبدوه إلا أن يكون به عاهة أو عيب ظاهر، فكان مسيرنا فيهم خمسة وثلاثين يوما ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لهم الغز، لهم مدينة من الحجارة والخشب والقصب ولهم بيت عبادة وليس فيه أصنام، ولهم ملك عظيم الشأن يستأدي منهم الخراج، ولهم تجارات إلى الهند وإلى الصين ويأكلون البر فقط وليس لهم بقول، ويأكلون لحوم الضأن والمعز الذكران والإناث ويلبسون الكتان والفراء ولا يلبسون الصوف، وعندهم حجارة بيض تنفع من القولنج وحجارة خضر إذا مرت على السيف لم يقطع شيئا، وكان مسيرنا بينهم شهرا في أمن وسلامة ودعة، ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لهم التغزغز، يأكلون المذكى وغير المذكى ويلبسون القطن واللبود، وليس لهم بيت عبادة، وهم يعظمون الخيل ويحسنون القيام عليها، وعندهم حجارة تقطع الدم إذا علقت على صاحب الرعاف أو النزف، ولهم عند ظهور قوس قزح عيد، وصلاتهم إلى مغرب الشمس، وأعلامهم سود، فسرنا فيهم عشرين يوما في خوف شديد ثم انتهينا إلى قبيلة يقال لهم الخرخيز، يأكلون الدخن والأرز ولحوم البقر والضأن والمعز وسائر اللحوم إلا الجمال، ولهم بيت عبادة وقلم يكتبون به، ولهم رأي ونظر، ولا يطفئون سرجهم حتى تطفأ موادها، ولهم كلام موزون يتكلمون به في أوقات صلاتهم، وعندهم مسك، ولهم أعياد في السنة، وأعلامهم خضر، يصلون إلى الجنوب ويعظمون زحل والزهرة ويتطيرون من المريخ، والسباع في بلدهم كثيرة، ولهم حجارة تسرج بالليل يستغنون بها عن المصباح ولا تعمل في غير بلادهم، ولهم ملك مطاع." (١)

"م ط ر

٤٨٤٩ – م ط ر

استمطر يستمطر، استمطارا، فهو مستمطر

استمطر الشخص: طلب المطر "خرج الناس يستمطرون الله– خرجوا لصلاة الاستسقاء مستمطرين".." (٢)

"ولما رأى النعمان دوني ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا

ولاقى امرءا لا ينقض القوم عهده ... أمر القوى دون الوشاة وأحصدا

كأن ذوي الحاجات يغشون مصعبا ... أزب الجران ذا سنامين أحردا

تخمط فحل الحرب حتى تواضعت ... له واعتلاها ذا مشيب وأمردا

ولو وجدت فيها قريش لأمرها ... أعف وأوفى من أبيك وأمجدا

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤٤٢/٣

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عمر ٢١٠٧/٣

وأصبب عودا حين ضاقت أمورهم ... وهمت معد أن تخيم وتخمدا
وأورى بزنديه ولو كان غيره ... غداة اختلاف الأمر أكبى وأصلدا
فأصبحت مولاها من الناس بعده ... وأحرى قريش أن يهاب ويحمدا
وفي كل أفق قد رميت لكوكب ... من الحرب مخشي إذا ما توقدا
وتشرق أجبال العوير بفاعل ... إذا خبت النيران بالليل أوقدا
ومنتقم لا يأمن الناس فجعه ... ولا سورة العادي إذا هو أرعدا
وما مزبد يعلو جزائر حامز ... ويشق إليها خيزرانا وغرقدا
تحرز منه أهل عانة بعدما ... كسا سورها الأعلى غثاء منضدا
يقمص بالملاح حتى يشفه ال ... حذار ولو كان المشيح المعودا
بمطرد الآذي جون كأنما ... زفى بالقراقير النعام المطردا
كان بنات الماء في حجراته ... أباريق أهداها دياف لصرخدا
بأجود سيبا من يزيد إذا غدت ... به نجبه يحملن ملكا وسؤددا
يقلص بالسيف الطويل نجاده ... خميص إذا السربال عنه تقددا
فأقسمت لا أنسى يد الدهر سيبه ... غداة السيالى ما أساغ وبردا
وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان: الطويل
لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز ... بساهمة الخدين طاوية القرب
جمالية لا يدرك العيس رفعها ... إذا كن بالركبان كالقيم النكب
معارضة خوصا حراجيج شمرت ... لنجعة ملك لا ضئيل ولا جأب
كأن رحال القوم حين تزعزعت ... على قطوات من قطا عالج حقب
أجدت لورد من أباغ وشفها ... هواجر أيام وقدن على شهب
إذا حملت ماء الصرائم قلصت ... روايا لأطفال بمهمهة زغب
توائم أشباه بأرض مريضة ... ولدن بخدراف المتان وبالغرب
إذا صخب الحادي عليهن برزت ... بعيدة ما بين المشافر والعجب
وكم جاوزت بحرا وليلا يخضنه ... إليك أمير المؤمنين ومن سهب
عوادل عوجا عن أناس كأنما ... ترى بهم جمع الصقالبة الصهب
يعارضن بطن الصحصحان وقد بدت ... بيوت بواد من نمير ومن كلب
ويامن عن نجد العقاب وياسرت ... بنا العيس عن عذراء دار بني شجب
يحدن بنا عن كل شيء كأننا ... أخاريس عيوا بالسلام وبالنسب
إذا طلع العيوق والنجم أولجت ... سوالفها بين السماكين والقلب

إليك أمير المؤمنين رحلتها ... على الطائر الميمون والمنزل الرحب

إلى مؤمن تجلو صفيحة وجهه ... بلابل تغشى من هموم ومن كرب

مناخ ذوي الحاجات يستمطرونه ... غطاء كريم من أسارى ومن نهب

ترى الحلق الماذي تجري فضوله ... على مستخف للنوائب والحرب

أخوها إذا شالت عضوض سما لها ... على كل حال من ذلول ومن صعب

إمام سما للخيل حتى تقلقلت ... قلائد في أعناق معلمة حدب

شواخص بالأبصار من كل مقرب ... أعد لهيجا أو مواقفة الركب

سواهم قد عاودن كل عظيمة ... مجللة الشطي طيبة الكسب

يعاندن عن صلب الطريق من الوجى ... وهن على العلات يردين كالنكب

إذا كلفوهن التنائي لم يزل ... غراب على عوجاء منهن أو سقب

وفي كل عام منك للروم غزوة ... بعيدة آثار السنابك والسرب." (١)

"ما إن أردنا وصال غيرهم ... ولا قطعناهم كما قطعوا

وقال الأحوص يمدح الوليد:

أمنزلتي مي على القدم اسلما ... فقد هجتما للشوق قلبا متيما

وذكرتما عصر الشباب الذي مضى ... وجدة حبل وصله قد تجذما

فإني إذا حلت ببيش مقيمة ... وحل بوج سالما أو تتهما

عراقية شطت وأصبح نفعها ... رجاء وظنا بالمغيب مرجما

أحب دنو الدار منها وقد أبى ... بها صدع شعب الدار أن يتلاءما

بكاها وما يدري سوى الظن ما بكى ... أحيا يرجي أم ترابا وأعظما

نأت وأتى خوف الطواعين دونها ... وقد أنعمت أخيارها أن تصرما

وعدت بها شهرين ثمت لم يزل ... بك الشوق حتى غبت حولا محرما

أفالآن لما جل ذو الأثل دونها ... ندمت ولم تندم هنالك مندما

سلمت بذكراها وما حكم ذكرها ... بفارعة الظهران إلا لتسقما

فدعها وأحدث للخليفة مدحة ... تزل عنك بؤسى أو تفد لك مغنما

فإن بكفيه مفاتيح رحمة ... وغيث حيا يحيي به الناس مرهما

إمام أتاه الملك عفوا ولم يصب ... على ملكه مالا حراما ولا دما

تخيره رب العباد لخلقه ... وليا وكان الله بالناس أعلما

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٢٦٥

فلما ارتضاه الله لم يدع مسلما ... لبيعته إلا أجاب وسلما

ينال الغنى والعز من نال وده ... ويرهب موتا عاجلا إن تنقما

ألم تره أعطى الحجيج كأنما ... أنال بما أعطى من المال درهما

تفقد أهل الأخشبين فكلهم ... أنال وأعطى سيبه المتقسما

فراحوا بما أسدى إلى كل بلدة ... بحمد يهزون المطي المخزما

كشمس نهار أبت للناس إن بدت ... أضاءت وإن غابت محته فأظلما

ترى الراغبين المرتجين نواله ... يحيون بسام العشيات خضرما

كأنهم يستمطرون بنفعه ... ربيعا مرته المعصرات فأثجما

تليد الندى أرسى بمكة مجده ... على عهد ذي القرنين أو كان أقدما

هم بينوا منها مناسك أهلها ... وهم حجروا الحجر الحرام وزمزما

وهم منعوا بالمرج من بطن راهط ... ببيض الصفيح حوضهم أن يهدما

عليهم من الماذي جدل تخالها ... تريك سيول في نهاء مصرما

فمن يكتم الحق المبين فإنني ... أبيت بما أعطيت ألا تكلما

وإني لأرجو من نداك رغيبة ... أفيد غنى منها وأفرج مغرما

مشابه صدق من أبيك وشيمة ... أبت لك بالمعروف إلا تقدما

فإنك من أعززت عز ومن ترد ... هضيمته لم يحم أن يتهضما

قضيت قضاء في الخلافة لم تدع ... لذي نخوة يرجو الخلافة مرغما

رضيت لهم ما قد رضوا لنفوسهم ... وأفلجت من قد كان بالحق أعصما

وقد رام أقوام رداك فعالجوا ... على رغمهم أمرا من الله محكما

قضى فعصوه رغبة عن قضائه ... فلم يجدوا عما أرادوك مرغما

أبى لهم أن يخلصوا من هوانه ... وأن ينزعوا إكرام من كان أكرما

ولم يتركوا ذا لبسة رأيه عما ... ولم يتركوا ذا الدرء حتى تقوما

بأسيافها بعد العما نصروا الهدى ... يقين البيان لا الحديث المرجما

وقال الأحوص وهو بالشام، وأقام بعمان، وهي مدينة البلقاء فارق ليلة، وقال ويمدح فيها:

أقول بعمان وهل طربي به ... إلى أهل سلع إن تشوقت نافع

أصاح ألم تحزنك ريح مريضة ... وبرق تلالا بالعقيقتين رافع

فإن غريب الدار مما يشوقه ... نسيم الرياح والبروق اللوامع." (١)

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٢٩٤

"محمد عبده:

وإذا نظرنا إلى تلاميذ جمال الدين، وجدناهم فعلا قد تأثروا بطريقته بعد أن كانوا من الساجعين، فهذا الشيخ محمد عبده أخذ يشق طريقه إلى الكتابة الصحيفة، وهو بعد طالب في الأزهر، فنشرت له أول مقالة بالأهرام في٢ من سبتمبر سنة ١٨٧٦، وقد أرسلها تحية للجريدة، وجاء فيها: "إنه لما نظر لدى كل قاص ودان، واشتهر بين بني نوع الإنسان أن مملكة مصر كانت في سالف الزمان، مملكة من أشهر الممالك وكعبة يؤمها كل سالك وناسك، وإذا كانت قد اختصت بتربية العلوم، وبث المعارف المتعلقة بالخصوص والعموم، وانفردت بالبراعة في الصنائع، والابتكار في أنواع البدائع، فكان أبناء العالم إذ ذاك ينتدون نداها، ويستجدون جداها، يستمطرون من الغيث قطرا، ويستمدون من المحيط نهرا ... إلخ".

هذه المقدمة الطويلة المسجوعة المملة، والتي تتوارد فيها الجمل الكثيرة علة المعاني القليلة حرصا على السجع، والمحسنات اللفظية والمعنوية مع تكلف ظاهر، وأخيرا وصل إلى الغاية من مقاله، وهي الإشادة بهذه الصحيفة حيث يقول:." [1]

"أشكو إليك وأنت خير مؤمل ... داء الذنوب وفي يديك دوائي

إني مددت يدي إليك تضرعا ... حاشا وكلا أن يخيب رجائي

إن كنت لم أخلص إليك فإنما ... خلصت إليك محبتي وندائي

وبسعد مولاي الإمام محمد ... تعد الأماني أن يتاح لقائي

ظل الإله على البلاد وأهلها ... فخر الملوك السادة الخلفاء

غوث العباد وليث مشتجر القنا ... يوم الطعان وفارج الغماء

كالدهر في سطواته وسماحه ... تجري صباه بزعزع ورخاء

رقت شجاياه وراقت مجتلى ... كالنهر وسط الروضة الغناء (١)

كالزهر في إبراقه، والبدر في ... إشراقه، والزهر في لألاء

يا ابن الألى إجمالهم وجمالهم ... فلق الصباح ووكف الأنواء

أنصار دين الله حزب رسوله ... والسابقون بحلبة العلياء

يا ابن الخلائف من بني نصر ومن ... حاطوا ذمار الملة السمحاء

من كل من تقف الملوك ببابه ... يستمطرون سحائب النعماء

قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى ... فالرعب رائدهم إلى الأعداء

والعز مجلوب بكل كتيبة ... والنصر معقود بكل لواء

يا وارثا عنها مناقبها التي ... تسمو مراقيها على الجوزاء

يا فخر أندلس وعصمة أهلها ... يجزيك عنها الله خير جزاء

كم خضت طوع صلاحها من مهمه ... لا تهتدي فيه القطا للماء

---

(١) نشأة النثر الحديث وتطوره عمر الدسوقي ص/٦١

تهدي بها حادي السرى بعزائم ... تهدي نجوم الأفق فضل ضياء

فارفع لواء الفخر غير مدافع ... واسحب ذيول العزة القعساء

واهنأ بمبناك السعيد فإنه ... كهف ليوم مشورة وعطاء

---

(١) الأزهار: الفيحاء.." [١]

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٨٢/٧